



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

السياق القرآني و أثره في التفسير

دراسة نظرية وتطبيقية من خلال
تفسير ابن كثير

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الباحث
عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري

الرقم الجامعي
٤٢٧٨٠٠٦٧

إشراف
الدكتور/ خالد بن عبد الله القرشي

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في صباح يوم السبت ١٤٢٩/٧/٩ هـ، الموافق ٢٠٠٨/٧/١٢ م تم مناقشة الرسالة،
وحصل الباحث على درجة ٩٨ بتقدير ممتاز، وأوصت لجنة المناقشة بطباعة الرسالة، وبذلك
يكون تقدير الباحث الإجمالي ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى.

المجلد

اسم الباحث/ عبد الرحمن عبد الله سرور المطيري

المرحلة: ماجستير التخصص: التفسير وعلوم القرآن

عنوان الرسالة: السياق القرآني وأثره في التفسير، دراسة نظرية و تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير.

تتحدث هذه الرسالة عن أصل من أصول التفسير ألا وهو السياق القرآني، وتطبيقه من خلال تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير - رحمه الله - .
فُقِّسَّت الرسالة إلى مقدمة وتمهيد وباين وخاتمة ثم فهرس فنية.
فالمقدمة ذُكر فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهج الباحث، والشكر.

وتم تناول ترجمة الحافظ ابن كثير - رحمه الله -، والتعريف بتفسيره في التمهيد.

وأما الباب الأول: فقد خُصَّصَ للدراسة النظرية، وقُسم إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: السياق وأهميته.

الفصل الثاني: أنواع السياق القرآني.

الفصل الثالث: قواعد في السياق القرآني.

وأما الباب الثاني: فهو للدراسة التطبيقية لآثار السياق القرآني من خلال تفسير ابن كثير

- رحمه الله -، وقُسم إلى خمسة فصول:

الفصل الأول: أثره في القراءات.

الفصل الثاني: أثره في نقد المرويات.

الفصل الثالث: أثره على المعاني.

الفصل الرابع: أثره في بعض العلوم المتعلقة بالتفسير.

الفصل الخامس: أثره في الترجيح والتضعيف.

وبعد ذلك الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وأخيراً الفهارس الفنية.

Abstract

Researcher: Abdul Rahman Abdullah Sorour Al Mutairi.

Degree: Master.

Specialization: Explanation & Holy Quran Sciences.

Title: The Quranic Context and its effect in Explanation, Theoretical and Practical Study Through The explanation of Holy Quran By Al Hafiz Bin Kathir(God forgive him).
The study was divided into introduction, preface, two parts, conclusion and technical indexes.

The introduction: in which I mentioned the subject importance, reasons of choice, the plan, and acknowledgement.

The preface: included the biography of Bin Kathir and his explanation.

Part one: is the theoretical study, it was divided into three chapters:

Chapter one: The context and its importance.

Chapter two: The kinds of Quranic context.

Chapter three: Rules in Quranic context.

Part two: The Practical study for Quranic Context through The explanation of Holy Quran By Al Hafiz Bin Kathir(God forgive him), it was divided into five chapters:

Chapter one :Its effect on Readings.

Chapter two: Its effect on criticism of recited.

Chapter three : Its effect on meanings.

Chapter four: Its effect on some sciences related to explanation.

Chapter five: Its effect on preference and rejection.

Conclusion: included the results and recommendations.

Finally: the technical indexes.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين، وإله المرسلين، وقيوم السماوات والأرضين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله -صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً- إلى يوم الدين -، بعثه الله بالكتاب المبين، الفارق بين الهدى والضلال والشك واليقين، أنزله لنقرأه تدبراً، ونتأمله تبصراً، ونسعد به تذكراً، ونحمله على أحسن وجوهه ومعانيه، ونصدق به ونجتهد على إقامة أوامره ونواهيه، ونجتني ثمار علومه النافعة الموصلة إلى الله سبحانه من أشجاره، ورياحين الحكيم من بين رياضه وأزهاره، فهو كتابه الدال عليه لمن أراد معرفته، وطريقه الموصلة لسالكها إليه، ونوره المبين الذي أشرق له الظلمات، ورحمته المهداة التي بها صلاح جميع المخلوقات، والسبب الواصل بينه وبين عباده إذا انقطعت الأسباب، وبابه الأعظم الذي منه الدخول فلا يغلق إذا غلقت الأبواب، وهو الصراط المستقيم الذي لا تميل به الآراء، والذكر الحكيم الذي لا تزيغ به الأهواء، والنزل الكريم الذي لا يشبع منه العلماء، لا تفنى عجائبه، ولا تقلع سحائبه، ولا تنقضي آياته، ولا تختلف دلالاته، كلما ازدادت البصائر فيه تأملاً وتفكيراً زادها هداية وتبصيراً، وكلما بَجَسَتْ معينه فَجَّرَ لها ينابيع الحكمة تفجيراً، فهو نور البصائر من عمائها، وشفاء الصدور من أدوائها وجواها، وحياة القلوب ولذة النفوس، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، والمنادي بال مساء والصباح: يا أهل الفلاح حي على الفلاح^(١).

(١) مقدمة ابن القيم - رحمه الله - لكتابه مدارج السالكين (٣/١) بتصرف يسير.

أما بعد:

فإن الله - عز وجل - أنزل كتابه هدى للعالمين ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١) ، وهذه الهداية لا تتأتى لمريدها إلا عند تدبره وطلب تفسيره، ولذلك رَبَطَ اللهُ التنزيل بالتدبر فقال: ﴿كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٢)، وَوَبَّخَ الذين يعرضون صفحاً عن التدبر فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٣)، "فأصل الوقوف على معاني القرآن هو التدبر والتفكر"^(٤)، ولا شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاذه من تدبر القرآن، وحقيقة التدبر هي إمعان النظر والتفكر في سياق الآية أو الآيات والربط بينها للوصول إلى معرفة المراد منها، وبالتالي ينتج العمل بها.

فدراسة السياق القرآني في حقيقته إعمال لأمر التدبر للقرآن، ولقد سلك العلماء طرقاً في تفسير كلام الله - عز وجل -، أحسنها: تفسير القرآن بالقرآن نفسه، ولتفسير القرآن مرتبتان^(٥) أعلاهما: أن يكون في محل واحد؛ كأن يكون عقبه، وهذه المرتبة يدخل تحتها نوعين من أنواع السياق: سياق الآية وسياق المقطع.

ثانيهما: أن يكون منفصلاً عنه سواء في نفس السورة أو غيرها، ويدخل تحته نوعين أيضاً من أنواع السياق القرآني: سياق السورة وسياق القرآن.

(١) سورة البقرة: ٢

(٢) سورة ص: ٢٩.

(٣) سورة محمد: ٢٤.

(٤) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي - رحمه الله - (١٨٠ / ٢).

(٥) انظر المرجع السابق (١٨٦ / ٢).

وبذلك نخلص إلى القول بأن السياق القرآني أصل من أصول التفسير المعتمدة، بل من أصلها.

ولقد كان من فضل الله عليّ أن وفقني لدراسة هذا الأصل العظيم من أصول التفسير، وتطبيقه على تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد الدين ابن كثير -رحمه الله- كاملاً، وهو ما تمثله هذه الرسالة، فله الحمد أولاً وآخرأً على فضله وتوفيقه.

وتكمن أهمية الموضوع بـ:

- (١) شرف هذا العلم، إذ شرفه بشرف المعلوم وهو كتاب الله -عز وجل-.
- (٢) أهمية دلالة السياق القرآني وتنوع آثارها. وهذا ما سيتبين في مبحث أهمية دلالة السياق القرآني من الفصل الأول من الدراسة النظرية^(١).
- (٣) كون هذه الدراسة تطبيقية بجانب التنظير لها.
- (٤) كون تطبيق هذه الدراسة على تفسير ابن كثير -رحمه الله- الذي يعتبر من أجل التفاسير، فقد سار فيه مؤلفه على أصول التفسير: ففسره بالقرآن أولاً وأكثر منه، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة والتابعين، ثم باللغة العربية... وسيأتي مزيد تفصيل في التمهيد عند الحديث عن تفسير ابن كثير -رحمه الله-^(٢).

ومن أسباب اختياري لهذا الموضوع:

- (١) أهميته.
- (٢) خدمة كتاب الله -عز وجل- في إبراز منهج صحيح لفهمه وتدبره.
- (٣) أن دراسة الموضوع المعين من خلال تطبيقات العلماء، تجمع أصول الموضوع وتبرزها.

(١) في ص ٧٥ من هذه الرسالة.

(٢) في ص ٤٨ من هذه الرسالة.

٤) كون الدراسة التطبيقية - لا سيما على تفسير القرآن الكريم كاملاً، ومن مفسرٍ كبيرٍ كابن كثير - مما يصقل الباحث علمياً، ويُكوّن له ملكة تفسيرية.

الدراسات السابقة:

١) دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير - دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن

جرير، وهي رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بالرياض، للباحث عبد الحكيم بن عبد الله القاسم.

٢) دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان للعلامة الشنقيطي - دراسة موضوعية

تحليلية، وهي رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الأردنية، للباحث أحمد لافي فلاح

المطيري^(١).

٣) السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة - دراسة نظرية تطبيقية، وهي

رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة أم القرى بمكة المكرمة، للباحث سعيد بن محمد

الشهراني.

٤) أثر السياق القرآن في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية على سورتى الفاتحة والبقرة، وهي

رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، للباحث

محمد بن عبد الله الربيعة.

٥) دلالة السياق وأثرها في توجيه التشابه اللفظي في قصة موسى - عليه السلام - ، وهي

رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى بمكة المكرمة، للباحث فهد بن شتوي

الشتوي.

(١) وقد نوقشت هذه الرسالة أثناء كتابتي لهذا البحث.

٦) السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، وهي رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة اليرموك بالأردن، للباحث المثني عبدالفتاح محمود^(١).

فالرسالة الأولى تطبيقها على تفسير ابن جرير - رحمه الله -، والثانية على تفسير الشنقيطي - رحمه الله -، والثالثة على تفاسير أصحاب المدرسة العقلية الحديثة، والرابعة على سورتى الفاتحة والبقرة من الباحث نفسه، والخامسة أثرها في المتشابه اللفظي في قصة موسى - عليه السلام -، والسادسة أثرها في الترجيح.

وجاءت رسالتي إكمالاً لهذه المسيرة المباركة في خدمة هذا الأصل العظيم: دلالة السياق القرآني^(٢)، ولكن بتطبيق مغاير، وهو التطبيق من خلال تفسير ابن كثير - رحمه الله -.

وعنوان هذه الرسالة: "السياق القرآني وأثره في التفسير - دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير".

وكانت خطة البحث على النحو الآتي:

مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة ثم فهرس فنية.

هذه المقدمة.

وأما التمهيد فيحتوي على:

١- ترجمة موجزة للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير - رحمه الله -.

٢- التعريف بتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير - رحمه الله -.

الباب الأول: السياق القرآني.

(١) وقد طبعت باسم نظرية السياق قبل تسليم رسالتي للمناقشة بمدة يسيرة جداً.

(٢) وقد استفدت من الدراسات السابقة: لا سيما رسائل الباحثين: عبدالحكيم القاسم، ومحمد الربيعة

والمثني عبد الفتاح. فجزا الله الجميع خير الجزاء.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: السياق القرآني وأهميته.

المبحث الأول: تعريف السياق القرآني.

المطلب الأول: تعريف السياق لغة.

المطلب الثاني: تعريف السياق اصطلاحاً.

المبحث الثاني: أهمية السياق القرآني.

المطلب الأول: دلالة السياق القرآني تعتبر من تفسير القرآن بالقرآن.

المطلب الثاني: إعمال النبي -صلى الله عليه وسلم- لدلالة السياق القرآني

واعتباره لها في التفسير.

المطلب الثالث: إعمال الصحابة -رضي الله عنهم- لدلالة السياق القرآني

واعتبارهم لها في التفسير.

المطلب الرابع: كلام العلماء في اعتبار دلالة السياق القرآني وأهميتها.

المطلب الخامس: آثار دلالة السياق القرآني في التفسير.

الفصل الثاني: أنواع السياق القرآني.

المبحث الأول: سياق الآية.

المبحث الثاني: سياق السورة.

المبحث الثالث: سياق المقطع.

المبحث الرابع: السياق العام للقرآن الكريم.

المطلب الأول: الأغراض والمقاصد الأساسية للقرآن الكريم.

المطلب الثاني: المعاني الكلية للقرآن الكريم.

المطلب الثالث: الأساليب المُطَرِّدة في القرآن الكريم.

الفصل الثالث: قواعد في السياق القرآني.

المبحث الأول: كل تفسير أهملت فيه دلالات الألفاظ، أو يأباه السياق فهو باطل.

المبحث الثاني: الأولى حمل كلام الله - عز وجل - على الغالب من عرفه ومعهود استعماله.

المبحث الثالث: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل.

المبحث الرابع: الأصل حمل اللفظ على تأسيس معنى جديد، إلا أن يدل السياق على التأكيد.

المبحث الخامس: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

المبحث السادس: الأصل بقاء ترتيب النظم، إلا إذا دلّ السياق على التقديم والتأخير.

المبحث السابع: الأصل اتحاد مرجع الضمائر في السياق الواحد.

المبحث الثامن: الأصل عود الضمير لأقرب مذكور، إلا لدليل على خلاف ذلك.

المبحث التاسع: القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار، إلا لدليل من سياق أو غيره.

المبحث العاشر: الأصل في التقدير أن يكون موافقاً للسياق القرآني.

المبحث الحادي عشر: يجب حمل كلام الله - عز وجل - على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق القرآني.

الباب الثاني: أثر السياق القرآني في التفسير من خلال تفسير ابن كثير - رحمه الله -.

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: أثر السياق القرآني في القراءات في تفسير ابن كثير.

المبحث الأول: أثر السياق القرآني في ترجيح بعض القراءات في تفسير ابن كثير.

المبحث الثاني: أثر السياق القرآني في تضعيف بعض القراءات في تفسير ابن كثير.

المبحث الثالث: أثر السياق القرآني في توجيه القراءات في تفسير ابن كثير.

الفصل الثاني: أثر السياق القرآني في نقد المرويات في تفسير ابن كثير.

المبحث الأول: أثر السياق القرآني في نقد الروايات المرفوعة في تفسير ابن كثير.

المبحث الثاني: أثر السياق القرآني في نقد الإسرائيليات في تفسير ابن كثير.

الفصل الثالث: أثر السياق القرآني على المعاني في تفسير ابن كثير.

المبحث الأول: أثر السياق القرآني في بيان المعنى في تفسير ابن كثير.

المطلب الأول: أثر السياق القرآني في بيان المعنى للآية الواحدة.

المطلب الثاني: أثر السياق القرآني في بيان المعنى للآيات المتتابعة.

المطلب الثالث: أثر السياق القرآني في بيان المتكلم والمخاطب والموصوف في

الآيات.

المبحث الثاني: أثر السياق القرآني في بيان المراد من المشترك اللفظي في تفسير ابن كثير.

المبحث الثالث: أثر السياق القرآني في تضمين المعاني في تفسير ابن كثير.

المبحث الرابع: أثر السياق القرآني في تحديد المعنى المراد من حروف المعاني في تفسير ابن

كثير.

المبحث الخامس: أثر السياق القرآني في تحديد مرجع الضمير في تفسير ابن كثير.

المبحث السادس: أثر السياق القرآني في بيان الحذف وتقديره في تفسير ابن كثير.

المبحث السابع: أثر السياق القرآني في القول بالتقديم والتأخير في تفسير ابن كثير.

المطلب الأول: أثر السياق القرآني في القول بالتقديم والتأخير.

المطلب الثاني: أثر السياق القرآني في ردّ القول بالتقديم والتأخير.

الفصل الرابع: أثر السياق القرآني في بعض العلوم المتعلقة بالتفسير في تفسير ابن كثير.

المبحث الأول: أثر السياق القرآني في أسباب النزول في تفسير ابن كثير.

المطلب الأول: أثر السياق القرآني في ترجيح بعض أسباب النزول.

المطلب الثاني: أثر السياق القرآني في تضعيف بعض أسباب النزول.

المبحث الثاني: أثر السياق القرآني في إظهار المناسبة بين آيات القرآن الكريم في تفسير

ابن كثير.

المطلب الأول: أثر السياق القرآني في إبراز المناسبة في الآية الواحدة.

المقصد الأول: أثر السياق القرآني في إبراز المناسبة في اختيار الكلمة في الآية.

المقصد الثاني: أثر السياق القرآني في إبراز المناسبة بين الجمل في الآية.

المقصد الثالث: أثر السياق القرآني في إبراز مناسبة خاتمة الآية لسياقها.

المطلب الثاني: أثر السياق القرآني في إبراز المناسبة بين الآيات المتتابعة.

المقصد الأول: أثر السياق القرآني في إبراز مناسبة الآية للآية المجاورة لها.

المقصد الثاني: أثر السياق القرآني في إبراز المقطع للمقطع المجاور له.

المبحث الثالث: أثر السياق القرآني في توجيه التشابه اللفظي في تفسير ابن كثير.

المبحث الرابع: أثر السياق القرآني في دفع إيهام الإشكال في القرآن الكريم في تفسير ابن

كثير.

المبحث الخامس: أثر السياق القرآني في بيان النسخ وعدمه في تفسير ابن كثير.

المطلب الأول: أثر السياق القرآني في إثبات النسخ.

المطلب الثاني: أثر السياق القرآني في ردّ دعوى النسخ.

المبحث السادس: أثر السياق القرآني في معرفة المكي والمدني في تفسير ابن كثير.

المبحث السابع: أثر السياق القرآني في الوقف والابتداء في تفسير ابن كثير.

الفصل الخامس: أثر السياق القرآني في الترجيح والتضعيف في تفسير ابن كثير.

المبحث الأول: أثر السياق القرآني في الترجيح بين الأقوال في تفسير ابن كثير.

المبحث الثاني: أثر السياق القرآني في تضعيف بعض الأقوال في تفسير ابن كثير.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وقد ذُلت البحث بفهارس للآيات، والأحاديث، والآثار، والأعلام، والمراجع،

والموضوعات.

وأما منهجي في البحث:

- عزو الآيات بأرقامها إلى سورها.
- توثيق القراءات، وعزوها لمصادرهما.
- تخريج الأحاديث النبوية، ونقل أحكام المحدثين على غير ما في الصحيحين، أما إن كان في الصحيحين فأكتفي بالعزو إليهما فقط.
- توثيق النقول الواردة في الرسالة، وإن كانت من تفسير ابن كثير - رحمه الله - فقد اعتمدت طبعة دار طيبة بتحقيق الشيخ سامي بن محمد السلامة - الإصدار الثاني، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢ هـ -.
- في الباب التطبيقي أكتفي بذكر ثلاثة أمثلة من تطبيقات الإمام ابن كثير - رحمه الله - ثم أحيل للباقي، إلا إذا لم أجد إلا أقل من ثلاثة فأذكر ما وجدته، ولم ألتزم بحصر - تطبيقات الإمام ابن كثير - رحمه الله - إلا ما صرح فيه باستخدام دلالة السياق القرآني.
- التعريف بالأعلام في أول موطن لورودهم، عدا الصحابة وأصحاب المذاهب الأربعة المتبوعة والكتب الستة لشهرتهم، وإن كان ورودهم أثناء الأسانيد فقد اعتمدت تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر - رحمه الله - في الترجمة لهم.

وفي الختام أتوجه بالشكر الجزيل -بعد حمد الله وشكره- لمن قرَن الله حقهما بحقه:
والديّ الكريمين، وأبوابي الحليمين، اللذين لم يألوا جهداً في التوجيه والدعاء والتشجيع

ودوام السؤال، فلا أملك إلا أن أقول: ﴿رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّانِي صَغِيرًا﴾^(١).

كما أشكر فضيلة الشيخ الدكتور خالد بن عبد الله القرشي -وفقه الله-، المشرف على الرسالة، على ما قام به من جهد ومتابعة وتقويم وتوجيه وإفادة، وقد بذل لي وقته مع كثرة أعماله، فكان له أثرٌ بارزٌ في خروج الرسالة بهذا الشكل، فجزاه الله خير الجزاء.

وكذا الشيخين الجليلين عضوي لجنة المناقشة: الدكتور خالد بن علي الغامدي -وفقه الله- وكيل كلية الدعوة وأصول الدين، إمام المسجد الحرام، والدكتور عبد الرحمن بن جميل قصاص -وفقه الله- على تفضلها بقبول مناقشة الرسالة، وإبداء ملاحظاتها القيمة مما كان له أثر بارز في تقويمها، واستحضرت ما قاله الشيخ إبراهيم الصولي -رحمه الله-:
"المتصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل من منشئه"^(٢)، فجزاهما الله خير الجزاء.

وأشكر كل من ساعدني وساندني في كتابة هذه الرسالة، وأخص بالذكر منهم زوجتي على ما قامت به من طباعة جزء كبير من الرسالة، ومراجعتها ومقابلتها معي، وكذا الشكر موصول للدكتور محمد الربيعة الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم على ما قام به من إعارتي لمجموعة من الرسائل العلمية حول هذا الموضوع، ومن بينها رسالته للدكتوراه.
فجزا الله الجميع خير الجزاء.

(١) سورة الإسراء: جزء من الآية ٢٤.

(٢) ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي ص ٣٣٦.

وأشكر القائمين على جامعة أم القرى وكلية الدعوة وأصول الدين فيها على إتاحتهم لي فرصة الالتحاق بهذه الجامعة العريقة التي نهلت من علم أساتذتها -جزاهم الله خير الجزاء-، وأخص بالذكر منهم فضيلة الشيخ الدكتور خالد بن علي الغامدي -وفقه الله- وكيل كلية الدعوة وأصول الدين على جهوده المباركة معي بدءاً من مرحلة قبولي حتى تخرجي، فلم يألوا جهداً في مساعدتي وتذليل الصعاب التي تواجهني، وبوجوده ما أحسست بالغربة في هذه البلاد.

كما لا يفوتني أن أشكر كلية التربية الأساسية بالكويت ممثلةً بقسم الدراسات الإسلامية على تعيينه لي معيداً بالقسم، والموافقة على ابتعائي لهذه الجامعة العريقة. وأخيراً هذا جهد المقل، فما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله من كل زلل.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

عبدالرحمن عبد الله سرور المطيري

التَّائِبِينَ

ترجمة الحافظ ابن كثير - رحمه الله -^(١)

١ - اسمه ونسبه:

هو الإمام المفسر الحافظ المحدث المؤرخ الأصولي الفقيه عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن درع (القيسي-)، القرشي النسب، البصري الأصل^(٢)، الدمشقي النشأة والتعليم، الشافعي المذهب.

وقد ذكر ابن كثير - رحمه الله - سبب تسميته بإسماعيل فقال في معرض ترجمته لأبيه: "وقد ولد له عدة أولاد من الوالدة، ومن أخرى قبلها، أكبرهم إسماعيل، ثم يونس، وإدريس، ثم من الوالدة: عبدالوهاب، وعبدالعزيز، وأخوات عدة، ثم أنا أصغرهم، وسميت باسم الأخ إسماعيل؛ لأنه كان قد قدم دمشق فاشتغل بها، بعد أن حفظ القرآن على والده، وقرأ معه مقدمة في النحو، وحفظ "التنبيه" وشرحه على العلامة تاج الدين الفزاري، وحصل "المنتخب" في أصول الفقه، قاله لي شيخنا ابن الزمكاني، ثم إنه سقط من سطح الشامية البرانية، فمكث أياماً ومات، فوجد الوالد عليه وجداً كثيراً، ورثاهُ بأبيات كثيرة، فلما ولدت له

(١) كُتبت دراسات مستقلة عن ترجمة ابن كثير - رحمه الله - منها: الإمام ابن كثير. سيرته ومؤلفاته ومنهجه في كتابه التاريخ للدكتور مسعود الرحمن خان الندوي، وحياة ابن كثير وكتابه تفسير القرآن العظيم للدكتور محمد بن عبد الله الفالح، ومنهج ابن كثير في التفسير للدكتور سليمان بن إبراهيم اللّاحم، وغيرها. وقد استفدت منها كلها لا سيما الأول.

(٢) نسبة إلى بصري الشام.

أنا بعد ذلك سمّاني باسمه، فأكبر أولاده إسماعيل، وأصغرهم وآخرهم إسماعيل، فرحم الله من سلف، وختم بخير لمن بقي" (١).

٢- مولده:

اختلف مترجمو ابن كثير -رحمه الله- في سنة ولادته، فقيل ٧٠٠هـ، وقيل ٧٠١هـ، وبعضهم تردّد فلم يقطع بشيء، ولكن يقطع الخلاف ما صرح به ابن كثير -رحمه الله- نفسه في تاريخه، حيث يقول في آخر حوادث ٧٠١هـ: "وفيها ولد كاتبه إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي" (٢)، فهو -رحمه الله- مؤرخ حافظ، وأقواله معتبرة في تحديد تواريخ الميلاد والوفاة لمن ترجم لهم في تاريخه، فلأن يعتبر قوله في تاريخ ميلاده أولى وأحرى.

والذي أنشأ هذا الخلاف بين المؤرخين في تحديد سنة ولادته هو قوله -رحمه الله- عن أبيه: "توفي في شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعمئة، وكنت إذ ذاك صغيراً ابن ثلاث سنين أو نحوها، لا أدركه إلا كالحلم" (٣) فهنا ابن كثير -رحمه الله- لم يجزم، بل قال: ابن ثلاث سنين أو نحوها فيرد هذا النص إلى قوله الجازم بأنه ولد سنة ٧٠١هـ، وتكون وفاة أبيه وهو ابن سنتين وزيادة.

٣- نشأته:

نشأ الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في بيت علم ودين، فقد كان أبوه عمر بن كثير دينياً خطيباً عالماً، قال عنه ابنه الحافظ أبو الفداء إسماعيل في البداية والنهاية: "اشتغل بالعلم عند أخواله بني عقبه ببصرى، فقرأ "البداية" في مذهب أبي حنيفة، وحفظ "جمل الزجاجي"،

(١) البداية والنهاية (٣١ / ١٤)

(٢) المرجع السابق (٢١ / ١٤).

(٣) نفس المرجع (٣٢ / ١٤)

وعنى بالنحو والعربية واللغة، وحفظ أشعار العرب، حتى كان يقول الشعر الجيد الفائق الرائق في المد والمرثي، وقليل من الهجاء، وقرأ بمدارس "بُصرى"، ... ثم انتقل إلى خطابة القرية شرقي "بُصرى"، وتمذهب للشافعي، وأخذ عن النواوي، والشيخ تقي الدين الفزاري، وكان يكرمه ويحترمه فيما أخبرني شيخنا العلامة ابن الزملكاني، فأقام بها نحواً من ثنتي عشرة سنة، ثم تحول إلى خطابة "مجل"، القرية التي منها الوالدة، فأقام بها مدة طويلة في خير وكفاية وتلاوة كثيرة، وكان يخطب جيداً، وله مقول عند الناس، ولكلامه وقع؛ لديانته وفصاحته وحلاوته، وكان يؤثر الإقامة في البلاد لما يرى فيها من الرفق، ووجود الحلال له ولعياله..^(١)

، ولكن لم يشتغل عليه ابنه الحافظ أبو الفداء إسماعيل بالعلم، لأنه توفي وابنه إسماعيل صغير جداً كما قال في معرض ذكر وفاته: "وكنت إذ ذاك صغيراً، ابن ثلاث سنين أو نحوها، لا أدركه إلا كالحلم" وبعد ذلك تربى الحافظ أبو الفداء في كنف أخيه كمال الدين عبد الوهاب، وكان صاحب علم، فاستفاد منه في بداية نشأته. يقول -رحمه الله-: "ثم تحولنا من بعده -أي بعد وفاة والده- في سنة ٧٠٧هـ إلى دمشق، صحبة كمال الدين عبد الوهاب، وقد كان لنا شقيقاً، وبنا رقيقاً شغوفاً، وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين أي -بعد السبعمئة-، فاشتغلت على يديه بالعلم، فيسر الله تعالى منه ما يسر، وسهل منه ما تعسر"^(٢)، وكان في انتقاله إلى دمشق أثر كبير في حياته العلمية، حيث استفاد من العلماء والمدارس والمقارن والكتب بها، حتى إنه ختم القرآن في سن مبكرة، كما ذكر عن نفسه حيث يقول في ترجمة الشيخ نورالدين علي الكركي الشوبكي -رحمه الله-: "كان معنا في المقرأة والكتاب، وختمت أنا وهو في سنة إحدى عشرة"^(٣) أي كان عمره إذ ذاك ما يقارب عشر سنوات.

(١) البداية والنهاية (١٤ / ٣١ - ٣٢).

(٢) المرجع السابق (١٤ / ٣٢).

(٣) نفس المرجع (١٤ / ٣١٢).

٤ - طلبه للعلم:

بدأ الإمام ابن كثير - رحمه الله - في طلب العلم على أخيه عبد الوهاب - كما ذكر آنفاً، وقد حفظ القرآن في سن مبكرة، وتعلّم الكتابة والحساب والنحو، وقرأ بالقراءات حتى عدّه الداودي - رحمه الله - من القراء، وترجم له في طبقاتهم^(١).

وسمع الموطأ للإمام مالك، ومسند الشافعي، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم في تسعة مجالس، وشئائل الترمذي، وسنن الدارقطني، والسنن الكبرى للبيهقي، وتهذيب الكمال في علم الرجال وغيرها، وحفظ "التنبيه" للشيرازي في الفقه الشافعي، "ومختصر" ابن الحاجب في أصول الشافعية وغيرها، وبرع في التفسير والحديث والفقه والأصول والتاريخ حتى فاق كثيراً من أقرانه - فرحمه الله رحمة واسعة -.

٥ - أبرز شيوخه:

١ - شمس الدين محمد أبي الحسين البعلبكي الحنبلي. ختم عليه القرآن الكريم في المقرأة والكتاب^(٢).

٢ - محمد بن جعفر اللباد المعروف بـ "المؤله". قرأ عليه شيئاً من القراءات^(٣).

٣ - نجم الدين علي بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن المسلم. سمع منه الموطأ للإمام مالك^(٤).

(١) نقلاً عن الشيخ أحمد شاكر في كتابه عمدة التفسير (١/ ٢٤).

(٢) البداية والنهاية (١٤/ ١٥٠).

(٣) المرجع السابق (١٤/ ١١٤).

(٤) نفس المرجع (١٤/ ١٤٥).

- ٤ - أبو الحجاج يوسف بن الزكي المزني^(١)، قرأ عليه صحيح البخاري ومؤلفه المشهور "تهذيب الكمال"، وسمع عليه أكثر تصانيفه، وقد تزوج ابن كثير بابنته أمة الرحيم زينب.
- ٥ - شهاب الدين أحمد بن أبي طالب الحجار المعروف بابن الشُّحْنَه. سمع منه صحيح البخاري^(٢).
- ٦ - برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم الفزاري. سمع منه صحيح مسلم، وتفقه عليه^(٣).
- ٧ - نجم الدين العسقلاني، سمع منه صحيح مسلم في تسعة مجالس^(٤).
- ٨ - محي الدين يحيى بن إسحاق بن خليل الشيباني، سمع منه سنن الدارقطني وغيره^(٥).
- ٩ - عفيف الدين محمد بن عمر بن عثمان الصقلي، سمع منه شيئاً كثيراً من سنن البيهقي الكبرى^(٦).
- ١٠ - بهاء الدين القاسم بن عساكر ت/ ٧٢٣هـ قال ابن كثير "وقد خَرَجَ له الحافظ علم الدين البرزالي مشيخة سمعناها عليه في سنة وفاته"^(٧).

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/٢٧٦، ١٥٢) وغيرها من المواضع

(٢) البداية والنهاية (١٤/١٥٠).

(٣) المرجع السابق (١٤/١٤٦).

(٤) نفس المرجع (١٤/١٤٩).

(٥) نفس المرجع (١٤/١١٥).

(٦) نفس المرجع (١٤/١١٩).

(٧) نفس المرجع (١٤/١٠٨).

١١- علم الدين القاسم بن محمد البرزالي ت/ ٧٣٩هـ^(١).

١٢- شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ت/ ٧٢٨هـ^(٢) لازمه، وكانت له به خصوصية، وتأثر به وامتحن بسببه وأوذى، قال ابن قاضي شهبة: "كانت له خصوصية بابن تيمية، ومناضلة عنه، واتباع له في كثير من آرائه، وكان يفتي برأيه في مسألة الطلاق، وامتحن بسبب ذلك وأوذى"^(٣).

١٣- شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ت/ ٧٤٨هـ^(٤).

٦- مكانته العلمية:

برز الحافظ عماد الدين ابن كثير -رحمه الله- ونبع في العلم الشرعي، مما أدى إلى تبوئه مناصب علمية مرموقة تليق بمكانته العلمية، ومنها:

١- تَوَلَّاهُ مشيخة المدارس، فقد كانت المدارس في ذلك الوقت يعين فيها أشهر العلماء للتدريس، فأصبح التدريس ومشيخة المدارس مجالاً لتنافس العلماء. ومن أشهر المدارس التي تولى التدريس فيها ابن كثير -رحمه الله-:

أ. المدرسة النجيبية: وهي مدرسة للفقهاء الشافعية^(٥)، درس بها في يوم الخميس الحادي عشر من جمادى الأولى سنة ٧٣٦هـ عوضاً عن الشيخ جمال الدين قاضي الزيداني وذكر ابن كثير أن هذا الدرس الأول حضره القضاة والأعيان، [و] كان درساً حافلاً أثنى عليه الحاضرون، وتعجبوا من جمعه وترتيبه، وكان

(١) البداية والنهاية (١٣/١٥٣)، (١٤/٣٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/٦٢).

(٣) طبقات الشافعية (٣/٨٦).

(٤) تفسير القرآن العظيم (١/٦٠٣، ٥٩٩).

(٥) البداية والنهاية (١٣/١٨).

ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١) وانساق الكلام إلى مسألة ربا الفضل^(٢).

ب. تربة أم الصالح: تولى التدريس فيها في يوم الأحد ١٦ من ذي القعدة ٧٤٨هـ عوضاً عن شيخه الإمام الذهبي بعد وفاته بأسبوعين تقريباً^(٣).

ج. دار القرآن والحديث التنكزية: درس فيها بعد شيخه الذهبي ٧٤٨هـ^(٤).

د. دار الحديث الأشرفية: قال ابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية: في ترجمة ابن كثر - رحمه الله -: "وبعد موت السبكي ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية مدة يسيرة ثم أُخِذَتْ منه"^(٥).

٢- التدريس في الجامع الأموي:

نظراً لمكانة ابن كثير - رحمه الله - العلمية الرفيعة، فقد دعاه الأمير سيف الدين منكلي بغا - رحمه الله - لتدريس التفسير في الجامع الأموي، فقد جاء في البداية والنهاية^(٦) :
 "وفي صبيحة يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شوال سنة سبع وستين وسبعمئة حضر الشيخ العلامة عماد الدين بن كثير درس التفسير الذي أنشأه ملك الأمراء نائب السلطنة الأمير سيف الدين منكلي بغا - رحمه الله تعالى - من أوقاف الجامع الذي

(١) سورة فاطر: جزء من الآية ٢٨.

(٢) البداية والنهاية (١٤/١٧٣)

(٣) المرجع السابق (١٤/٢٣٦)

(٤) ذيل الحسيني على تذكرة الحفاظ للذهبي ص ٥٨.

(٥) طبقات الشافعية (٣/٨٦) وينظر الدرس في أخبار المدارس (١/٢٧)

(٦) البداية والنهاية (١٤/٣٢١)، وذكر الدكتور عبد الله التركي في تحقيقه للبداية والنهاية (١٨/٧١٩) أن

سياق الكلام يدل على أنه من كلام تلميذ المصنف - رحمه الله -.

جددها في حال نظره عليه-أثابه الله- وجعل من الطلبة سائر المذاهب خمسة عشر طالباً، لكل طالب في الشهر عشرة دراهم، وللمعيد عشرون، ولكاتب الغيبة عشرون، وللمدرس ثمانون، وتصديق حين دعوته لحضور الدرس، فحضر واجتمع القضاة والأعيان، وأخذ في أول تفسير الفاتحة، وكان يوماً مشهوداً، والله الحمد والمنة، وبه التوفيق والعصمة".

٣- الخطابة في جامع الفوقاني:

ذكر ابن كثير^(١) -رحمه الله- أنه أول من تولى الخطابة في جامع الفوقاني ٧٤٨هـ.

وبجانب ما سبق فقد كانت لابن كثير مشاركات في الفتوى على مستوى رسمي والمشاركة في مجالس الفصل بين العلماء، يقول ابن كثير عن نائب السلطة أنه "أحضر القضاة وولاية الأمور، ورسم بإحضار المفتين، وكنت فيمن طلب يومئذ"^(٢)، ومن ذلك موقفه من المحنة التي لحقت قاضي القضاة تقي الدين السبكي -رحمه الله-، مع علمه ومعرفته بما كان بينه وبين شيخة ابن تيمية -رحمه الله- من الخلاف. يقول ابن كثير -رحمه الله-: "واشتهر أنه سينعقد له مجلس للدعوى عليه بما دفعه من مال الأيتام إلى الطنبغا وإلى الفخري، وكتبت فتوى عليه بذلك في تغريمه، وداروا بها على المفتين، فلم يكتب لهم أحد فيها غير القاضي جلال الدين بن حسام الدين الحنفي، رأيت خطه عليها وحده بعد الصلاة، وسئلت في الإفتاء عليها فامتنعت لما فيها من التشويش على الحاكم"^(٣)، وذكر أنه عُقد له مجلس بأمر السلطان لسؤال العلماء عنه، وقال بأنه "قد كتب فيه محضران متعاكسان: أحدهما له، والآخر عليه، وفي الذي عليه خط القاضيين المالكي والحنبلي،

(١) البداية والنهاية (١٤/٢٦٣)

(٢) المرجع السابق (١٤/٢٦١)

(٣) نفس المرجع (١٤/٢٠٤)

وجماعة آخرين، وفيه عظام وأشياء منكورة جداً ينبو السمع عن استماعه، وفي الآخر خطوط جماعات من المذاهب بالثناء عليه، وفيه خطي بأني ما رأيت فيه إلا خيراً^(١).

ومن ذلك ما قاله في تاريخه بعد أن ذكر غدر النصارى الإفرنج بمدينة الإسكندرية والإفساد فيها بالقتل والأسر^(٢) والنهب^(٣): " وجاء المرسوم الشريف من الديار المصرية إلى نائب السلطنة بمسك النصارى من الشام جملة واحدة، وأن يأخذ منهم ربع أموالهم لعمارة ما خرب من الإسكندرية، ولعمارة مراكب تغزو الإفرنج، فأهانوا النصارى، وطلبوا من بيوتهم بعنف، وخافوا أن يقتلوا، ولم يفهموا ما يراد بهم، فهربوا كل مهرب، ولم تكن هذه الحركة شرعية، ولا يجوز اعتمادها شرعاً، وقد طلبت يوم السبت السادس عشر من صفر إلى الميدان الأخضر للاجتماع بنائب السلطنة، وكان اجتماعنا بعد العصر- يومئذ بعد الفراغ من لعبة الكرة، فرأيت منه أنساً كثيراً، ورأيته كامل الرأي والفهم، حسن العبارة، كريم المجالسة، فذكرت له أن هذا لا يجوز اعتماده في النصارى. فقال: إن بعض فقهاء مصر أفتى للأمير الكبير بذلك، فقلت له: هذا مما لا يسوغ شرعاً، ولا يجوز لأحد أن يفتي بهذا، ومتى كانوا باقين على الذمة، يؤدُّون إلينا الجزية، ملتزمين بالذلة والصغار، وأحكام الملة قائمة، لا يجوز أن يؤخذ منهم الدرهم الواحد الفرد فوق ما يبذله من الجزية، ومثل هذا لا يخفى على الأمير."^(٤).

فهذان الموقفان يدلان على سعة علم ابن كثير -رحمه الله- ومكانته العلمية -التي جعلته محلاً لاستفتاء المستفتين من الحكام وغيرهم، وكذا يدلان على ميزان العدل الذي يحكم به ابن كثير -رحمه الله-، ليس مع المسلمين فحسب، بل حتى مع الكفار.

(١) البداية والنهاية (٣١٦/١٤).

(٢) ذكر أنهم يقدرّون بأربعة آلاف.

(٣) ذكر أنهم نهبوا من الأموال ذهباً وحريراً وبهاراً وغير ذلك ما لا يحصى ولا يوصف.

(٤) البداية والنهاية (٣١٤-٣١٥/١٤).

وفي هذا الموقف الأخير مع النصارى يعلق الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - فيقول:
 "فانظر إلى هذا الإمام العظيم الذي يقف عند حدود الشريعة المطهرة، يقيم ميزان العدل
 الصحيح كما عرفه من دينه الحنيف، ويألم ويسترجع لما ناب النصارى من مصادرة ظالمته،
 من أمراء طغاة جائرين، كما ألم واسترجع من قبل لما أصاب المسلمين من غدر النصارى
 وبغيهم، وشتان بين هذا وذاك، ولكنه لا يرضى إلا أن يقيم ميزان العدل، فكان هذا العقل
 المستقل العظيم الثابت على الحق، والذي لا تغلبه العواطف والأهواء، مما يجعل للرجل
 منزلة عند الناس كبيرة يثق به أنصاره وغير أنصاره، وموافقوه ومخالفوه"^(١).

فمما سبق بيانه يتبين لنا شيئاً من مكانة الحافظ ابن كثير - رحمه الله - العلمية،
 ومنزلته الرفيعة، فرحمه الله رحمة واسعة، وجمعنا به في جنة الفردوس الأعلى.

٧- تلاميذه:

نظراً لمكانة ابن كثير - رحمه الله - العلمية، وتبوئه لمشيخات أعظم وأشهر المدارس
 ودور الحديث في دمشق، فإنه يصعب حصر تلاميذه الذين تلقوا العلم عنه، فهم كثير كما
 صرح بذلك ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب^(٢)، ولكن اكتفي بذكر أشهرهم، وهم:

١- يحيى الرحبي (ت/ ٧٩٤)^(٣).

٢- أحمد بن حجي السعدي (٧٥١-٨١٦هـ)^(٤).

(١) عمدة التفسير (١/ ٣٢-٣٣)

(٢) (٢٣١/٦)

(٣) ينظر الدرر الكامنة (٦/ ١٩٩)

(٤) ينظر شذرات الذهب (٦/ ٢٣١-٢٣٢).

- ٣- زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم العراقي (ت/ ٨٠٦) (١).
- ٤- محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (٧٤٥-٧٩٤) (٢).
- ٥- ابن الحريري شهاب الدين أمد السلاوي الشافعي (ت/ ٨١٣) (٣).
- ٦- سعد النواوي (ت/ ٨٠٥) (٤).
- ٧- ابن عنقة البسكري (ت/ ٨٠٤) (٥).
- ٨- مسعود الأنطاكي (ت/ ٨١٥) (٦).
- ٩- محمد الحبتي (ت/ ٨٢٥) (٧).
- ١٠- ابن الحسباني (ت/ ٨١٥) (٨).
- ١١- علي الرمداوي (ت/ ٨١٣) (٩).
- ١٢- محمد ابن الجزري (ت/ ٨٣٣) (١٠).

(١) طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٤٣، والضوء اللامع (٤/ ١٧١-١٧٣).

(٢) ينظر الدرر الكامنة (٥/ ١٣٣)

(٣) الضوء اللامع (٢/ ٨١)، وشذرات الذهب (٧/ ١٠٠-١٠١)

(٤) شذرات الذهب (٧/ ٤٩)

(٥) المرجع السابق (٧/ ٤٦)

(٦) نفس المرجع (٧/ ١١٤)

(٧) الضوء اللامع (٧/ ١٠٧)، وشذرات الذهب (٧/ ١٧١)

(٨) لحظ الألاحظ لابن فهد ص ٢٤٥

(٩) الضوء اللامع (٥/ ٢٢١-٢٢٢)، وشذرات الذهب (٧/ ١٠٢).

(١٠) الضوء اللامع (٩/ ٢٥٦)، وشذرات الذهب (٧/ ٢٠٥).

٨- ثناء العلماء عليه:

لقد تَبَوَّأَ الإمام ابن كثير - رحمه الله - منزلة عليّة في العلم الشرعي، فقد جاهد نفسه في سبيل تحصيله حتى صار إماماً كبيراً في الحديث والتفسير والفقه والأصول والتاريخ، وقد ذاع صيته في زمنه - رحمه الله -، ومما يدل على ذلك ما ذكره في كتابه البداية والنهاية^(١) أن شاباً أعجمياً حضر " من بلاد تبريز وخراسان يزعم أنه يحفظ البخاري ومسلماً وجامع المسانيد والكشاف للزمخشري وغير ذلك من محاضيرها، في فنون آخر، فلما كان يوم الأربعاء سلخ شهر رجب قرأ في الجامع الأموي بالحائط الشمالي منه، عند باب الكلاسة من أول صحيح البخاري إلى أثناء كتاب العلم منه، من حفظه وأنا أقابل عليه من نسخة بيدي، فأدّى جيداً، غير أنه يُصَحِّفُ بعضاً من الكلمات لعجم فيه، وربما لحن أيضاً في بعض الأحيان، واجتمع خلق كثير من العامة والخاصة وجماعة من المحدثين، فأعجب ذلك جماعة كثيرين، وقال آخرون منهم إن سرد بقية الكتاب على هذا المنوال لعظيم جداً، فاجتمعنا في اليوم الثاني وهو مستهل شعبان في المكان المذكور، وحضر - قاضي القضاة الشافعي وجماعة من الفضلاء، واجتمع العامة محدقين فقرأ على العادة غير أنه لم يطول كأول يوم، وسقط عليه بعض الأحاديث، وصحف ولحن في بعض الألفاظ، ثم جاء القاضيان الحنفي والمالكي فقرأ بحضرتيها أيضاً بعض الشيء، هذا والعامة محتفون به متعجبون من أمره، ومنهم من يتقرب بتقبيل يديه، وفرح بكتابتني له بالسماع على الإجازة، وقال: أنا ما خرجت من بلادي إلا إلى القصد إليك، وأن تجيزني، وذكرك في بلادنا مشهور "

وقد أثنى عليه - رحمه الله - شيوخه ومعاصروه وتلاميذه ومن ترجم له، فمن ذلك: ما قاله عنه شيخه الذهبي - رحمه الله -: " الفقيه المفتي المحدث ذي الفضائل عماد الدين إسماعيل ابن عمر بن كثير البصري الشافعي ولد بعد السبعائة أو فيها، وسمع من ابن الشحنة وابن

الزراد وطائفة، وله عناية بالرجال والمتون والفقهاء، خرج وألف وناظر وصنف وفسّر- وتقدم" (١)، وقال عنه في المعجم المختص: "الإمام الفقيه المحدث الأوحى البار... فقيه متفنن، ومحدث متقن، ومفسر نقال، وله تصانيف مفيدة، يدري الفقه، ويفهم العربية، والأصول، ويحفظ جملة صالحة من المتون والتفسير والرجال وأحوالهم، سمع مني، وله حفظ ومعرفة" (٢)

ونقل عنه أبو المحاسن الحسيني في ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي (٣) عن المعجم قوله: "فقيه متقن، ومحدث محقق، ومفسر نقاد"

ونقل عنه ابن حجر في الدرر الكامنة (٤): "فقيه متفنن، محدث متقن، مفسر نقال".

وقال عنه معاصره ابن حبيب الحلبي: "إمام ذوي التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل، سمع وجمع وصنف، وأطرب الأسماع بقوله وشفه، وحَدَّثَ وأفاد، وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير" (٥).

وقال عنه تلميذه أحمد بن حجي السعدي -رحمه الله-: "كان أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث، وأعرفهم بجرحها ورجالها، وصحيحها وسقيمها، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك، وكان يستحضر شيئاً كثيراً من التفسير والتاريخ، قليل النسيان، وكان فقيهاً جيد الفهم، صحيح الذهن، يستحضر شيئاً كثيراً، ويحفظ التنبيه إلى آخر وقت، ويشارك في العربية

(١) تذكرة الحفاظ (٤/١٥٠٠).

(٢) المعجم المختص بالمحدثين للذهبي ص ٧٥.

(٣) ص ٥٨.

(٤) (١/٤٤٦).

(٥) أنباء الغمر بأبناء العمر ١/٤٦.

مشاركة جيدة، وينظم الشعر، وما أعرف أني اجتمعت به على كثرة ترددي إليه، إلا وأفدت منه" (١).

ونقل عنه ابن حجر قوله عن شيخه -ابن كثير-: "ما اجتمعت به قط إلا استفدت منه، وقد لازمته ست سنين" (٢).

ولقبه تلميذه ابن الجزري -رحمه الله-: "الإمام مؤرخ الإسلام، حافظ الشام" (٣).

وقال عنه ابن ناصر الدين -رحمه الله-: "الشيخ الإمام العلامة، الحافظ عماد الدين، ثقة المحدثين، عمدة المؤرخين، عالم المفسرين" (٤).

وقال عنه ابن حجر -رحمه الله-: "كان كثير الاستحضار، حسن المفاكهة، سارت تصانيفه في البلاد في حاته، وانتفع بها الناس بعد وفاته" (٥).

وقال عنه بدر الدين العيني -رحمه الله-: "كان قدوة العلماء والحفاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ، سمع وجمع وصنّف ودرّس وحَدَّث وألّف، وكان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والتاريخ، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهى إليه علم التاريخ والحديث والتفسير، وله مصنّفات عديدة مفيدة" (٦).

(١) طبقات الشافعية (٣/٨٦).

(٢) أنباء الغمر بأبناء العمر ١/٤٦.

(٣) المصعد الأحمّد وقد نشر بأول مسند أحمد ت/ شاكر (١/٤٥).

(٤) الرد الوافر ص ١٦٢.

(٥) الدرر الكامنة (١/٤٤٥).

(٦) نقله عنه ابن تغري بردي الأتابكي في النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١١/١٢٣).

وقال عنه ابن تغري بردي الأتابكي - رحمه الله - في كتابه "المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي" "الشيخ الإمام العلامة... لازم الاشتغال ودأب وحصل وكتب، وبرع في الفقه والتفسير والحديث...، وجمع وصنّف ودرّس وحدّث وألّف، وكان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والفقه والعربية وغير ذلك، وأفتى ودرس إلى أن توفي" (١).

وقال عنه السيوطي - رحمه الله -: "الإمام المحدث الحافظ ذو الفضائل... له التفسير الذي لم يؤلف على نمطه مثله" (٢).

وقال عنه الشوكاني - رحمه الله -: "وبرع في الفقه والتفسير والنحو، وأمعن النظر في الرجال والعلل،... وأفتى ودرّس، وله تصانيف مفيدة منها التفسير المشهور، وهو في مجلدات، وقد جمع فيه فأوعى، ونقل المذاهب والأخبار والآثار، وتكلم بأحسن كلام وأنفسه، وهو من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها،... وقد انتفع الناس بمصنفاته ولا سيما التفسير" (٣).

وقد وسّمهُ الكتاني - رحمه الله -: بـ "المحدث المتقن البارع ذي الفضائل والتصانيف التي سارت في البلاد في حياته" (٤).

وغيرهم كثير. فَلِلَّهِ دَرَهُ مِنْ إِمَامٍ سَخَّرَ نَفْسَهُ لِلْعِلْمِ تَعَلِّماً وَتَعْلِيماً وَتَأْلِيفاً.

(١) نقله عنه الشيخ أحمد عبدالرزاق حمزة في أول الباعث الحثيث ص ١٥

(٢) ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي ١ / ٣٦١.

(٣) البدر الطالع ص ١٦٨-١٦٩

(٤) الرسالة المستطرفة ص ١٧٥

رغم ما كان يقوم به الحافظ ابن كثير - رحمه الله - من تدريس وإفتاء ومشاركة في قضايا مجتمعه فإنه لم ينشغل بها عن مجال التأليف، بل خَلَّفَ للمكتبة الإسلامية ثروة علمية في مختلف العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه وأصول وتاريخ وغير ذلك، ما بين مطول ومتوسط ومختصر.

وهذه المصنفات طبع القليل منها، وما زال البعض الآخر حبيس أدراج مكاتب المخطوطات، وفقد الكثير منها كما فقد الكثير من التراث الإسلامي.

وفيما يلي بيان لبعض مؤلفاته - رحمه الله -:

١ - تفسير القرآن العظيم:

سيأتي مزيد تفصيل عنه في المبحث الآتي. منهج ابن كثير في تفسيره.

٢ - فضائل القرآن:

ذكره المؤلف - رحمه الله - في كتابه البداية والنهاية^(١)، ويبيّن أنه كتبه مقدمة للتفسير، حيث يقول: " كما قررنا ذلك في كتاب فضائل القرآن، الذي كتبناه مقدمة في أول كتابنا التفسير والله الحمد والمنة "

٣ - جامع المسانيد والسنن الهاجري لأقوم سنن:

وقد يسميه مؤلفه أحياناً بـ "المسند الكبير"^(٢)، وقد يسميه بـ "السنن"^(٣) وقد جمع فيه مؤلفه عشرة كتب:

١-٦ الكتب الستة.

(١) (٣٤٧/٥)

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم (١/٢٤٣)، (٨/٩٢)، والبداية والنهاية (٢/٣٢٠).

(٣) ينظر البداية والنهاية (٥/٧٧).

٧- مسند أحمد.

٨- مسند البزار.

٩- مسند أبي يعلى.

١٠- المعجم الكبير للطبراني.

وربما زاد.

طبع في المكتبة التجارية بمكة بتحقيق عبد المعطي قلعجي، وطبعت ١٠ أجزاء منه بتحقيق عبد الملك بن دهيش في مكتبة النهضة الحديثة بمكة.

وقال ابن كثير - رحمه الله - في مقدمة الكتاب بعد أن ذكر عمله فيه: «وسميت

كتابي هذا جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن، وهو المسند الكبير»^(١).

٤- اختصار علوم الحديث:

اختصر فيه كتاب «علوم الحديث» لابن الصلاح المشهور باسم: «مقدمة ابن

الصلاح»، وزاد عليه واستدرك وناقش.

طبع الكتاب أولاً بتصحيح وتعليق الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، بمطبعة الماجدية

بمكة سنة ١٣٥٣هـ، باسم «اختصار علوم الحديث» أو «الباعث الحثيث إلى معرفة علوم

الحديث»، ثم شرحه الشيخ أحمد شاکر ونشره في الطبعة الأولى بنفس الاسم الذي سماه الشيخ

محمد عبد الرزاق حمزة، ثم عدل في الطبعة الثانية عن هذه التسمية إلى «الباعث الحثيث شرح

اختصار علوم الحديث» جمعاً بين الاسمين: الاسم الأصلي للكتاب، والاسم الذي اشتهر به

بعد طبعه، كما ذكر ذلك في المقدمة^(٢).

(١) (١١ / ١).

(٢) (ص ١٧-١٨) مقدمة الطبعة الثانية.

٥- التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهل^(١):

ذكر -رحمه الله- أنه جمع فيه بين «تهذيب الكمال» للمزي، و«ميزان الاعتدال» للذهبي، وزاد في تحرير الجرح والتعديل عليهما، ووصفه بأنه من أنفع شيء للفقيه البارع، وكذلك للمحدث^(٢).

وقد أشار إليه في «جامع المسانيد والسنن»^(٣)، وقال: «وهو كالمقدمة لكتابي هذا -أي جامع المسانيد والسنن-»^(٤)، وقد صرح بترتيبه على حروف المعجم في «البداية والنهاية»^(٥)، ويوجد الجزء الثالث منه في مكتبة المسجد النبوي الشريف^(٦)، دار الكتب العلمية بمصر برقم: (٢٤٢٢٧ ب).

٦- مسند أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - :

ذكره ابن كثير في مواضع من تفسيره^(٧)، وهذا الكتاب يعتبر من الكتب المفقودة من كتب ابن كثير -رحمه الله-، وقد رتبته على أبواب الفقه كما صرح بذلك في البداية والنهاية^(٨).

٧- مسند الفاروق - أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه -^(٩).

وقد حققه الدكتور مطر الزهراني في رسالته للدكتوراه المقدمة لجامعة أم القرى سنة ١٤١٦هـ، وطبع عن دار الوفاء، بمصر بتحقيق عبد المعطي قلعجي سنة ١٤١١هـ، وقد رتبته على أبواب الفقه كما صرح بذلك في «البداية والنهاية»^(١٠).

(١) «الباعث الحثيث» (ص ٢٢٨).

(٢) «الباعث الحثيث» (ص ٢٢٧-٢٢٨)، وذكر أنه في عشر مجلدات.

(٣) (١/٤-٥).

(٤) جامع المسانيد والسنن (١/١٠).

(٥) (٨/١٠٣).

(٦) برقم: (٧٤-١٣/١) في (٢٤٠) لوحة.

(٧) (٢/١٢٤، ١٢٨، ٤١٠)، (٣/٢١٢).

(٨) (٥/٢٨٨-٢٨٩).

(٩) ينظر: «تفسير القرآن العظيم» (٢/١٢٨)، (٥/٤٩٦)، و«البداية والنهاية» (٧/٥٨-٥٩).

(١٠) (٥/٢٨٨-٢٨٩)، (٧/٥٨).

٨- مسند الشيخين:

ذكره ابن كثير - رحمه الله - في فضائل القرآن، عند ذكره للقراء من أصحاب النبي ﷺ، وبيان أن أبا بكر منهم، قال: «وقد بسطت تقرير ذلك في كتاب مسند الشيخين»^(١)، وهذا الكتاب يعتبر من كتب ابن كثير - رحمه الله - المفقودة.

٩- سيرة أبي بكر الصديق:

ذكر ذلك في «التفسير»^(٢)، وفي «البداية والنهاية»^(٣).

وهو ومسند أبي بكر الصديق واحد، فقد قال في «البداية والنهاية»^(٤): «وقد كتبت هذه الطرق مستقصاة في الكتاب الذي أفردناه في سيرة الصديق - رضي الله عنه -، وما أسنده من الأحاديث عن رسول الله ﷺ، وما روي عنه من الأحكام مبنية على أبواب العلم، والله الحمد والمنة».

١٠- سيرة عمر بن الخطاب:

ذكر ذلك في «التفسير»^(٥)، وفي «البداية والنهاية»^(٦).

ملاحظة:

قال ابن كثير - رحمه الله - في «البداية والنهاية»^(٧) في معرض ذكره لسيرة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -:

(١) (١/٥٤).

(٢) (٧/٤٠٠).

(٣) (٣/٢٧، ١٨٠)، (٦/٣٠٢)، (٧/٣١).

(٤) (٦/٣٠٢).

(٥) (٧/٢٩٨)، (٨/٢١٨).

(٦) (٣/٢٧، ٢٠٧)، (٦/٢٠١)، (٧/٩٣).

(٧) (٣/٢٧).

"وقد ذكرنا كيفية إسلامه في كتابنا الذي أفردناه في سيرته، وأوردنا فضائله وشهائله، واتبعنا ذلك بسيرة الفاروق أيضاً، وأوردنا ما رواه كل منهما عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من الأحاديث، وما رُوي عنه من الآثار والأحكام والفتاوى، فبلغ ذلك ثلاث مجلدات، والله الحمد والمنة"

وقال في موضع آخر^(١):

"وقد ذكرنا ترجمة الصديق -رضي الله عنه- وسيرته وأيامه، وما روى من الأحاديث، وما رُوي عنه من الأحكام في مجلد والله الحمد والمنة، فقام بالأمر من بعده أتم القيام الفاروق ... كما بسطنا ذلك في ترجمة عمر بن الخطاب وسيرته التي أفردناها في مجلد، ومسنده والآثار المروية مرتباً على الأبواب في مجلد آخر والله الحمد".

وهذا يدل على أن مسند الشيخين ومسند أبي بكر ومسند عمر وسيرة أبي بكر وسيرة عمر كلها كتاب واحد، أورد فيه سيرة أبي بكر -رضي الله عنه- وحديثه عن النبي ﷺ في مجلد واحد، ثم أتبعه بسيرة عمر -رضي الله عنه- في مجلد، ثم مروياته -أي عمر- عن النبي ﷺ في مجلد واحد.

١١ - جزء في تكذيب حديث أُج السجل كاتب النبي ﷺ:

ذكره في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾^(٢).

١٢ - شرح صحيح البخاري:

ذكره -رحمه الله- في مواضع من تفسيره^(٣)، و«البداية والنهاية»^(٤).

(١) (١٨/٧).

(٢) سورة الأنبياء: جزء من الآية ١٠٤، ينظر تفسير القرآن العظيم (٣٨٣/٥).

(٣) (٢/٥٦، ٨٦)، (٣/٣٨١، ٥٢٠)، (٤/١٢، ٦٥، ٢٣٩)، (٦/٣٥٤، ٣٩٢، ٤١٨، ٥٥٠)،

(٧/١٩٠، ٣٢٢، ٣٧٠، ٣٨٩، ٤٨٢)، (٨/١١، ٤٩، ١٠٥، ٤٣٧).

(٤) (٣/٣، ١٢٦)، (٤/٢٥٨، ٢٦٦)، (١١/٢٤، ٣٣).

وقد اتفق كثير ممن ترجم للإمام ابن كثير - رحمه الله - على أنه لم يكمله^(١)، ومما يؤكد هذا الأمر أن أكثر عزو ابن كثير - رحمه الله - لهذا الكتاب لأوله، فكثيراً ما يقول: «في أول شرح البخاري» أو يعزو وإن أراد التحديد فإننا يحدد البابين الأولين: الإيذان والعلم.

١٣- مختصر المدخل للسنن الكبرى للبيهقي:

ذكره - رحمه الله - في «مقدمة اختصار علوم الحديث»^(٢).

١٤- البداية والنهاية:

وهذا الكتاب أشهر من أن أثبته للمؤلف - رحمه الله -، ولكن أكتفي بإثباته هو لنفسه، فقد ذكره في مواضع من تفسيره^(٣).

١٥- السيرة النبوية المطولة والموجزة:

ذكره ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره كتاب السيرة النبوية المطولة^(٤)، وذكر كذلك السيرة النبوية الموجزة^(٥)، وفي مواطن نبّه ابن كثير على كتابه السيرة النبوية دون تحديد للمطولة أو الموجزة^(٦).

١٦- مشيخة علماء الدين القونوي

ذكر ذلك في «البداية والنهاية» عند ترجمته لشيخه علاء الدين علي بن إسماعيل القونوي فقد قال: «وخرّجْتُ له مشيخة سمعناه عليه»^(٧).

(١) طبقات الشافعية (٣/٨٦)، و«الدرر الكامنة» (١/٥٤٤)، و«شذرات الذهب» (٦/٣١)، وهو مفقود.

(٢) ص ٩-الباعث الحثيث، وهو مفقود.

(٣) (١/٢٤١)، (٢/٤١)، (٥/١٨٩)، (٨/١٥٦)، (١٧٣).

(٤) (٨/٢٤١).

(٥) (٦/٣٩٨)، وقد وسمه بعض المتأخرين باسم «الفصول في سيرة الرسول»، ويؤيد هذا أنه جاء بهذا الاسم في مخطوط مكتبة أبيصوفيا رقم: (٣٣٣٩).

ينظر: «إيضاح المكنون» (٤/١٩٤)، و«هداية العارفين» (١/٢١٥).

(٦) (١/٤٠٠)، (٤/١٠، ٧٤، ١٥٠)، (٥/١٠٤)، (٨/١١، ١٥٦، ١٧٣، ٥١٣).

(٧) (١٤/١٤٧).

١٧- مشيخة الشيخ شعبان بن أبي بكر بن عمر الأربلي:

ذكر ذلك ابن كثير - رحمه الله - في «البداية والنهاية»^(١) عند ترجمته له، حيث قال: «وخرجت له مشيخة حضرها الأكابر - رحمه الله -».

١٨- سيرة منكلي بغا.

قال السخاوي - رحمه الله -: «و للعماد ابن كثير: سيرة منكلي بغا»^(٢).

١٩- طبقات الشافعية:

ذكره ابن كثير - رحمه الله - في «البداية والنهاية»^(٣) ، وذكر أنه كتب في أوله ترجمة مطولة للإمام الشافعي - رحمه الله -.

٢٠- الكواكب الدراري:

نسبه إليه حاجي خليفة، وإسماعيل باشا البغدادي، وقالوا: «انتخبه ابن كثير من تاريخه الكبير»^(٤)، وهو في ثلاثة مجلدات.

٢١- وعد ابن كثير - رحمه الله - بإفراج ترجمة لشيخ الإسلام ابن تيمية:

وعد بذلك في مواطن من كتابه «البداية والنهاية»^(٥) ولكن لا يعلم هل وفى بذلك - رحمه الله - أم لا؟ ولعلّ عدم ذكر هذا الكتاب لابن كثير - رحمه الله - يرجح أنه لم يحقق هذه الأمنية، والله أعلم.

٢٢- جزء في فتح القسطنطينية:

ذكره ابن كثير - رحمه الله - في «تفسيره»^(٦).

٢٣- مقدمة في معرفة أنساب العرب والعجم:

ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره^(٧) وأنه جمعها من كتاب «الإنباه» لأبي عمر ابن عبد البر، ومن كتاب «القصص والأمم في معرفة أنساب العرب والعجم».

(١) (١٤/٦٤).

(٢) «الإعلان بالتوبيخ» ص ١٧٤.

(٣) (٦/٢٥١)، (١٠/٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٤). وتوجد النسخة الخطية في مكتبة (تشرتبي) برقم: (٣٣٩٠)،

(٣٣٩٠)، وفي مكتبة الكتاني بالمغرب نسختين.

(٤) «كشف الظنون» (٢/١٥٢١)، و «هداية العارفين» (١/٢١٥).

(٥) (١٤/١٣٩، ١٤١).

(٦) (٢/٤٨).

(٧) (٧/٣٨٥).

٢٤- مولد الرسول ﷺ:

لم يذكر هذا الكتاب من ترجم لابن كثير - رحمه الله - وإنما وجد المخطوطة الدكتور صلاح المنجد، بمكتبة جامعة برنستون بأمريكا، وتاريخها يرجع إلى سنة ٧٨٦هـ فحققتها ونشرها في عام ١٩٦١م.

٢٥- الأحكام الكبير:

ذكره ابن كثير - رحمه الله - في مواطن كثيرة من تفسيره^(١). وذكره السيوطي أنه - أي ابن كثير - شرع في كتاب كبير في الأحكام ولم يتمه^(٢)، وذكره ابن قاضي شعبة في «طبقات الشافعية» إلى أنه وصل فيه إلى كتاب الحج^(٣). ويوجد منه الجزء الثالث بدار الكتب الوطنية بتونس، برقم: (١٦٨) من كتاب الأذان إلى أثناء كتاب الصلاة.

٢٦- الأحكام الصغير:

ذكره ابن كثير - رحمه الله - في كتاب اختصار علوم الحديث، وبين أنه مغاير للأحكام الكبير^(٤).

٢٧- كتاب الصيام:

ذكره ابن كثير - رحمه الله - في مواطن من تفسيره^(٥).

٢٨- جزء في ميراث الأبوين مع الإخوة:

ذكره - رحمه الله - في «تفسيره»^(٦).

(١) منها (١/٢٤٩، ٤٢٤، ٥٣٥، ٦٣٥)، (٣/٥٨)، وغيرها.

(٢) «طبقات الحفاظ» (ص ٥٣٤).

(٣) (٣/٨٦).

(٤) ص ١٩١ من الباعث الحثيث.

(٥) (١/٥٠٥، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٣)، (٤/١٤٧)، (٦/٤٦٨).

(٦) (٢/٢٢٨).

٢٩- جزء في حكم الذبيحة التي لم يسمَّ عليها:

ذكره - رحمه الله - في «تفسيره»^(١) ولكن لم ينص على عنوانه، وإنما نص على

مضمونه.

٣٠- جزء في المراكب بالصلاة الوسطى:

ذكره - رحمه الله - في «تفسيره»^(٢)

٣١- جزء في بيان بطلان وضع الجزية عن يهود خيبر:

ذكره - رحمه الله - في «البداية والنهاية»^(٣).

٣٢- بيع أمهات الأولاد:

ذكره - رحمه الله - في «البداية والنهاية»^(٤).

٣٣- تحريم الجمع بين الأختين:

ذكره - رحمه الله - في «البداية والنهاية»^(٥).

٣٤- جزء في زواج رسول الله ﷺ من أم سلمة وبيان أن الذي ولي عقدها ابنها

سلمة:

ذكره - رحمه الله - في «البداية والنهاية»^(٦).

٣٥- جزء في الأحاديث الواردة في قتل الكلاب:

«البداية والنهاية»^(٧).

(١) (٣/٣٢٧).

(٢) (١/٦٥٨).

(٣) (٤/٢١٩)، (٥/٣٥٢)، (١٢/١٠٢)، (١٤/١٩).

(٤) (٥/٣٠٤).

(٥) (٥/٣٥٤)، (٨/٢١)، (١١٩).

(٦) (٤/٩٠-٩١).

(٧) (١٤/٢٢٧).

٣٦- إرشاد الفقيه إلى معرفة أدلة التنبية:

ذكره ابن حجر في «الدرر الكامنة»^(١)، وقد حققه الأستاذ/ محمد إبراهيم السامرائي.

٣٧- تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب:

طبعه الأستاذ/ عبد الغني الكبيسي، في دار حراء بمكة المكرمة سنة ١٤٠٦ هـ.

٣٨- أحاديث الأصول:

ذكره - رحمه الله - في «تفسيره»^(٢).

٣٩- المقدمات:

لعله في علم أصول الفقه؛ لأنه ذكره - رحمه الله - عند حديثه عن المرسل في «اختصار

علوم الحديث»^(٣) فقال: «أما كونه حجة في الدين فذلك يتعلق بعلم الأصول، وقد أشبعنا

الكلام في ذلك في كتابنا (المقدمات)»، وقد أشار إليه في تفسيره^(٤).

٤٠- جزء في الأحاديث الواردة عن المهدي:

ذكره ابن كثير - رحمه الله - في «البداية والنهاية»^(٥).

٤١- البحث والنشور:

ذكره - رحمه الله - في «تفسيره»^(٦).

٤٢- جزء في دخول مؤمني الجن الجنة:

ذكره - رحمه الله - في «تفسيره»^(٧).

(١) (١/٤٤٥).

(٢) (٢/٤١٤).

(٣) «الباعث الخيبي» (ص ٥٧).

(٤) (٥/٢٦٤).

(٥) (٦/٢٤٧-٢٤٨).

(٦) (١/٢٦٠).

(٧) (٧/٣٠٤).

- ٤٣- جزء في حديث الصور:
ذكره في «تفسيره»^(١).
- ٤٤- جزء في بناء المساجد واحترامها وتوقيرها وتطيبها وتبخيرها:
ذكره - رحمه الله - في «تفسيره»^(٢).
- ٤٥- جزء في فضل يوم عرفة:
ذكره - رحمه الله - في «تفسيره»^(٣).
- ٤٦- جزء في الأحاديث الواردة في فضل الأيام العشر من ذي الحجة:
ذكره - رحمه الله - في «تفسيره»^(٤).
- ٤٧- جزء أحاديث كفارة المجلس:
ذكره في «تفسيره»^(٥).
- ٤٨- صفة النار:
ذكره - رحمه الله - في «تفسيره»^(٦).
- ٤٩- صفة الجنة:
ذكره - رحمه الله - في «تفسيره»^(٧).
- ٥٠- الاجتهاد في طلب الجهاد:
وقد طبعه د. عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، في دار اللواء، الرياض، سنة ١٤٠٠هـ.

(١) (٢٨٨/٣).

(٢) (٤٢٥/١) (٦٢/٦).

(٣) (٥٦٠/١).

(٤) (٤١٥/٥).

(٥) (٤٧/٧)، (٥١٣/٨).

(٦) (٤٦٩/٨).

(٧) (٥١٨/٧).

٥١- وعنه - رحمه الله - ب: جزء في الأحاديث الواردة في الفتن:

وذلك في «تفسيره»^(١)، ولكن لا يعلم هل وُقِّيَ بذلك أم لا؟!!

١٠- وفاته:

توفي الإمام ابن كثير - رحمه الله - في شهر شعبان من سنة ٧٧٤هـ، قيل في الخامس عشر منه^(٢)، وقيل في يوم الخميس السادس والعشرين^(٣) بعد العطاء الحافل في مسيرته العلمية.

وكان قد كف بصره في آخر عمره^(٤)، يقول - رحمه الله - عن نفسه لتلميذه ابن الجزري الجزري - رحمه الله -: «لا زلتُ أكتب فيه في الليل - أي كتابه جامع المسانيد - والسراج ينونص، حتى ذهب بصري معه»^(٥).

ودفن ابن كثير - رحمه الله - بوصية منه في تربة شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بمقبرة الصوفية خارج باب النصر من دمشق^(٦).

وقد رثاه أحد طلابه فقال:

لفقدك طلاب العلوم تأسفوا وجادوا بدمع لا يبید غزير
لو مزجوا ماء المدامع بالدماء لكان قليلاً فيك يا ابن كثير^(٧).

(١) (٣٨/٤)

(٢) ذكره ابن حجر في «إنباء الغُمر» (٤٦/١).

(٣) ذكره ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» (١٢٣/١١).

(٤) «الدرر الكامنة» (٤٤٦/١).

(٥) «المصعد الأحمدي في ختم مسند أحمد - طبع مع المسند - تحقيق أحمد شاكر» (٤٥/١).

(٦) ينظر: «الرد الوافر» ص ١٦٢، وينظر: «طبقات الشافعية» (٨٦/٣)، و«الدارس في أخبار المدارس»

(٢٨/١).

(٧) ينظر: «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي (١٢٤/١١).

فرحمه الله من إمام جَهْدٍ أفنى حياته في العلم والتعليم والتأليف، وجمعنا به في دار كرامته،
في فردوسه الأعلى، آمين.

التعريف بتفسير الحافظ ابن كثير - رحمه الله - (١)

* عنوان الكتاب:

المشهور في تسمية هذا التفسير هو "تفسير القرآن العظيم"، وهو المثلث على طرة المحفوظة بمكتبة شستربتي بإيرلندا برقم (٣٤٣٠)، والتي كتبت في حياة المؤلف، وتحتوي على الجزء الأول، ويبدأ من أول التفسير، وينتهي بتفسير الآية (٢١٨)، من سورة البقرة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢١٨) كما ذكر ذلك الشيخ سامي بن محمد السلامة في مقدمة تحقيقه لتفسير ابن كثير - رحمه الله - (٢).

* صحة نسبة التفسير إليه:

إن صحة نسبة هذا التفسير للإمام ابن كثير - رحمه الله - أمر لاشك فيه، ولولا أن الدراسات الأكاديمية تتطلب هذا لأعرضت عنه صفحاً. فمن الأدلة على ذلك:

- (١) ذَكَرَ ابن كثير - رحمه الله - تفسيره في مواضع كثيرة جداً من كتاب البداية والنهاية (٣).
- (٢) كل من ترجم لابن كثير - رحمه الله - يصفه بالمفسر ويذكر التفسير من مؤلفاته. ومنهم الذهبي في معجم المحدثين (٤)، وابن قاضي شهبة في طبقاته (٥)، وابن حجر في الدرر

(١) كُتبت دراسات مستقلة عن منهج ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره، منها: منهج ابن كثير في التفسير للدكتور سليمان اللاحم، وحياة ابن كثير وكتابه تفسير القرآن العظيم للدكتور محمد الفالح، وغيرهما. وقد استفدت منها.

(٢) (٤٣/١).

(٣) أذكر ما ورد في الجزء الأول فقط (٨/١)، ٣٠، ٣٤، ٣٩، ٤٠، ٤٨، ٥٨، ٦٠، ٧٠، ٧١، ٩٢، ٩٤، ١٠٤، ١٠٦، ١٢٠، ١٢٣، ١٣٢، ١٦٠، ١٦٥، ١٦٧، ١٧٨، ١٩٧، ٢٠٤، ٢٣٧، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٨٤، ٢٩٠، ٢٩٤، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١١، ٣٢٠، ٣٢٢).

(٤) ص ٧٤.

(٥) (٨٥/٣).

الكامنة^(١)، والسيوطي في طبقات الحفاظ^(٢)، والشوكاني في البدر الطالع^(٣)، وغيرهم.

(٣) جميع النسخ الخطية للتفسير تنسبه للإمام ابن كثير - رحمه الله -.

(٤) الإحالات فيه إلى كتبه الأخرى كالبداية والنهاية والسيرة والأحكام وغيرها.

* تاريخ تأليف التفسير.

قال ابن كثير - رحمه الله - عند تفسيره لسورة الأنبياء^(٤): "...منهم شيخنا الحافظ الكبير أبو الحجاج المزي - فسح الله في عمره ونسأ في أجله وختم له بصالح عمله -". فهذا يدل على أنه ألف أكثر من نصف التفسير في حياة شيخه المزي، والمزي - رحمه الله - توفي سنة ٧٤٢ هـ، واقتبس منه الإمام الزيلعي في كتابه تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ١٨٠)، والزيلعي قد توفي في سنة ٧٦٢ هـ، فهذا يدل على أن هذا التفسير قد انتشر في هذه الفترة، قبل وفاة مصنفه بأكثر من ١٢ سنة.

وذكر الشيخ الدكتور محمد عبد الله الفالح - وفقه الله - احتمال أن يكون بدأ في تصنيفه سنة ٧٣٧ هـ بدليل ما جاء في النسخة الخطية المحفوظة في المكتبة السلليمانية بتركيا برقم (١٢٣): "ووافق آخر التعليق يوم الجمعة رابع عشر ذو القعدة ٧٤١ هـ، فكتب الجميع في نحو أربع سنين"^(٥).

(١) (١/ ٤٤٥).

(٢) ص ٥٣٤.

(٣) ص ١٦٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٣٨٣).

(٥) ينظر: حياة ابن كثير وكتابه التفسير ص ٦٨.

* منهج ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره.

ذكر ابن كثير - رحمه الله - منهجه في التفسير في مقدمته له، حيث نقل مقدمة شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في أصول التفسير. فقال: "فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، فإن أعيك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له... إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح لا سيما علماءهم وكبرائهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم...." (١).

فمن خلال هذا النص نجد أنه - رحمه الله - رسم لنفسه منهجاً لِيَسِيرَ عليه في تفسيره مرتضياً له، وقد وَفَّى - رحمه الله - بهذا المنهج.

وقد رتب - رحمه الله - منهجه في تفسيره وفق الترتيب الآتي:

(١) تفسير القرآن بالقرآن. يقول - رحمه الله - : "فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر" (٢).

ومن تفسير القرآن بالقرآن، التفسير بمعونة السياق، وكذا القراءات، وقد اعتبر - رحمه الله - هذه الطريقة وهي الابتداء بتفسير القرآن الكريم من القرآن نفسه هي أولى ما يفسر - به القرآن، وأنها أحسن وأصح طرق التفسير، فالقرآن الكريم تبياناً لكل شيء، يقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٣)،

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٨٧).

(٢) المصدر السابق (١/ ٧).

(٣) سورة النحل: جزء من الآية ٤٩.

فإن كان تبيانا لكل شيء، "فمن الأولى أن يكون مبيّناً مفصلاً في نفسه، إما بكونه جاء من عند الله مبيّناً مفصلاً أصلاً، وإما أن الله جعل بعضه موضحاً ومفصلاً لبعض، وبما أنه لا تنافي بين هاتين الحالتين، وكل منهما يتصور وجوده في القرآن، فالكل منهما حق وصدق" (١).

وقد أولى - رحمه الله - دلالة السياق القرآني أهمية بالغة كما سيتبين من خلال الجانب التطبيقي لذلك.

وهذه الطريقة التي اعتمدها ابن كثير - رحمه الله - هي أهم ما يميز تفسيره عن بقية التفاسير وفي هذا يقول الشيخ أحمد محمد شاكر - رحمه الله - في منهج اختصاره لتفسير ابن كثير - رحمه الله - : " حافظت كل المحافظة على الميزة الأولى لتفسير ابن كثير، الميزة التي انفرد بها عن جميع التفاسير التي رأيناها، وهي تفسير القرآن بالقرآن، وجمع الآيات التي تدل على المعنى المراد من الآية المفسرة أو تؤيده وتقويه، فلم أحذف شيئاً مما قاله المؤلف الإمام الحافظ في ذلك" (٢).

فإن عُدِمَ هذا النوع من التفسير لجأ إلى النوع الثاني وهو:

(٢) تفسير القرآن بالسنة.

قال - رحمه الله - : " فإن أعيانك ذلك - أي: تفسير القرآن بالقرآن - فعليك بالسنة فإنها

شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي،

رحمه الله: كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن. قال الله

تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ

خَصِيماً﴾ (١٠٥) ، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ

(١) منهج ابن كثير في التفسير. د. سليمان اللاحم ص: (١٨٤).

(٢) عمدة التفسير (١/٨).

(٣) سورة النساء: ١٠٥.

يَنْفَكِرُونَ ﴿٤٤﴾^(١) ، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾^(٢).

ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه"^(٣) يعني: السنة. والسنة أيضًا تنزل عليه بالوحي، كما ينزل القرآن؛ إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن، وقد استدل الإمام الشافعي، -رحمه الله- وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة ليس هذا موضع ذلك.

والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: "بم تحكم؟" قال: بكتاب الله. قال: "فإن لم تجد؟" قال: بسنة رسول الله. قال: "فإن لم تجد؟" قال: أجتهد برأى. قال: فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره، وقال: "الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله"^(٤) وهذا الحديث في المساند والسنن بإسناد جيد^(٥)، كما هو مقرر في

(١) سورة النحل: جزء من الآية ٤٤.

(٢) سورة النحل: ٦٤.

(٣) رواه أبو داود في سننه، في كتاب السنة، باب في لزوم السنة، برقم (٤٦٠٤)، وأحمد في مسنده (٤/١٣٠) برقم (١٧٣٠٦)، واللفظ له، عن المقدم بن معدي كرب -رضي الله عنه-، وصححه الألباني -رحمه الله- في صحيح سنن أبي داود، برقم (٤٦٠٤).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٥٩٣)، والترمذي (١٣٢٨)، من طريق الحارث بن عمرو عن أناس من أهل حمص من أصحاب معاذ بن جبل -رضي الله عنه- مرسلًا. وبه ثلاث عِلل: الأولى: الإرسال. الثانية: جهالة أصحاب معاذ -رضي الله عنه-. الثالثة: جهالة الحارث بن عمرو. وقد ضعّف الحديث جمع من الأئمة مثل: البخاري الترمذي والدارقطني وابن حزم وعبد الحق الأشبيلي وابن الجوزي وابن طاهر والألباني وغيرهم. ينظر التاريخ الكبير (٢/٢٧٧)، التلخيص الحبير (٤/١٨٢-١٨٣)، السلسلة الضعيفة للألباني برقم (٨٨١).

(٥) قرأت بخط العلامة الألباني -رحمه الله- على نسخته لتفسير ابن كثير -رحمه الله- أن هذا الحكم على الحديث ليس من ابن كثير، وإنما من ابن تيمية، من ضمن ما نقله ابن كثير عنه من مقدمة في أصول التفسير، ودلّل على هذا بأن ابن كثير ضعّف الحديث في تحريجه لأحاديث مختصر ابن الحاجب ص ١٥١-١٥٥.

موضعه" (١).

وهذا النوع أيضاً مما يميز تفسير ابن كثير - رحمه الله -؛ لأن مصنفه إمام في الحديث الشريف وعلومه " فهو لا يتميز بكثرة الاستشهاد بالأحاديث واستحضارها فحسب، بل أضاف إلى ذلك مهارته في الصناعة الحديثية" (٢) فحكم على الأحاديث وصحح وضعف، وعلل ورجح، ولم يسبق في هذا - رحمه الله -.

وإن عُدَّ هذا النوع من التفسير انتقل إلى النوع الثالث، وهو:

(٣) تفسير القرآن الكريم بأقوال الصحابة - ﷺ:

يقول - رحمه الله -: " وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماءؤهم وكبرائؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وعبد الله بن مسعود ﷺ - ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس، ابن عم رسول الله ﷺ، وترجمان القرآن، ببركة دعاء رسول الله ﷺ له، حيث قال: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) (٣) (٤)."

وإن عُدَّ هذا النوع انتقل إلى النوع الرابع وهو:

(٤) تفسير القرآن الكريم بأقوال التابعين وأتباعهم - رحمهم الله -:

يقول - رحمه الله -: " إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جبر فإنه كان

(١) مقدمة تفسير القرآن العظيم (٧/١).

(٢) حياة ابن كثير وكتابه التفسير د. محمد الفالح ص: (١٠٢) بتصرف.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (١/٢٦٦، ٣٢٨، ٣٣٥)، وصححه الحاكم في المستدرک (٣/٥٣٤)، ووافقه الذهبي، وكذا الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٥٨٩)، وقد روى الشطر الأول من الحديث (اللهم فقهه في الدين) البخاري في صحيحه برقم (١٤٣)، ومسلم في صحيحه برقم (٦٤٥١)، وغيرهما.

(٤) مقدمة تفسير القرآن العظيم (١/٨٠٧).

آية في التفسير، ... وكسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق ابن الأجدع، وسعيد بن المسيب، وأبي العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك بن مزاحم، وغيرهم من التابعين، وتابعيهم، ومن بعدهم، فتذكر أقوالهم في الآية، فيقع في عبارتهم تباين في الألفاظ، يحسبها من لا علم عنده اختلافاً، فيحكيها أقوالاً، وليس كذلك، فإنَّ منهم من يعبر عن الشيء بلازمه، أو بنظيره، ومنهم من ينصّ على الشيء بعينه، والكل بمعنى واحد في أكثر الأماكن، فليتفطن اللبيب لذلك، والله الهادي" (١).

فهو - رحمه الله - يحشد في تفسيره للآية ما توافر لديه من روايات عنهم في تفسيرها ولو تقاربت العبارات، أو تعددت الروايات عن أحدهم.

(٥) اللغة العربية:

قد أشار إلى ذلك عند حديثه عن أقوال التابعين في التفسير فقال: "فإن اختلفوا فلا يكون بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك" (٢). وهو - رحمه الله - يستشهد بلغة العرب شعراً ونثراً، ويوظف ذلك في الكشف عن المعنى، وهذا الذي ذكره ابن كثير في مقدمته سار عليه عملياً في تفسيره للقرآن الكريم، وفق هذا الترتيب.

و من سمات منهجه في التفسير أيضاً:

(٦) موقفه المعتدل من الإسرائيليات:

قال - رحمه الله - في مقدمته - بعد إيراده لحديث الإذن في الرواية عن بني إسرائيل - :
"ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها على ثلاثة أقسام:
أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق. فذاك صحيح.

(١) تفسير القرآن العظيم (١ / ١٠).

(٢) مقدمة تفسير القرآن العظيم (١ / ١٠).

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به، ولا نكذبه، وتجاوز حكايته؛ لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني^(١).
وقال - رحمه الله - في موضع من تفسيره^(٢) - عن الإسرائيليات - : "فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه؛ لموافقته الصحيح، وما خالف شيئاً من ذلك رددناه، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه، ولا نكذبه، بل نجعله وقفاً، وما كان من هذا الضرب منها فقد ترخص كثير من السلف في روايتها، وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه، ولا حاصل له، مما ينتفع به في الدين، ولو كانت فائدته تعود على المكلفين في دينهم لبيته هذه الشريعة الكاملة الشاملة، والذي نسلكه في هذا التفسير: الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية؛ لما فيها من تضييع الزمان، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم، فإنهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها، كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الأمة".

وقد يذكر - رحمه الله - في مواطن من التفسير بعض الإسرائيليات المخالفة لشريعتنا دون نقد لها، ولكنها بالجملة قليلة، ولعل السبب في ذلك أنه غلبه ما وجد من الروايات في كثير من المواطن، فأثبت طائفة منها^(٣)، وهي من قبيل مباحة النقل، مما لم توافق شريعتنا ولم تخالفها، فتذكر للاستئناس لا للاعتقاد.

(١) مقدمة تفسير القرآن العظيم (٩ / ١).

(٢) (٣٤٧-٣٤٨).

(٣) ينظر: منهج ابن كثير في التفسير د. اللاحم ص: (٢٤٨).

ويمكن تلخيص موقف ابن كثير - رحمه الله - من الإسرائيليات بأن تعامله معها على نوعين^(١):

الأول: الإعراض عنها. فيترك ما أورده غيره من الإسرائيليات إعراضاً عنها دون إشارة إليها.

الثاني: إيرادها. وله في ذلك ثلاثة طرق في التعامل معها:

الأول: النقد الإجمالي: ينظر تفسيره لسورة ص: ٢١-٢٤.

الثاني: النقد التفصيلي: ينظر تفسيره لسورة المائدة: ٢٢.

الثالث: السكوت عنها وعدم النقد: ينظر تفسيره لسورة البقرة: ٢٥٨.

(٧) يذكر - رحمه الله - الأحكام الفقهية والأصولية واختلاف العلماء فيها وأدلتهم بتوسط، ويرجح ويناقش أحياناً ويرجح.

وقد تناول - رحمه الله - هذه الأحكام بحدود المعقول والمقبول في تفسير القرآن، فلم يُهمل الكلام على الأحكام والمقام يتطلبه، ولم يُحْمَل النص القرآني ما لم يدل عليه، وإن كان هناك استطراد في بعض المواضع فهو إلى حد مستساغ مقبول^(٢).

هذه أبرز معالم منهج ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره.

* مميزات تفسير ابن كثير - رحمه الله -^(٣):

لتفسير ابن كثير - رحمه الله - مميزات كثيرة، جعلته يتبوء منزلة رفيعة بين كتب التفسير، من أهمها:

(١) حياة ابن كثير وكتابه التفسير د. الفالح ص ١٠٧، وذكر أنه أفاده بذلك د. حمد بن إبراهيم الشتوي، وهذا من أمانته العلمية - وفقه الله -.

(٢) منهج ابن كثير في التفسير د. اللاحم ص (٣٠٨).

(٣) مستفاد من كتاب منهج ابن كثير في التفسير ص (٤١٩-٤٢٠) بتصرف.

- ١ . اختياره وتطبيقه لأحسن وأصح طرق التفسير للقرآن الكريم: تفسير القرآن الكريم بالقرآن، ثم بالسنة ثم بأقوال الصحابة ثم بأقوال التابعين وتابعيهم، مع الرجوع إلى لغة القرآن والسنة أو لغة العرب عند الاختلاف.
- ٢ . العناية بدلالة السياق القرآني في التفسير - سواء نص عليها أم لا.
- ٣ . اهتمامه باللغة العربية وعلومها، واتخاذها مصدراً من مصادر التفسير.
- ٤ . تمسكه بعقيدة السلف الصالح أثناء تفسيره لآيات العقائد والصفات، وكذا رده على أهل البدع متى ما سمح المجال بذلك.
- ٥ . اهتمامه بذكر الأسانيد للأحاديث والآثار مع تطبيقاته للصناعة الحديثية من تصحيح وتضعيف ونقد وإعلال وترجيح.
- ٦ . اهتمامه بذكر القراءات مع حمل بعضها على بعض، وبيان عدم اختلافها - وإن كان هو مقل في ذلك، أي: في أصل إيراد القراءات -.
- ٧ . اهتمامه بذكر أسباب النزول، مع التحقيق والتمحيص في هذا - سواء من جهة السند أو من جهة الموافقة أو المخالفة لنظم الآيات، ويتبين هذا من خلال الجانب التطبيقي في هذه الرسالة، في "أثر السياق على أسباب النزول".
- ٨ . اهتمامه بمناقشة أقوال المفسرين وأسانيدهم - غالباً - وبيان الصحيح والضعيف والراجح منها.
- ٩ . اهتمامه بذكر الأحكام الفقهية والأصولية واختلاف الأئمة وأدلتهم مع الترجيح غالباً - وإن كان مقللاً أو متوسطاً في هذا الأمر -.
- ١٠ . اهتمامه بذكر المعاني الإجمالية للآية بأسلوب سهل وسلس بعيداً عن التعقيد والكلفة، يدركه العامي، ويشبع رغبة العلماء في آن واحد.
- ١١ . تعداده لكثير من أقوال السلف مع نسبه لقائلها - ولو كانت بمعاني متقاربة - مما يزيد المعنى وضوحاً.
- ١٢ . موقفه المعتدل بالنسبة للأخبار الإسرائيلية.

- ١٣ . أمانته العلمية في النقل، حيث ينسب النقولات إلى مصادرها غالباً.
- ١٤ . عدم استطراده في المباحث الكلامية والنحوية والبلاغية والفلكية والطبيعية وغيرها، وأخذه منها ما تتطلبه الحاجة في التفسير.
- هذا أهم ما يمكن أن يقال في التعريف بتفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ ابن كثير - رحمه الله - مع الاختصار لتطلب المقام لذلك، والله الموفق.

الباب الأول

السياق القرآني

وأثره في التفسير

الفصل الأول

السياق والأهمية

المبحث الأول

تعريف السياق القرآني.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف السياق لغة.

المطلب الثاني: تعريف السياق اصطلاحاً.

المطلب الأول

تعريف السياق لغةً

أصل لفظة "سياق" هي: سواق، فقلبت الواو ياءً لكسرة السين، وهما مصدران من ساق يسوق. قاله ابن الأثير^(١) - رحمه الله - .

قال ابن فارس^(٢) - رحمه الله - : "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو: حدو الشيء، يقال: ساقه يسوقه سوقاً، والسَّيِّقَةُ: ما استيق من الدواب، ويقال: سقت إلى امرأتي صداقها، وأسقتُهُ. والسُّوق مشتقة من هذا؛ لما يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق، والساق

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٢٤)، وابن الأثير هو: العلامة البارع البليغ مجد الدين أبو السعادات، المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الشافعي الجرجي ثم الموصلية، المعروف بابن الأثير ولد سنة ٥٤٤ هـ، محدث أصولي فقيه لغوي بارع، من مؤلفاته: النهاية في غريب الحديث والأثر، وجامع الأصول في أحاديث الرسول، والإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف، جمع فيه بين تفسيري الثعلبي والزمخشري، والشافي في شرح مسند الشافعي، وغيرها. توفي سنة ٦٠٦ هـ. انظر وفيات الأعيان (٤/ ١٤١)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/ ٣٦٦)، سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٨٨).

(٢) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي القزويني، كان شافعيًا ثم تحول مالكيًا، كان محدثًا متقنًا، ونحويا على طريقة أهل الكوفة، ولغويا بارعا، وأحد أئمة الأدب المرجوع إليهم، صنف جامع التأويل في تفسير القرآن، وغريب إعراب القرآن، ومعجم مقاييس اللغة، والصاحبي في فقه اللغة وغيرها، قال الذهبي أصبح ما قيل في وفاته سنة ٣٩٥ هـ.

انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي (١/ ٥٣٣)، التدوين في تاريخ قزوين للرافعي (٢/ ٢١٥)، طبقات المفسرين للدواودي (١/ ٩٢)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروز أبادي ص ٦١.

للإنسان وغيره، والجمع سوق، وإنما سميت بذلك لأن الإنسان ينساق عليها... وسوق الحرب: حومة القتال^(١).

وقال الأزهري^(٢) - رحمه الله - نقلاً عن أبي عبيد^(٣) - رحمه الله -: "تساوقت الإبل تساوقاً، إذا تتابعت وكذلك تقاودت"^(٤).

وقال الجوهري^(٥) - رحمه الله - : "يقال: ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحد: أي بعضهم على إثر بعض، ليس بينهم جارية، والسياق نزع الروح، يقال: رأيت فلاناً يسوق: أي ينزع عند الموت"^(٦).

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/١١٧).

(٢) أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي الشافعي، إمام جليل، رأس في اللغة والفقه، جمع فنون الأدب وحشرها، ورفع راية العربية ونشرها، ولد سنة ٢٨٢هـ، صنف التقريب في التفسير، والتهديب في اللغة، وتفسير مختصر ألفاظ المزي، وعلل القراءات وغيرها. توفي سنة ٣٧٠هـ. وفيات الأعيان (٤/٣٣٤)، معجم الأدباء (٥/١١٢)، سير أعلام النبلاء (١٦/٣١٥)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص ١٨٦.

(٣) هو القاضي أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله البغدادي، مولى الأزدي، كان أبوه مملوكاً رومياً، إمام حافظ مجتهد متفنن، دّين حسن الاعتقاد، ولي قضاء طرسوس، كان يقسم الليل أثلاثاً، فيصلي ثلثه، وينام ثلثه، ويضع الكتب ثلثه، صنّف المصنّفات النافعة الحسنة، منها: غريب القرآن، ومعاني القرآن، والقراءات، والناسخ والمنسوخ، والإيمان، والطهارة، والأموال، وغيرها. توفي بمكة سنة ٢٢٤هـ، وقيل غير ذلك.

الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/٣٥٥)، تاريخ بغداد (١٢/٤٠٣)، سير أعلام النبلاء (١٠/٤٩٠). (٤) تهذيب اللغة (٩/٢٣٤).

(٥) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، إمام في اللغة والأدب والنحو والصرف، عدّه الحموي من أذكى العالم، صنف الصحاح في اللغة، وكتاباً في العروض، ومقدمة في النحو، توفي في حدود سنة ٤٠٠هـ. معجم الأدباء (٢/٢٠٥)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص ٦٦، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (١/٤٤٦).

(٦) الصحاح (٤/١٤٩٩-١٥٠٠).

وسمي النزع سوقاً؛ لأن الروح كأنها تساق لتخرج من البدن. قاله ابن الأثير^(١) - رحمه الله -.

وقال ابن منظور^(٢) - رحمه الله -: "انسأقت وتساوقت الإبل تساوقاً: إذا تتابعت، وكذلك تقاودت، فهي متقاودة ومتساوقة، وفي حديث أم معبد: "فجاء زوجها يسوق أعنزا ما تساوق"^(٣) أي: ما تتابع، والمساوقة: المتابعة، كأن بعضها يسوق بعضاً، والأصل في تساوق: تتساوق، كأنها لضعفها وفرط هزالها تتخاذل ويختلف بعضها عن بعض. ساق إليها الصداق والمهر سيقاً وأساقه، وإن كان دراهم ودنانير؛ لأن أصل الصداق عند العرب الإبل، وهي التي تساق، فاستعمل ذلك في الدراهم والدنانير وغيرها..."^(٤).

وقال الزمخشري - رحمه الله -: "ومن المجاز: ... هو يسوق الحديث أحسن سيقاً، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده"^(٥).

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٢٤).

(٢) جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري، ولد سنة ٦٣٠ هـ، ولي قضاء طرابلس، وكان إماماً فاضلاً فقيهاً أديباً عارفاً بالنحو واللغة والتاريخ، وكان مغرباً باختصار كتب الأدب المطولة، فاختصر الأغاني والعقد والذخيرة وغيرها، وكذا اختصر - التواريخ الكبار كتاريخ دمشق، وصنّف لسان العرب، جمع فيه بين بعض معاجم اللغة، توفي سنة ٧١١ هـ. الدرر الكامنة (٦/ ١٥)، بغية الوعاة (١/ ٢٤٨).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٤٨)، برقم (٣٦٠٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ١٠٢)، وصححه الحاكم في مستدركه (٣/ ١٠)، ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرک.

(٤) لسان العرب (٧/ ٣٠٤-٣٠٥).

(٥) أساس البلاغة ص ٣١٤، والزمخشري هو: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي الحنفي، يلقب بجار الله؛ لأنه جاور بمكة زماناً، ولد سنة ٤٦٧ هـ، إمام في التفسير واللغة والنحو والبلاغة والأدب، متفنن في كل علم، وكان معتزلي المعتقد، مجاهراً به، داعية إليه، ويدس اعتزالياته في ثنايا كلامه دساً، أكثر من التصنيف، فمن مصنفاته: الكشاف في التفسير، والفاثق في غريب الحديث، وأساس البلاغة في اللغة، والمفصل في النحو والمنهاج في الأصول، ورؤوس المسائل في الفقه، وغيرها، توفي سنة ٥٣٨ هـ.

ويَقْصِدُ بالسرد: التوالي والتتابع، قال - رحمه الله - "سَرَدَ الحديث والقراءة: جاء بهما على ولاء"^(١).

وفي المعجم الوسيط^(٢): "سياق الكلام: تتابعه، وأسلوبه الذي يجري عليه"^(٣).
فما سبق نجد أن أغلب هذه التعريفات والاستعمالات تدور على معنى: التتابع والتوالي والجمع والاتصال والتسلسل؛ فسوق الإبل والدواب من تتابعها واتصالها ببعضها، وكذلك مهر المرأة فقد كان الأصل فيه أن يكون من الإبل والدواب فتساق إليها، فاستعمل بعد ذلك في الدراهم والدنانير، وكذا السُّوق لما يجمع إليه ويتابع عليه من البضائع، وكذا سياق المريض فكأن الروح تُجمع وتَساق لتخرج من البدن، وقولهم ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة، فيه معنى الاتصال والتسلسل، فلم يفصل بينهم بجارية، وسياق الكلام من تواليه وتتابعه وتسلسله.

=
معجم الأدباء (٤٨٩/٥)، سير أعلام النبلاء (١٥١/٢٠)، وفيات الأعيان وإنباء الزمان لابن خلكان

(١٦٨/٥)، طبقات المفسرين للداودي (٣١٤/٢).

(١) أساس البلاغة ص ٢٩٣.

(٢) وهو من إعداد مجموعة من العلماء المعاصرين، أصدره مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية.

(٣) ص ٣٣٠.

المطلب الثاني

تعريف السياق اصطلاحاً

لقد اختلف الباحثون في تعريف السياق اصطلاحاً، رغم أنه منصوص عليه منذ القدم، فهذا الإمام الشافعي - رحمه الله - في القرن الثاني يُؤبِّبُ في رسالته باباً يسميه بـ "الصنف الذي يبين سياقه معناه"، ثم يسوق الأمثلة لهذا الباب في بيان دلالة السياق على المعنى.

وسبب اختلاف الباحثين في ذلك أن المتقدمين لم ينصوا على تعريفه اصطلاحاً، وإنما نصوا على أهميته و بعض آثاره كالترجيح وغيره، واجتهدت في التوصل إلى سبب عدم تنصيبهم على تعريفه، والسبب المؤدي إلى اختلاف الباحثين في تعريفهم الاصطلاحي، سأذكره بعد ذكر اختلاف الباحثين في تعريفه^(١) وما ترجح لدي في هذه المسألة - إن شاء الله -.

القول الأول:

يرى بعض الباحثين أن دلالة السياق القرآني مقصورة على المقال دون الحال وهو ما يسميه أهل اللغة "بالسياق اللغوي".

فيعرّف الباحث / عبد الحكيم القاسم - وفقه الله - السياق بأنه: "تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده".

ويعرف دلالة السياق بأنها: "فهم النص بمراعاة ما قبله وما بعده".

ويعرف دلالة السياق في التفسير: "بأنها بيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يخرجها عن السابق واللاحق إلا بدليل صحيح يجب التسليم له"^(٢).

(١) اقتصر على التعريفات الاصطلاحية للباحثين في دلالة السياق القرآني.

(٢) دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير. دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير. ص ٦٢،

وهي رسالة ماجستير غير مطبوعة مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

ويعرف الباحث/ د. المثنى عبد الفتاح محمود السياق القرآني بأنه: "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال"^(١).

ويعرف الباحث/ أحمد لافي فلاح المطيري دلالة السياق القرآني بأنها: "بيان الكلمة أو الجملة القرآنية منتظمة مع ما قبلها وما بعدها"^(٢).

القول الثاني:

أن دلالة السياق القرآني تشمل المقال المتمثل بالسباق واللحاق و تشمل الحال "المقام" فتكون دلالة السياق تنقسم إلى قسمين:

(١) سياق المقال: وَيَعْنُونَ بِهِ السَّبَّاقَ وَاللَّحَاقَ.

(٢) سياق الحال "المقام": وَيَعْنُونَ بِهِ مَا يَصَاحِبُ النَّصَّ مِنْ أَحْوَالٍ وَعَوَامِلٍ خَارِجِيَّةٍ لَهَا أَثَرٌ فِي فَهْمِهِ: كَحَالِ الْمُتَكَلِّمِ، وَالْمَخَاطَبِ، وَالْغَرَضِ الَّذِي سَبَقَ لَهُ... إلخ

فيعرّف الباحث/ سعيد بن محمد الشهراني -وفقه الله- السياق القرآني بأنه: " ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية لها أثرٌ في فهمه: من سابق أو لاحق به، أو حال المخاطبِ، والمخاطبِ، والغرض الذي سبق له، والجو الذي نزل فيه"^(٣).

(١) نظرية السياق ص ١٥.

(٢) دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان للعلامة الشنقيطي. دراسة موضوعية تحليلية. ص ١٤، وهي رسالة ماجستير غير مطبوعة مقدمة للجامعة الأردنية، ونَبَّه في الحاشية أنه استفاد كثيراً من رسالة الشيخ عبد الحكيم القاسم، ومنها هذا التعريف، ولكن بتصرف يسير، وهذا من أمانته العلمية -وفقه الله-.

(٣) السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة ص ٢٢، وهي رسالة دكتوراه غير مطبوعة مقدمة لجامعة أم القرى.

ويعرّف الباحث / فهد بن شتوي الشتوي - وفقه الله - السياق بأنه: "الغرض الذي تتابع الكلام لأجله مدلولاً عليه بلفظ المتكلم، أو حاله، أو أحوال الكلام، أو المتكلم فيه، أو السامع"^(١).

وعرفه الباحث / د. محمد الربيعة - وفقه الله - بأنه: "الغرض الذي ينتظم به جميع ما يرتبط بالنص من القرائن اللفظية والحالية"^(٢).

فمن خلال ما سبق نجد أن الفريقين اختلفوا على وجه التحديد في دخول الحال "المقام" أو ما يسمى في علم أصول الفقه بقرائن الأحوال تحت مسمى دلالة السياق، واعتباره قسيماً للمقال، رغم أنه لا أحد ينكر أن المقال لا يفهم إلا في ضوء الحال.

* تحرير محل النزاع:

يتفق الباحثون على أهمية دلالة الحال، وأنه لا يفهم القول "المقال" إلا في ضوء معطيات الحال "المقام"، ولكن اختلفوا في دخول دلالة الحال "المقام" تحت دلالة السياق واعتبارها قسيمةً للسياق المقالي "اللغوي".

والذي يترجح لدي اقتصار دلالة السياق على المقال، وأن دلالة الحال دلالة مستقلة عن دلالة السياق، وأنها كجناحي طائر في تأدية المعنى، فيتكاملان ويؤديان الدلالة الكاملة والصحيحة للمعنى.

ومن أسباب ترجيحي لهذا القول:

- (١) دلالة السياق وأثرها في توجيه المشابه اللفظي في قصة موسى - عليه السلام - دراسة نظرية تطبيقية ص ٢٧. وهي رسالة ماجستير غير مطبوعة مقدمة لجامعة أم القرى.
- (٢) أثر السياق القرآني في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية على سورتي الفاتحة والبقرة ص ١٩. وهي رسالة دكتوراه غير مطبوعة مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

١- قصور المدلول اللغوي لجملة " سياق الكلام " أو " سياق القرآن " عن تأدية معنى الحال، فالسياق من التابع والانتظام والاتصال، فسياق الكلام تتابع الكلام وانتظامه واتصاله لتأدية المعنى، وسياق القرآن تتابع الكلمات والجمل القرآنية وانتظامها واتصالها لتأدية المعنى، يقول الزمخشري - رحمه الله -: " ومن المجاز.... هو يسوق الحديث أحسن سياق، إليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده"^(١)، وعرف السرد في موضع آخر^(٢) بأنه: التوالي والتتابع، حيث قال: "سرد الحديث والقراءة: جاء بها على ولاء".

٢- أن استخدام العلماء لمصطلح السياق منصب على المقال، فهذا الإمام الشافعي - أول من وصل إلينا تصريحه باستخدام هذا المصطلح - يُؤبِّبُ في كتابه الرسالة "باب الصنف الذي يبين سياقه معناه" أي من القرآن، ثم يذكر فيه مثالين لبيان المعنى من خلال السياق، وكليةها مقالِي.

ويقول - رحمه الله -: "فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها، على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بالشيء - منه عاماً ظاهراً يراد به العام الظاهر، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره، وعماماً ظاهراً يراد به العام ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه، وعماماً ظاهراً يراد به الخاص. وظاهر يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره، فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره، وتبتدئ الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء - يبين آخر لفظها منه عن أوله"^(٣).

(١) أساس البلاغة، ص ٣١٤.

(٢) نفس المصدر ص ٢٩٣.

(٣) الرسالة ص ٥٢.

فوجد أنه - رحمه الله - بعد أن قال: " وظاهر يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره"،
قَصَرَ دلالة السياق على المقال دون الحال فقال: "فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو
وسطه أو آخره".

وكذا أئمة التفسير^(١) يطلقون مصطلح السياق ويريدون به المقال، ويُعَبَّرُون عن دلالة
دلالة الحال إما: بالحال أو المقام أو قرائن الأحوال وغيرها، فلم يعبر أحدهم عن دلالة الحال
بالسياق.

٣- تفريق العلماء بين دلالة السياق ودلالة الحال أو قرائن الأحوال:

يقول ابن دقيق العيد^(٢) - رحمه الله - : " أما السياق والقرائن، فإنها الدالة على مراد
المتكلم من كلامه"^(٣).

فوجد أنه - رحمه الله - غاير بين السياق وبين القرائن.

وكذا ابن القيم^(٤) - رحمه الله - حيث يقول: "وتارة يحذف الجواب - أي جواب القسم -
القسم - وهو المراد، إما لكونه قد ظهر وعرف، إما بدلالة الحال، كمن قيل له:

(١) كابن جرير الطبري وابن عطية وابن تيمية وأبي حيان وابن القيم وابن كثير - رحمهم الله - وغيرهم من
من المفسرين.

(٢) تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري المالكي ثم الشافعي، الشهير بابن دقيق
دقيق العيد، ولد سنة ٦٢٥ هـ، ولي قضاء مصر على مذهب الشافعي، وكان محدثاً فقيهاً أصولياً أديباً
نحوياً إماماً عديم النظير، ثخين الورع، متين الديانة، متبحراً في العلوم، من تصانيفه: الإمام في أحاديث
الأحكام، والإمام شرح الإمام، والاقتراح في علوم الحديث، وغيرها. توفي سنة ٧٠٣ هـ.
المعجم المختص بالمحدثين للذهبي ص ٢٥٠، طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ٢٠٧)، الدرر الكامنة في
أعيان المائة الثامنة (٥/ ٣٤٨).

(٣) إحكام الأحكام (٢/ ٢٢٥).

(٤) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي، المعروف بابن قيم
قيم الجوزية، ولد سنة ٦٩١ هـ، إمام علم بارع، تفنن في جميع علوم الإسلام، وكان ذا عبادة وتهجد
وطول صلاة وتأله ولهج بالذكر منقطع النظير. وقد امتحن وأوذى وحبس مع شيخه ابن تيمية منفرداً

كُلِّ. فقال: لا والله الذي لا إله إلا هو. أو بدلالة السياق، وأكثر ما يكون هذا إذا كان نفس المقسم به ما يدل على المقسم عليه، وهو طريقة القرآن...^(١).

ويقول كذلك في نونيته:

وَأَصْخَ لِفَائِدَةٍ جَلِيلٍ قَدْرَهَا	تَهْدِيكَ لِلتَّحْقِيقِ وَالْعُرْفَانِ
إِنَّ الْكَلَامَ إِذَا أَتَى بِسِيَاقِهِ	يَبْدِي الْمُرَادَ لِمَنْ لَهُ أَذْنَانُ
أَضْحَى كَنْصَ قَاطِعٍ لَا يَقْبَلُ التَّ	أَوَّلُ يَعْرِفُ ذَا أَوْلُو الْأَذْهَانِ
فَسِيَاقَةَ الْأَلْفَاظِ مِثْلَ شَوَاهِدِ	أَحْوَالِ إِنْهَامَا لَنَا صِنْوَانِ
إِحْدَاهُمَا لِلْعَيْنِ مَشْهُودًا بِهَا	لَكِنَّ ذَاكَ لِمُسْمَعِ الْإِنْسَانِ
فَإِذَا أَتَى التَّأْوِيلَ بَعْدَ سِيَاقِهِ	تَبْدِي الْمُرَادَ أَتَى عَلَى اسْتِهْجَانِ
وَإِذَا أَتَى الْكُتْمَانَ بَعْدَ شَوَاهِدِ	أَحْوَالِ كَانَ كَأَقْبَحِ الْكُتْمَانِ
فَتَأْمَلُ الْأَلْفَاظَ وَانظُرْ مَا الَّذِي	سَيَقْتِ لَهُ إِنْ كُنْتَ ذَا عُرْفَانِ ^(٢)

فهنا يفرق الإمام ابن القيم - رحمه الله - بين دلالة السياق ودلالة الحال، فالسياق خاص بالكلام، ويبيّن أن السياق يخرج المعنى من الظهور إلى النصية التي لا تقبل التأويل، وشبّهها بشواهد الأحوال، وحصر السياق بالكلام، وشواهد الأحوال بالمشاهد، ويبيّن أنها أي باجتماع السياق وقرائن الأحوال تتبين الدلالة كاملة.

عنه، وأكثر من التصنيف في شتى العلوم، ومصنفاته بالغة الأهمية والنفعة، فمنها: التبيان في أقسام القرآن، وتهذيب سنن أبي داود، وزاد المعاد في هدي خير العباد، وغيرها كثير. توفي سنة ٧٥١ هـ الوافي بالوفيات (٢/ ١٩٥)، الدرر الكامنة (٥/ ١٣٧)، وطبقات المفسرين للدوادني (٢/ ٩٣).

(١) التبيان في أقسام القرآن، ص ٨.

(٢) القصيدة النونية ص ٧٤-٧٥.

ويقول الإمام الزركشي^(١) - رحمه الله - بعد أن بيّن أنّ معنى "كيف" الاستفهام عن حال الشيء لا عن ذاته: "هذا أصلها في الوضع، لكن قد تُعْرَضُ لها معان تفهم من سياق الكلام أو من قرينة الحال، مثل معنى التنبيه والاعتبار وغيرهما.."^(٢).

والذي يهمننا في هذا الكلام تفريقه الواضح - رحمه الله - بين دلالة السياق وبين قرائن الأحوال.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي^(٣) - رحمه الله - في بيان الأمور المَعِينَة على فهم المراد من القرآن: "فالنظر لسياق الآيات، مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله - أي القرآن -، من أعظم ما يعين على معرفته، وفهم المراد منه"^(٤).
فَفَرَّقَ - رحمه الله - بين السياق للآيات، وقرائن الأحوال.

(١) بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي المصري، ولد سنة ٧٤٥ هـ، وهو تركي الأصل، عني بالتفسير وعلوم القرآن والحديث والفقه والأصول، دَرَسَ وأفتى، وكان منقطعاً في منزله لا يتردد إلى أحد إلا إلى سوق الكتب، وله تصانيف كثيرة في فنون عديدة، فمنها: تفسير القرآن العظيم وصل فيه إلى سورة مريم، والبرهان في علوم القرآن، والبحر المحيط في أصول الفقه، وشرح جمع الجوامع، والنكت على ابن الصلاح، وغيرها. توفي سنة ٧٩٤ هـ.

الدرر الكامنة (٥/١٣٣)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٣/١٦٧)، طبقات المفسرين للدوادري (٢/١٦٢)

(٢) البرهان في علوم القرآن (٤/٣٣٠).

(٣) أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي، من قبيلة تميم العربية المشهورة، ولد بعينزة في القصيم سنة ١٣٠٧ هـ، مفسر فقيه أصولي، صاحب عبادة وحسن خلق، سلفي المعتقد، اهتم بمطالعة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وهو أول من أنشأ مكتبة في القصيم، تأليفه نافعة مائة، ومنها: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، والقول السديد في مقاصد التوحيد، ومنهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين، وغيرها. توفي سنة ١٣٧٦ هـ.

علماء نجد خلال ثمانية قرون للبسام (٣/٢١٨)، الإعلام (٣/٣٤٠)، معجم المؤلفين المعاصرين (١/٣٣٤).

(٤) مقدمة تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/٤).

٤- تعريف بعض العلماء المتأخرين، وقصرهم له -أي السياق- على المقال:
قال الشيخ البناني^(١) في حاشيته على جمع الجوامع: "قرينة السياق: هي ما يدل على خصوص المقصود من سابق الكلام المسوق لذلك أو لاحقه"^(٢).
وقال الشيخ العطار^(٣) في حاشيته على جمع الجوامع: "قرينة السياق: هي ما يؤخذ من لاحق الكلام الدال على خصوص المقصود أو سابقه"^(٤)، وذكر أنها تسمى: دلالة السياق.

• التعريف المختار:

فمن خلال ما سبق أستطيع أن أعرف السياق بأنه: تتابع المفردات والجمل والتراكيب المترابطة لأداء المعنى.
ويكون السياق القرآني: تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة لأداء المعنى.

(١) هو عبد الرحمن بن جاد الله البناني المغربي، والبناني نسبة إلى بنانة (من قرى منستير إفريقية)، وهو فقيه أصولي، قدم مصر وجاور بالازهر، له حاشية على شرح المحلى في أصول الفقه في جزأين، توفي سنة ١١٩٨هـ.

الأعلام للزركلي (٣/ ٣٠٢).

(٢) (١/ ٢٠).

(٣) هو أبو السعادات حسن بن محمد العطار المغربي المصري الأزهري الشافعي، وقيل: ابن أحمد، وقيل غير ذلك، ولد سنة ١١٨٠هـ، وقيل ١١٩٠هـ، وهو عالم أديب شاعر مشارك في الأصول والنحو والمعاني والبيان والمنطق والطب والفلك، ولد بالقاهرة ونشأ بها، وتولى مشيخة الأزهر، من تصانيفه: حاشية على جمع الجوامع في الأصول، وله ديوان شعر، توفي بالقاهرة سنة ١٢٥٠هـ معجم المؤلفين لعمر كحالة (٣/ ٢٨٥).

(٤) (١/ ٣٠)، وكأنه استفاده من البناني -رحمه الله-.

وتكون دلالة السياق: بيان المعنى من خلال تتابع المفردات والجمل والتراكيب المترابطة.

ودلالة السياق القرآني: بيان المعنى من خلال تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة.

وأما سبب عدم تعريف المتقدمين للسياق اصطلاحاً حسب وجهة نظري -والعلم عند الله- هو أنه من أعضل المشكلات توضيح الواضحات، فتوضيح الواضح يزيد غموضاً، فكلمة السياق أصلها كما ذكر ابن فارس -رحمه الله-: "حدو الشيء" (١)، فهي تدور على معنى التابع والانتظام والاتصال، فعندما تضاف هذه الكلمة إلى "الكلام" يكون المعنى تتابع الكلام وانتظامه واتصاله لأداء المعنى المراد. وهذا واضح عندهم لا يحتاج إلى توضيح.

و أما سبب اختلاف المُحدِّثين في هذا العصر في اصطلاح السياق، فمن رأيي -وأرجو ألا أكون قاسياً فيه- أن سببه التأثير بالدراسات الغربية بطريق مباشر أو غير مباشر.

وتوضيح ذلك أن الغربيين توصلوا حديثاً للتنظير لدلالة السياق، وأسموها بنظرية السياق (٢)، وكما ذكرت سابقاً من أن المقال لا يفهم إلا في ضوء الحال، فلذلك أدخلوا الحال في السياق؛ لأنهم ليس عندهم علوم آلة تخدمهم كما عند المسلمين كأصول الفقه وغيرها.

أما نحن المسلمون فقد دوّن علم أصول الفقه منذ القرن الثاني، وفيه ما يسمى بقرائن الأحوال، فلم نحتاج لإدخال الحال في السياق، لأنه ليس منه حقيقة، وإن كان يتوقف فهم المقال عليه غالباً، ولأنه مخدوم كدلالة مستقلة.

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/ ١١٧).

(٢) على يد مالينوفسكي (١٨٨٤-١٩٤٢م)، وفيرث (١٨٩٠-١٩٦٠م). انظر دلالة السياق د. ردة الله

* أما تفصيل درجة التأثير:

فأكثر من تأثر بطريق مباشر هم من كتب عن دلالة السياق من اللغويين العرب وأدخل الحال فيها^(١).

وأما من تأثر بطريق غير مباشر فأكثرهم ممن كتب عنها من أهل تَخْصُّصِي-التفسير وأصول الفقه وأدخل الحال فيها.

وبيان كيفية ذلك، أن أكثرهم اعتمد على من كتب عن دلالة السياق من اللغويين العرب الذين أدخلوا الحال فيها واعتمدوا بطريق مباشر على الغربيين، فكان تأثرهم من هذه الجهة بطريق غير مباشر، ومن قرأ دراساتهم لاحظ هذا.

وهذا لا يعني الحطّ من دراساتهم وآرائهم، بل على العكس فأراؤهم محترمة، ولهم فضل السبق في الكتابة في هذا الميدان، وإن كان كلا القولين مؤداه واحد، إلا أن المقام هنا لبيان مدلون كلمة "السياق" و "السياق القرآني"، فلذلك كان هذا التمهيص والترجيح، والله الموفق.

(١) مثل د. أحمد مختار عمر في كتابه علم الدلالة ص ٦٨-٧٨، ود. ردة الله الطلحي في كتابه دلالة السياق

المبحث الثاني

أهمية دلالة السياق القرآني.

وفيه خمسة مطالب:

- المطلب الأول: دلالة السياق القرآني تعتبر من تفسير القرآن بالقرآن.
- المطلب الثاني: إعمال النبي - صلى الله عليه وسلم - لدلالة السياق القرآني، واعتباره لها في التفسير.
- المطلب الثالث: إعمال الصحابة - رضي الله عنهم - لدلالة السياق القرآني، واعتبارهم لها في التفسير.
- المطلب الرابع: كلام العلماء في اعتبار دلالة السياق القرآني وأهميتها.
- المطلب الخامس: آثار دلالة السياق القرآني في التفسير.

المبحث الثاني أهمية السياق القرآني

إن مفردات اللغة العربية واسعة الدلالة، فلا يتحدد المراد من المفردة العربية إلا إذا نُظِرَ إليها في ضوء سياقها، فحينئذ تتضح معالمها، وينتفي تعدد المعاني واشتراكه وتعميمه، ويُقَطَع بإرادة أحد معانيها المحتملة.

فَلِدلالة السياق القرآني أهمية بالغة في تفسير كلام الله - سبحانه وتعالى -، فهي أصل أصيل من أصول هذا العلم، ويأهمها يضع المفسر قدمه على عتبات الزلل، ويركب مراكب الخلل، وتوسم آراؤه بالعلل، فيعظم الخطب ويصبح جَلَلًا.

وتتجلى أهمية دلالة السياق القرآني في المطالب التالية:

المطلب الأول: دلالة السياق القرآني تعتبر من تفسير القرآن بالقرآن.

المطلب الثاني: إعمال النبي - صلى الله عليه وسلم - لدلالة السياق القرآني، واعتباره لها في التفسير.

المطلب الثالث: إعمال الصحابة - رضي الله عنهم - لدلالة السياق القرآني، واعتبارهم لها في التفسير.

المطلب الرابع: كلام العلماء في اعتبار دلالة السياق القرآني وأهميتها.
المطلب الخامس: آثار دلالة السياق القرآني في التفسير.

المطلب الأول

دلالة السياق القرآني تعتبر من تفسير القرآن بالقرآن

تستمد دلالة السياق القرآني أهميتها من كونها تفسيراً للقرآن الكريم بالقرآن نفسه، حيث إنها: بيان المعنى من خلال تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة، بل إن سياق الآية وسياق المقطع من أعلى مراتب تفسير القرآن بالقرآن؛ لأنه في محل واحد^(١). وهذا الضرب من التفسير للقرآن الكريم - أي بالقرآن نفسه - أفضل طرق التفسير وأصحها حيث إنه لا أحد أعلم بمعاني الكلام من المتكلم نفسه، فإذا تبين مراده من الكلام نفسه، فإنه لا يعدل عنه إلى غيره.

وَيُبَيِّنُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ^(٢) - رَحِمَهُ اللَّهُ - هَذِهِ الْأَفْضَلِيَّةَ بِقَوْلِهِ: "فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا أَحْسَنُ طَرِيقَ التَّفْسِيرِ؟ فَالْجَوَابُ: إِنْ أَصَحَّ الطَّرِيقُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَفْسَرَ الْقُرْآنَ بِالْقُرْآنِ، فَمَا أَجْمَلَ فِي مَكَانٍ فَإِنَّهُ قَدْ فَسَّرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، وَمَا اخْتَصَرَ مِنْ مَكَانٍ فَقَدْ بَسَّطَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ"^(١).

(١) على تفاوتٍ بينهما في المرتبة، فأعلاهما سياق الآية ثم المقطع.

(٢) شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي، ولد سنة ٦٦١ هـ، إمام علم عالم، مفسر بارع، محدث ناقد، فقيه مجتهد، أصولي متمكن، متفنن برع في جميع العلوم الشرعية وما يتعلق بها، شهرته تغني عن الإطناب في ذكره، ومن تصانيفه: العقيدة الحموية، والواسطية، والتدمرية، واقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم، ورفع الملام

وكذا تلميذه الإمام ابن القيم - رحمه الله - فيقول: "وتفسير القرآن بالقرآن من أبلغ التفاسير"^(٢).

ونقل الإمام الشنقيطي^(٣) - رحمه الله - إجماع العلماء على: "أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله"^(٤).

عن الأئمة الأعلام، ومقدمة في أصول التفسير، وغيرها كثير جداً. وقد امتحن وأوذي كثيرا بسبب تمسكه بعقيدة السلف الصالح، ومات سنة ٧٢٨هـ محبوسا بقلعة الشام، فرحمه الله وأكرم مثواه. تذكرة الحفاظ (٤/١٤٩٦)، والبداية والنهاية (١٤/١٣٥)، الذيل على طبقات الحنابلة (٤/٤٩١)، الدرر الكامنة (١/١٦٨).

(١) مقدمة التفسير ص ٩٣، وهي في مجموع الفتاوى (١٣/٣٦٣).

(٢) التبيان في أقسام القرآن ص ١١٦.

(٣) محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ولد بشنقيط بموريتانيا سنة ١٣٢٥ هـ، مفسر - فقيه أصولي لغوي، سلفي العقيدة، قوي الاستدلال، من مصنفاته: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ومذكرة في أصول الفقه، ومنع جواز المجاز، وغيرها، درس في جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ثم في الجامعة الإسلامية، والحرم المدني الشريف، وتوفي بمكة سنة ١٣٩٣ هـ.

ترجمة الشيخ الشنقيطي لتلميذه الشيخ عطية سالم في مقدمة أضواء البيان (١/٣)، الإعلام للزركلي (٦/٤٥)، معجم المؤلفين المعاصرين (٢/٦٢٨).

(٤) أضواء البيان (١/٥).

المطلب الثاني

إعمال النبي - صلى الله عليه وسلم - لدلالة السياق القرآني

واعتباره لها في التفسير.

دلالة السياق معتبرة في الشريعة الإسلامية، فهي ليست وليدة هذه الأزمان المتأخرة، وإنما هي مرتبطة باللغة العربية ارتباطاً وثيقاً منذ القدم، فلا يفهم الكلام عند العرب إلا ضمن سياقه، والقرآن الكريم نزل بلغة العرب، يقول الله تعالى: ﴿وَلِنُنزِّلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٣﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١١٥﴾﴾^(١)، والنبي - صلى الله عليه وسلم - أفصح العرب، وأعلمهم بدلالات ألفاظ العربية، يقول الإمام الشافعي - رحمه الله -: "ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها، حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه"^(٢)، وقد ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - اعتبار هذه الدلالة - أي السياق - واستخدامه لها مما يدل على أهميتها وأصالتها، فمن ذلك:

(١) سورة الشعراء: ١٩٢-١٩٥.

(٢) الرسالة ص ٤٢.

١ - قوله - صلى الله عليه وسلم - لعائشة - رضي الله عنها - عندما سألته عن قوله - عز

وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءًا تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾^(١)، فقالت: هم

الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ فقال - صلى الله عليه وسلم -: " لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصلون، ويصومون، ويتصدقون، وهم يخافون ألا يقبل منهم،

﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾^(٢).

فالنبي - صلى الله عليه وسلم - استدل على هذا المعنى باستخدام دلالة السياق، فاستدل

بلحاق الآية على المعنى المراد.

فإذا نُظِرَ للآية الكريمة بمفردها بمعزل عن سياقها، فإنها حينئذٍ تحتمل معنيين متضادين:

الأول: ما فسرها به النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو أن المراد بها الذين يعملون

الطاعات وهم خائفون ألا يتقبل منهم لتقصيرهم.

والثاني: ما فهمته عائشة - رضي الله عنها -، وهو أن المراد منها الذين يعملون المعاصي

وهم خائفون من لقاء الله - عز وجل -.

وإذا نُظِرَ لها في ضوء سياقها فإنه حينئذٍ يترجح أحد المعنيين وهو الأول، وهذا ما عمله -

صلى الله عليه وسلم -، فهو - صلى الله عليه وسلم - لم يكتفِ ببيان المعنى الحق والصواب في

هذه الآية، بل دَلَّلَ على هذا باستخدام دلالة السياق.

(١) سورة المؤمنون: ٦٠.

(٢) سورة المؤمنون: ٦١.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٥/٢٣٦)، في أبواب تفسير القرآن، باب "ومن سورة المؤمنين"، برقم

(٣١٧٥)، وصححه الألباني - رحمه الله - في السلسلة الصحيحة (١٦٢) وغيرها، وقد رواه بدون زيادة

الآية ابن ماجه في سننه (٢/١٤٠٤)، في كتاب الزهد، باب التوقي على العمل، برقم (٤١٩٨)، و

الحاكم في مستدركه وصححه (٢/٣٩٣-٣٩٤)، وأحمد في مسنده (٦/١٥٩ و٢٠٥).

٢- عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(١)، شق ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله: أينا لا يظلم نفسه؟! فقال -صلى الله عليه وسلم-: "ليس ذلك، إنما هو الشرك. ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾"^(٢) رواه البخاري ومسلم^(٣).

فهنا قد يقال إن النبي -صلى الله عليه وسلم- استخدم دلالة السياق القرآني في هذا الموضوع لبيان المعنى، ثم نبه على أنه قد يطلق الظلم ويراد به الشرك كما في قول لقمان لابنه: ﴿يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

فسياق الآية والمقطع والسورة، يدل على أن المراد بالظلم هنا الشرك.

فأما سياق الآية:

"فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، ولم يقل: "ولم يظلموا أنفسهم"، وليس الشيء بالشيء: تغطيته به وإحاطته به من جميع جهاته، ولا يغطي الإيذان ويحيط به ويلبسه إلا الكفر والشرك"^(٤).

وأما سياق المقطع:

(١) سورة الأنعام: ٨٢.

(٢) سورة لقمان: جزء من الآية ١٣.

(٣) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ (لقمان: ١٢)، برقم (٣٤٢٩) واللفظ له، ومسلم في كتاب الإيذان، باب صدق الإيذان وإخلاصه، برقم (٢٤٢).

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (٣/١١٩) بتصرف يسير.

فسباق الآية: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَأَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۗ إِنِّي أَرَبُّكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الأَيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأَجِبُ الأَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلذِّي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ؕ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ ءَعَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾^(١)

فيخبر الله تعالى عن محاجة إبراهيم - عليه السلام - لقومه في توحيد الله - عز وجل -، وإبطاله لشركهم بالأدلة العقلية، فبعد أن أبطل شركهم بالأدلة وتبرأ منه كما في الآيات من ٧٦ حتى ٧٩، وصرح بمعتقدده وهو: توحيد الله - عز وجل -، وذكر بعض الأدلة على استحقاق الله للعبودية وحده دون ما سواه ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلذِّي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾، وتبرأ مرة أخرى من الشرك وكذا من أهله ﴿حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، أخذ قومه يحاجونه في الله ويخوفونه من بطش آلهتهم بدليل قوله تعالى عن إبراهيم - عليه السلام - مستنكراً قولهم وتخويفهم ﴿قَالَ أَتُحْجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ فنفى إبراهيم - عليه السلام - خوفه منها بقوله: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ؕ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ أي: لكن أخاف مشيئة ربي شيئاً مما أخافه، ويكون الاستثناء بهذا منقطعاً^(٢)، وفي هذا الاستدراك زيادة نكايه لقومه: إذ

(١) سورة الأنعام: ٧٤-٨١.

(٢) قاله الطبري في جامع البيان (٩/٣٦٤)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٣/٤٠٦)، واستظهره ابن

عاشور في التحرير والتنوير (٦/١٨٥).

كان لا يخاف آلهتهم في حين أنه يخشى ربه المستحق للخشية - إن كان قومه لا يعترفون برب غير آلهتهم -^(١) ، وقيل: إن الاستثناء متصل، فيكون المعنى: إلا وقت مشيئة ربي شيئاً أخافه من آلهتكم بأن يسلمها عليّ فذلك من قدرة ربي بواسطتها لا بقدرتها عليّ^(٢).

ثم أنكروا عليهم عدم تذكركم وتفكرهم في صفات الله وخلقه بما يؤكد استحقاقه للعبادة وحده دون ما سواه، وفي صفات آلهتهم المنافية لمقام الإلهية، ونبّههم على غفلتهم بقوله: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ، ثم بعد ذلك يتعجب وينكر عليهم تخويفهم له بآلهتهم التي لا تنفع ولا تضر، وهم لا يخافون من الله - سبحانه وتعالى - الذي بيده النفع والضرر والأمر كله عندما أشركوا معه غيره بدون حجة ولا برهان، وهنا لطيفه نبّه عليها أبو حيان الأندلسي - في تفسيره البحر المحيط^(٣) وهي: اختلاف متعلق الخوف، وبالنسبة إلى إبراهيم - عليه السلام - علق الخوف بالأصنام، وبالنسبة إلى قومه علقه بإشراكهم بالله تعالى تركاً للمقابلة، لئلا يكون الله عديل أصنامهم - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - لو كان التركيب " ولا يخافون الله تعالى " ، وأتى بلفظ ﴿مَا﴾ لما لا يعقل؛ لأن الأصنام لا تعقل إذ هي حجارة وخشب وكواكب "أ.هـ.

ثم يفرّع بعد هذا التعجب والإنكار استفهاماً ملجئاً إلى الاعتراف بأنهم أولى بالخوف من الله تعالى منه من آلهتهم، فيقول: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٤) أي: من أحق بالأمن؟ الذي أخلص دينه لله وحده، ونبذ الشرك وأهله، أم الذين أشركوا مع الله غيره في عبادته؟! فيأتي الجواب بـ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ، فأهل الإيمان والتوحيد الذين لم يخلطوا إيمانهم بشائبة الشرك هم الآمنون

(١) التحرير والتنوير (٦/ ١٨٥).

(٢) قاله الزمخشري في الكشاف (٢/ ٢٥).

(٣) (٤/ ١٧٥).

(٤) التحرير والتنوير (٦/ ١٨٧).

والمهتدون في الدنيا والآخرة، فهذه الآية في سياق المحاجة بين أهل التوحيد وأهل الشرك في شأن العبادة، والخوف والأمن المترتب عليها.

ثم بعد ذلك يأتي لحاق الآية مؤيداً لهذا الفهم، ومبيناً أن هذه الحجج التوحيدية ودحض الشبه الشركية هي من الله - عز وجل - تأييداً لخليله إبراهيم - عليه السلام - فيقول الله تعالى:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

ومما يؤيد هذا المعنى أن إبراهيم - عليه السلام - لم يكن حينئذ داعياً إلا إلى توحيد الله - عز وجل - ولم تكن له بعد شريعة ليصح حمل الظلم هنا على مخالفة الشريعة بالمعاصي، فلم يتبق إلا حمله على الظلم الأكبر الذي هو الشرك^(٢).

وأما سياق السورة:

فالسورة مكية وهي "من أولها إلى آخرها مقررة لقواعد التوحيد، وهادمة لقواعد الشرك" كما قاله الشاطبي^(٣)، وقال أبو إسحاق الإسفراييني: "في سورة الأنعام كل قواعد التوحيد"^(٤).

فكل مقاطع السورة (ما قبل مقطعنا هذا وما بعده) خادمة لهذا الأصل: تقرير عقيدة التوحيد، ودحض الشرك وشبهه، فلأن يكون هذا المقطع الذي نحن بصدد الكلام فيه موافقاً لما قبله وما بعد أولى، ثم إن جدل النبي - صلى الله عليه وسلم - مع قومه كان في شأن التوحيد ودحض شبه الشرك، ولذلك ضرب الله له هذا المثل (قصة إبراهيم مع قومه) فعلم أن هذه المحاجة بين إبراهيم - عليه السلام - مع قومه متمحضة في شأن التوحيد، وهدم أصول الشرك.

(١) سورة الأنعام: ٨٣.

(٢) ينظر التحرير والتنوير (٦/١٨٨).

(٣) الموافقات (٤/٢٧).

(٤) نقله عنه الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير (٦/٧).

٣- عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أن رجلاً أصاب من امرأة قُبلة، فأتى رسول الله ﷺ

فذكر ذلك له، فأنزلت عليه: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ

يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ ﴾ (١)، قال الرجل: ألي هذه؟ قال: «لن عمل

بها من أمتي» (٢) وفي رواية: «للناس كافة» (٣).

فالرجل سأل النبي ﷺ عن خصوص حكمها به لارتباط نزولها بسؤاله عن الحكم،

فأجابه النبي ﷺ بعموم حكمها للناس كافة اعتباراً لدلالة السياق القرآني، فسياق الآية عام

بهذا الرجل وبغيره.

(١) سورة هود: ١١٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير باب قوله " وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات " الآية برقم (٤٦٨٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب التوبة، باب قوله تعالى: " إن الحسنات يذهبن السيئات " برقم (٢٧٦٣).

(٣) رواها مسلم في صحيحه في كتاب التوبة، باب قوله تعالى: " إن الحسنات يذهبن السيئات " برقم (٢٧٦٣) بعد إيراده للرواية السابقة.

المطلب الثالث

إعمال الصحابة - رضي الله عنهم - لدلالة السياق القرآني
واعتبارهم لها في التفسير.

ومما يدل على أهمية دلالة السياق القرآني في تفسير كلام الله - عز وجل - اعتبارها عند الصحابة - رضي الله عنهم - كأصل من أصول التفسير، وإعمالهم لها في تفسير كلام الله تعالى، فهي تستمد أهميتها بإعمال الصحابة لها من أهمية تفسيرهم، إذ هو الأصل الثالث من أصول التفسير بعد تَطَلُّبِهِ من القرآن نفسه ثم من السنة النبوية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "وحيثُ إذا لم نجد التفسير في القرآن، ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدري بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح"^(١).

(١) مقدمة في أصول التفسير ص ٩٥، وهو في مجموع الفتاوى (١٣/٣٦٤).

قلت: ولعريبتهم القحة، فلم تختلط بها العجمة.
وإعمال الصحابة لدلالة السياق في القرآن الكريم يدل على وضوحها في أذهانهم - رضي
الله عنهم - ومن أمثلة ذلك:

(١) سأل رجل علياً بن أبي طالب - رضي الله عنه - قائلاً: يا أمير المؤمنين: أ رأيت قول الله:
﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (١٤١) (١)، وهم يقاتلوننا فيظهرون ويقتلون؟!
فقال له علي - رضي الله عنه - : "أدنه! أدنه! ثم قال: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ
يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (٢) يوم القيامة" (٣).
وكذا روي عن ابن عباس نحوه (٤).

فهنا نجد أن هذا السائل حمل هذا الجزء من الآية على إطلاقه ومن ثم استشكل مخالفة ما
فهم للواقع، والسبب في ذلك أنه عزل هذا الجزء من الآية عن سياقه، فوقع فيما وقع فيه من
الخطأ، فسأل علياً - رضي الله عنه - وقد سأل خبيراً، فاستدل - رضي الله عنه - بسياقه الآية،
وتحديداً بسباقها، فوضح معنى الآية في ضوء سياقها، إذ الحديث عن يوم القيامة.

(٢) قال الخارجي نافع بن الأزرق (٥) لابن عباس - رضي الله عنهما -: "يا أعمى البصر،
أعمى القلب، تزعم أن قوماً يخرجون من النار، وقد قال الله - عز وجل - : ﴿وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ
مِنَهَا﴾ (١)".

(١) سورة النساء: ١٤١.

(٢) سورة النساء: ١٤١.

(٣) رواه الطبري في تفسيره جامع البيان (٧/٦٠٩-٦١٠) من عدة طرق، ورواه عبد الرزاق الصنعاني في
تفسيره (١/١٧٥).

(٤) رواه الطبري في جامع البيان (٧/٦١٠).

(٥) أبو راشد نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي الحروري، من رؤوس الخوارج، وإليه تنتسب الطائفة
الأزارقة، وكان قد خرج في أواخر دولة يزيد بن معاوية، لا عقب له، قتل يوم دولا ببالقرب من
الأهواز سنة ٦٥هـ.

فقال له ترجمان القرآن ابن عباس - رضي الله عنهما -: "ويحك اقرأ ما فوقها هذه للكفار"^(٣)
 فنجد أن ابن عباس - رضي الله عنه - رد على هذا الخارجي انحرافه العقدي بدلالة سياق
 الآيات، فأرشدته لسباقها، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي
 الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا نُقِيلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣)، ثم قال الله تعالى بعد ذلك: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ
 بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾^(٤)، فبيّن أن المقصود بها الكفار؛ لأنها في سياق الحديث
 عنهم .

ومن خلال هذا الأثر يتبيّن خطورة إهدار دلالة السياق القرآني، وأن ذلك سبب للخطأ
 والانحراف العقدي.

(٣) ما ثبت أن عروة بن الزبير^(٥) - رحمه الله - سأل أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -
 فقال: رأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّامَةَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا

المعارف لابن قتيبة ص ٦٢٢، تاريخ الأمم والملوك للطبري (٣/ ٤٢٤)، والكامل في التاريخ لابن
 الأثير (٤/ ١٥).

(١) سورة المائدة: جزء من الآية ٣٧.

(٢) رواه الطبري في جامع البيان (٨/ ٤٠٦-٤٠٧).

(٣) سورة المائدة: ٣٦.

(٤) سورة المائدة: ٣٧.

(٥) أبو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي المدني، تابعي جليل، ولد سنة ٢٣هـ، أمه أسماء
 بنت أبي بكر الصديق، كان ثقةً ثباتاً كثيراً، فقيهاً عالماً مأموناً، أحد فقهاء المدينة السبعة الذين
 يُنتهى إلى قولهم، وكان صواماً قواماً صباراً على المصائب قارئاً للقرآن كثير الصدقة، لم يدخل في شيء
 من الفتن، وهو أول من صنف في المغازي، توفي وهو صائم سنة ٩٤هـ على المشهور.

جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا ﴿^(١)﴾، فو الله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفاء والمروة. فقالت عائشة - رضي الله عنها -: بسما قلت يا بن أختي، إن هذه لو كانت كما أوَّلَتْهَا عليه كانت "لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما" ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية، التي كانوا يعبدونها بالمشلل، فكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بين الصفاء والمروة، فلما اسلموا سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك، قالوا يا رسول الله، إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفاء والمروة، فأنزل الله - عز وجل - ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ الآية.

قالت عائشة: وقد سنَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما" ^(٢).

والشاهد من هذا الأثر هو قولها - رضي الله عنها -: "إنها لو كانت على ما أوَّلَتْهَا عليه كانت: " فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما".

فأنكرت على عروة - رحمه الله - ما فهمه من إباحة عدم الطواف بالصفاء والمروة؛ لأن الإباحة تحتاج رفع الإثم عن التارك ^(٣)، وهذا ما لا يدل عليه سياق الآية، وبيّنت أنه لو أريد هذا المعنى في الآية لكان سياقها: "فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما"، وبهذا يتبيّن ارتباط المعنى بالسياق.

=

المعارف لابن قتيبة ص ٢٢٢، طبقات ابن سعد (١٧٨/٥)، سير أعلام النبلاء (٤/٤٢١)، البداية والنهاية (٩/١٠١).

(١) البقرة: جزء من الآية ١٥٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب الحج، باب وجوب الصفاء والمروة، وجعل من شعائر الله، برقم (١٦٤٣) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، في كتاب الحج، باب بيان أن السعي بين الصفاء والمروة ركن لا يصح الحج إلا به، برقم (١٢٧٧). وغيرهما.

(٣) ينظر فتح الباري (٣/٤٩٩).

واستدلت كذلك في بيان المعنى الصحيح للآية بسبب النزول، وهذه دلالة حالية ليس هنا مجال تفصيلها.

المطلب الرابع

كلام العلماء في اعتبار دلالة السياق القرآني وأهميتها

أدرك العلماء - رحمهم الله - أهمية دلالة السياق القرآني منذ القدم، فأقوالهم تزخر في بيان ذلك، فمنها:

١- يقول الإمام مسلم بن يسار^(١) - رحمه الله - : "إذا حدثت عن الله حديثاً فَفَقِفْ حتى تنظر ما قبله وما بعده"^(٢).

(١) أبو عبد الله مسلم بن يسار البصري، مولى بني أمية، وقيل غير ذلك، تابعي جليل، ثقة فقيه، زاهد عابد ورع، كثير الصلاة، كثير الخشوع، قيل أنه وقع في داره حريق فأطفئوها وهو في الصلاة لم يشعر بها، وانهدمت مرة ناحية من المسجد ففزع أهل السوق لهدتها، وإنه لفي المسجد في صلاته فما التفت، له روايات كثيرة، وكان لا يفضل عليه أحد في زمانه، توفي سنة ١٠٠هـ.

٢- ويقول الإمام محمد بن إدريس الشافعي - رحمه الله - مبيناً أثرها وارتباطها باللغة العربية: "وتبتدئ العرب الشيء من كلامها، يبين أول لفظها عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله"^(٢).

٣- يقول ابن قتيبة^(٣) - رحمه الله - عن كتابه "تفسير غريب القرآن": "وكتابتنا هذا مستنبط من كتب المفسرين، وكتب أصحاب اللغة العالمين، لم نخرج فيه عن مذاهبهم، ولا تكلفنا في شيء منه بأرائنا غير معانيهم، بعد اختيارنا في الحرف أولى الأقاويل في اللغة، وأشبهها بقصة الآية"^(٤)، فنجد أنه جعل الرأي الراجح هو ما دلت عليه اللغة بمعونة دلالة السياق.

المعارف لابن قتيبة ص ٢٣٤، الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/١٨٦)، سير أعلام النبلاء (٤/٥١٠)، البداية والنهاية (٩/١٨٦).

(١) رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن ص ٣٧٧، وأبو نعيم في الحلية (٢/٩٢) وذكره ابن كثير في مقدمة تفسيره (١/١٣).

(٢) الرسالة ص ٥٢.

(٣) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، القاضي الكاتب صاحب التصانيف البديعة، ولد سنة ٢١٣ هـ، وكان ثقة دينا فاضلاً مفسراً فقيهاً نحوياً لغوياً، صنف الكثير، وتصانيفه كلها مفيدة، منها: غريب القرآن، وتأويل مشكل القرآن، وإعراب القرآن، والرد على من يقول بخلق القرآن، والقراءات، وتأويل مشكل الحديث، وغريب الحديث، والمعارف، وأدب الكاتب، وعيون الأخبار، وطبقات الشعراء وغيرها، توفي سنة ٢٩٦ هـ.

تاريخ بغداد (١٠/١٧٠)، سير أعلام النبلاء (١٣/٢٩٦)، البداية والنهاية (١١/٤٨)، طبقات المفسرين للداودي (١/٢٥١).

(٤) غريب القرآن ص ٢.

- ٤- وهذا الإمام الأنباري^(١) - رحمه الله - يقول: "إن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حرفه"^(٢)، أي لا يُعرف معنى الخطاب إلا باستيفاء السياق واستكمال النظر فيه كله.
- ٥- ويبين إمام الحرمين الجويني^(٣) - رحمه الله - ارتباط المعاني بالسياق فيقول: "فإن المعاني

(١) أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري البغدادي الحنبلي، ولد في بغداد سنة ٢٧١هـ، إمام حافظ مقرئ مفسر نحوي أديب، دّين خير متواضع، كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهداً في القرآن، وكان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً بأسانيدها، صنّف الكثير من الكتب، منها: المشكل في معاني القرآن، ولم يتمه، وغريب الحديث، وإيضاح الوقف والابتداء، والأضداد، وغيرها. توفي سنة ٣٢٨هـ.

تاريخ بغداد (٣/ ١٨١)، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (٣/ ١٣٣)، معجم الأدباء (٥/ ٤١٠)، سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧٤).

(٢) كتاب الاضداد ص ٢.

(٣) إمام الحرمين ضياء الدين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ثم النيسابوري الشافعي، ولد سنة ٤١٩ هـ، كان إماماً في مذهب الشافعي، أصولي أديب واعظ، وكان من أكابر علماء الأشاعرة، وذكر الذهبي أنه رجع في آخر حياته إلى مذهب السلف، ونقل عنه قوله: "لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام"، وقوله: "يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به" وقوله: "اشهدوا علي أنني رجعت عن كل مقالة تخالف السنة وأني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور"، ولكن عبارة الجويني في العقيدة النظامية تدل على أنه رجع عن التأويل إلى التفويض، وكليهما شر، بل الثاني أشر كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية؛ لكثرة لوائمه الباطلة، والنصوص المتقدمة هل هي رجوع عن التفويض أم التأويل فقط؟! الله أعلم.

ومن مؤلفات الجويني: البرهان في أصول الفقه، ونهاية المطلب في دراية المذهب، والرسالة النظامية في الأحكام الإسلامية، وغياث الأمم في الإمامة، وغيرها. جاور بمكة في آخر حياته وتوفي سنة ٤٧٨ هـ.

وفيات الأعيان (٣/ ١٦٧)، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٦٨)، ذيل تاريخ بغداد لابن النجار (١٦/ ٨٥).

يتعلق معظمها بفهم النظم والسياق"^(١).

٦- يقول الإمام البغوي^(٢) - رحمه الله - مبيناً جواز تأويل القرآن الكريم لأهل العلم، ولكن بشرط احتمال اللغة له، وموافقته للسياق، وعدم مخالفته الكتاب والسنة: "فأما التأويل: وهو صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط، فقد رخص فيه لأهل العلم"^(٣)، فقد بيّن - رحمه الله - أن دلالة السياق القرآني ترجح أحد المعاني المحتملة للآية.

٧- ويقول العز بن عبد السلام^(٤) - رحمه الله - مبيناً بعض آثار دلالة السياق، وأهميتها: "السياق مرشد إلى تبيين الجملات، وترجيح الاحتمالات، وتقرير الواضحات، وكل

(١) البرهان في أصول الفقه (٢/ ٨٧٠).

(٢) محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي، ويلقب أيضاً: ركن الدين، وكذا ابن الفراء أو الفراء، كان إماماً في التفسير والحديث والفقه، دَيِّناً عالماً عاملاً على طريقة السلف، وكان قانعاً ورعاً، وكان لا يلقي الدرس إلا على طهارة، بورك له في تصانيفه ورزق القبول؛ لحسن قصده، وصدق نيته، ومن تصانيفه: معالم التنزيل في التفسير، وشرح السنة، والمصابيح، والجمع بين الصحيحين، والتهذيب في الفقه، وغيرها. توفي سنة ٥١٦ هـ، وقد جاوز الثمانين.

سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٣٩)، وفيات الأعيان (٢/ ١٣٦)، طبقات المفسرين للسيوطي ص ٣٨.

(٣) مقدمة معالم التنزيل ص ٢.

(٤) هو عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي ثم المصري الشافعي، شيخ المذهب كان الملقب بسلطان العلماء، ولد سنة ٥٧٧ هـ أو ٥٧٨ هـ، درّس وأفتى وصنف وبرع في المذهب، وبلغ رتبة الاجتهاد، ولي قضاء مصر، وصنّف المصنفات الحسان، منها: تفسير القرآن، والقواعد الكبرى والصغرى، والإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز. توفي سنة ٦٦٠ هـ.

طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٢٠٩)، تاريخ الإسلام (٤٨/ ٤١٦)، البداية والنهاية (١٣/ ٢٣٥)،

وطبقات المفسرين للداودي (١/ ٣١٥).

ذلك بعرف الاستعمال، فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحاً، وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذمماً، فما كان مدحاً بالوضع فوقع في سياق الذم صار ذمماً واستهزاءً وتهكماً بعرف الاستعمال.

مثاله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (٤٩)^(١)، أي الذليل المهان؛ لوقوع ذلك في الذم.

وكذلك قول قوم شعيب: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (٨٧)^(٢)، أي السفیه الجاهل لوقوعه في سياق الإنكار عليه.

وكذلك: ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾ (٣)^(٣)، لوقوعه في سياق ذمهم بإضلال أتباعهم. وأما ما يصلح للأمرين فيدل على المراد به السياق، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقِي عَظِيمٍ﴾ (٤)^(٤)، أراد به عظيماً في حسنه وشرفه؛ لوقوع ذلك في سياق المدح، وقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ (٥)^(٥)، أراد به عظيماً في قبحه؛ لوقوع ذلك في سياق الذم، وكذلك صفات الرب المحتملة للمعاني المتعددة تحمل في كل سياق على ما يليق به، كقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٦)^(٦)، تمدح بسهولة في قدرته، وكذلك قوله: ﴿ذَلِكَ حَسْرَةٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ (٧)^(٧).

(١) سورة الدخان: ٤٩.

(٢) سورة هود: جزء من الآية ٨٧.

(٣) سورة الأحزاب: جزء من الآية ٦٧.

(٤) سورة القلم: ٤.

(٥) سورة الإسراء: جزء من الآية ٤٠.

(٦) سورة الحج: جزء من الآية ٧٠.

(٧) سورة ق: جزء من الآية ٤٤.

وأما قوله: ﴿فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(١)، وقوله: ﴿يُضَعَّفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(٢)، فإن المراد في هاتين الآيتين احتقار المعذب وعنته، وإنما جاز ذلك لأن من هان عليك عذابه وعنته، ومن عزَّ عليك صعب عليك مصابه ومشقته، وإنما حمل على الاستهانة؛ لأنه لا يصلح من الرب التمدح بالقدرة على تعذيب امرأة أو رجل، إذ التمدح من الرب بأدنى الصفات قبيح في عرف الاستعمال، ولذلك يقبح أن يقال سيئوبه يعرف أن الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، والشافعي يعرف مسألة إزالة النجاسة، وجالينوس يعرف إن الصفراء حادة يابسة، وكذلك العزيز في أوصاف الرب سبحانه يطلق بمعنى الغالب القاهر، ويطلق بمعنى الممتنع عن العيب والضيم، ويطلق بمعنى الذي لا نظير له، ويحمل كل سياق على ما يليق به"^(٣).

٨- ويقول: "وإذا احتمل الكلام معنيين وكان حمله على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق: كان الحمل عليه أولى"^(٤).

٩- ويبيِّن ابن دقيق العيد - رحمه الله - أهميتها مع القرائن بقوله: "أما السياق والقرائن، فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه"^(٥).

١٠- ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في بيان كيفية الكشف عن حقيقة المعنى: "فتأمل ما قبل الآية وما بعدها يطلعك على حقيقة المعنى"^(٦)، وما قبل

(١) سورة النساء: جزء من الآية ٣٠

(٢) سورة الأحزاب: جزء من الآية ٣٠.

(٣) الإمام في بيان أدلة الأحكام ص ١٥٩-١٦٢.

(٤) الإشارة إلى الإيجاز ص ٢٢٠.

(٥) إحكام الأحكام (٢/٢٢٥).

(٦) مجموع الفتاوى (١٥/١٩٦).

الآية وما بعدها هو السياق بشقيه: السباق واللاحق.

١١ - ويؤكد شيخ الإسلام - رحمه الله - هذا الكلام ويبيّن أن منشأ الغلط في التفسير هو: إهمال دلالة السياق بقوله: "فمن تدبر القرآن، وتدبر ما قبل الآية وما بعدها، وعرف مقصود القرآن: تبين له المراد، وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج.

وأما التفسير بمجرد ما يحتمله اللفظ المجرد عن سائر ما يبيّن معناه، فهذا منشأ الغلط من الغالطين، لا سيما ممن يتكلم فيه بالاحتمالات اللغوية"^(١).

فيّن - رحمه الله - أن الاحتمال اللغوي وحده ليس كفيلاً بالإصابة، وإنما لا بد من اقترانه بدلالة السياق حتى يتعيّن المراد من هذه الاحتمالات اللغوية.

١٢ - ثم يؤكد - رحمه الله - هذا المعنى في بيانه لأسباب الخطأ في التفسير، حيث ذكر منها: "مراعاة مجرد اللفظ، وما يجوز أن يريد به العربي، من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم وسيق الكلام"^(٢).

١٣ - ويبيّن - رحمه الله - أن السياق هو الذي ينشئ الدلالة فيقول: "فإن الدلالة في كل موضع بحسب سياقه، وما يحف به من القرائن اللفظية والحالية"^(٣).

١٤ - ويؤكد الإمام ابن القيم - رحمه الله - ما قرّره الإمام العز ابن عبد السلام - رحمه الله - في بيان فوائد دلالة السياق وأهميتها ويزيد عليه، ويبيّن مآل من أهملها بقوله: "السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على

(٥) المرجع السابق (٩٤ / ١٥).

(٢) مقدمة في أصول التفسير ص ٨٢، وهو في مجموع الفتاوى (٣٥٦ / ١٣).

(٣) مجموع الفتاوى (١٤ / ٦).

مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته"^(١).

١٥ - ويبين - رحمه الله - أن دلالة السياق تهدي إلى التحقيق ومعرفة مراد المتكلم، وتجعله

كالنص القاطع الذي لا يقبل التأويل^(٢) مثل المشاهد بالعين الباصرة، فيقول -

رحمه الله -:

وأصخ لفائدة جليل قدرها	تهديك للتحقيق والعرفان
إن الكلام إذا أتى بسياقه	بيدي المراد لمن له أذانان
أضحى كنص قاطع لا يقبل الت-	أويل يعرف ذا ألو الأذهان
فسياقة الألفاظ مثل شواهد ال-	أحوال إنها لن صنوان
إحدهما للعين مشهودا بها	لكن ذاك لمسمع الإنسان
فإذا أتى التأويل بعد سياقة	تبدي المراد أتى على استهجان
وإذا أتى الكتمان بعد شواهد ال-	أحوال كان كأقبح الكتمان
فتأمل الألفاظ وانظر ما الذي	سيقت له إن كنت ذا عرفان ^(٣)

١٦ - وقال ابن جزى الكلبي^(٤) - رحمه الله - في معرض ذكره لأوجه الترجيح في

(١) بدائع الفوائد (٤/ ٣١٤).

(٢) التأويل هو صرف اللفظ عن ظاهره.

(٣) القصيدة النونية ص ٧٤-٧٥.

(٤) أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جزى الكلبي الغرناطي المالكي، إمام متفمن في العلوم، فهو مفسر

حافظ فقيه أصولي أديب، صنّف في فنون شتى، منها: التسهيل لعلوم التنزيل، والمختصر - البارع في

قراءة نافع، وأصول القراء الستة غير نافع، والقوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، وتقريب

الوصول إلى علم الأصول، وغيرها، قتل مجاهدًا في وقعة الكائنة في طريف سنة ٧٤١ هـ، وأسأل الله أن

يكون من الشهداء.

التفسير: "أن يشهد بصحة القول سياق الكلام، ويدل عليه ما قبله وما بعده"^(١).
 ١٧ - ويبيّن الشاطبي^(٢) - رحمه الله - أن دلالة السياق هي الضابط المعول عليه في الفهم فيقول: "المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل، وهذا معلوم في علم المعاني والبيان، فالذي يكون على بال من المستمع والمتفهم الالتفات إلى أول الكلام وآخره، بحسب القضية"^(٣)، وما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر في أولها دون آخرها، ولا في آخرها دون أولها، فإن القضية وإن اشتملت على جمل فبعضها متعلق ببعض، لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد، فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذلك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف، فإن فرق النظر في أجزائه فلا يتوصل به إلى مراد، فلا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض إلا في موطن واحد، وهو النظر في فهم الظاهر بحسب اللسان العربي، وما يقتضيه لا بحسب مقصود المتكلم، فإذا صح له الظاهر على العربية، رجع إلى نفس الكلام، فعما قريب يبدو له منه المعنى المراد فعليه بالتعبد به"^(٤).

=

غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (٢/٨٣)، الديباج المذهب لابن فرحون ص ٢٩٥، الدرر الكامنة (٥/٨٨)، طبقات المفسرين للداودي (٢/٨٥).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١/٩).

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المالكي الشهير بالشاطبي، أصولي بارع مفسر محدث لغوي، له عدة مؤلفات نافعة منها: الموافقات، والاعتصام، وأصول النحو، والمقاصد الشافعية في شرح خلاصة الكافية. توفي سنة ٧٩٠ هـ.

الإعلام للزركلي (١/٧٥)، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١/١١٨).

() الشاطبي - رحمه الله - يسمي المقطع قضية. ينظر نظرية السياق ص ٩٣.

(٤) الموافقات (٤/٢٦٦).

- ١٨ - وقال الإمام الزركشي - رحمه الله - في ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين: " وطريق التوصل إلى فهمه: النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها، واستعمالها بحسب السياق" ^(١).
- ١٩ - وذكر - رحمه الله - في بيان ما يعين على معرفة المعنى عند الإشكال: " دلالة السياق" ^(٢).
- ٢٠ - وقال - رحمه الله -: " ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع؛ لثبوت التجوز" ^(٣).
- ٢١ - ونقل - رحمه الله - عن بعض العلماء أن دلالة السياق " متفق عليها في مجاري كلام الله تعالى" ^(٤)، ورد على من أنكرها بقوله: " ومن جهل شيئاً أنكره" ^(٥).
- ٢٢ - وقال الشيخ ولي الله الدهلوي ^(٦) - رحمه الله -: " ولا بد للمفسر العادل أن ينظر إلى شرح الغريب نظرتين، ويزنه وزناً علمياً مرتين: مرة في استعمالات العرب حتى يعرف أي وجه من وجوهها أقوى وأرجح.

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٧٢).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٢٠٠).

(٣) المرجع نفسه (١/ ٣١٧).

(٤) البحر المحيط في أصول الفقه (٦/ ٥٢).

(٥) المرجع السابق (٦/ ٥٢).

(٦) هو الإمام ولي الله أبو عبد العزيز أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي، فقيه حنفي، من المحدثين، ولد بالهند سنة ١١١٠هـ، من مصنفاته: الفوز الكبير في أصول التفسير، وحجة الله البالغة، وشرح تراجم أبواب البخاري، وغيرها. توفي سنة ١١٧٦هـ.

أبجد العلوم لصديق حسن خان (٣/ ٢٤١)، الأعلام (١/ ١٤٩).

ومرة ثانية في مناسبة السابق واللاحق بعد إحكام مقدمات هذا العلم، وتتبع موارد الاستعمال، والفحص عن الآثار، حتى يعلم أي صورة من صورها أولى وأنسب^(١).

٢٣- وبين الشيخ محمد رشيد رضا^(٢) -رحمه الله- أن دلالة السياق أفضل قرينة تؤدي إلى حقيقة معنى اللفظ بقوله: "وقد قالوا: إن القرآن يفسر- بعضه ببعض، وإن أفضل قرينه تقوم على حقيقة معنى اللفظ: موافقته لما سبق له من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته"^(٣).

٢٤- وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في بيان الأمور المعينة على فهم المراد من القرآن: "فالنظر لسياق الآيات، مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله -أي القرآن-، من أعظم ما يعين على معرفته، وفهم المراد منه"^(٤).

(١) الفوز العظيم في أصول التفسير ص ١١١.

(٢) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، صاحب مجلة (المنار)، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، ولد بطرابلس الشام سنة ١٢٨٢هـ، رحل إلى مصر- سنة ١٣١٥هـ، فلازم الشيخ محمد عبده وتلمذ له، وأصدر مجلة (المنار) لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي، من مصنفاته: تفسير المنار، وصل فيه إلى الآية ١٠٧ من سورة يوسف، والوحي المحمدي، وحقوق النساء في الإسلام، وشبهات النصراني وحجج الإسلام، وغيرها. توفي بحادث سيارة بمصر سنة ١٣٥٤هـ.

الأعلام (٦/١٢٦).

(٣) مقدمة تفسير المنار (١/٢٢)، وقد نبه أن هذه المقدمة للتفسير مقتبسة من درس أستاذه محمد عبده بالمعنى، مع البسط والإيضاح.

(٤) مقدمة تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/٤).

وفي الختام ليس المقصود في هذا المطلب حصر أقوال العلماء في هذا الشأن؛ إذ الحصر-
متعذر، وإنما بيان اهتمام العلماء بدلالة السياق، واتخاذهم لها كمنهج مأمون في تفسير كلام الله
-عز وجل-، وبيان شيء من آثارها، وأنها تنقل الدلالة من الظهور إلى النصية، وأن من يهمله
يكون الخطأ والغلط حليفه، ويجانب الصواب على الدوام.

المطلب الخامس

آثار دلالة السياق القرآني في التفسير.

إنَّ لدلالة السياق القرآني آثار كثيرة في التفسير وغيره، وهذا مما يزيد في أهميتها، فمن
آثارها في التفسير^(١):

١- ترجيح وتضعيف بعض القراءات.

٢- توجيه القراءات.

(١) النماذج التطبيقية على هذه الآثار ستكون في الباب الثاني من هذه الرسالة - بإذن الله -.

- ٣- نقد بعض الروايات المرفوعة.
- ٤- نقد بعض الإسرائيليات.
- ٥- بيان المعنى.
- ٦- بيان المراد من المشترك اللفظي.
- ٧- تضمين المعاني.
- ٨- تحديد المراد من حروف المعاني.
- ٩- تحديد مرجع الضمير.
- ١٠- بيان الحذف وتقديره.
- ١١- ترجيح وتضعيف بعض الأقوال بالتقديم والتأخير.
- ١٢- ترجيح وتضعيف بعض أسباب النزول.
- ١٣- إظهار المناسبة بين آيات القرآن الكريم.
- ١٤- توجيه المتشابه اللفظي.
- ١٥- دفع إيهام الإشكال في القرآن الكريم.
- ١٦- ترجيح وتضعيف بعض الأقوال في النسخ.
- ١٧- معرفة المكّي والمدني.
- ١٨- بيان المواضع المناسبة للوقف والابتداء.
- ١٩- الترجيح والتضعيف للأقوال في التفسير.

الفصل الثاني

أنواع السياقات القرآنية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: سياق الآية.

المبحث الثاني: سياق المقطع.

المبحث الثالث: سياق السورة.

المبحث الرابع: السياق العام للقرآن.

أنواع السياق القرآني

ينقسم السياق القرآني إلى أربعة أنواع متداخلة، وهي كالتالي:

النوع الأول: سياق الآية.

النوع الثاني: سياق النص المقطع.

النوع الثالث: سياق السورة.

النوع الرابع: السياق العام للقرآن.

وقد حَرَّرَ هذا التنوع في السياق القرآني، صاحب كتاب "دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم"^(١) فقال: "السياق قد يضاف إلى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أساسي واحد، كما أنه قد يقتصر على آية واحدة، ويضاف إليها، وقد يكون له امتداد في السورة كلها، بعد أن يمتد إلى ما يسبقه ويلحقه، وقد يطلق على القرآن بأجمعه، ويضاف إليه، بمعنى أن هناك: سياق آية، و سياق النص، و سياق السورة، و السياق القرآني، فهذه دوائر متداخلة متكافلة حول إيضاح المعنى".

فالسياق القرآني يختلف عن غيره من السياقات، فالآية القرآنية تُنشئ دلالة سياقية، وإذا ضمت إلى مجموعة من الآيات نخرج بدلالة أو دلالات سياقية أخرى، ومجموع السورة يُنشئ دلالات سياقية أخرى، وبالنظر إلى مجموع القرآن كوحدة موضوعية واحدة وطريقته وأغراضه ومقاصده نخرج بدلالات سياقية مغايرة.

وهذا مظهر من مظاهر الإعجاز البياني للقرآن الكريم والذي لا يوجد بغيره.

وتفصيل هذه الأنواع للسياق والتمثيل عليها في المباحث الآتية:

المبحث الأول: سياق الآية.

المبحث الثاني: سياق المقطع.

المبحث الثالث: سياق السورة.

المبحث الرابع: السياق العام للقرآن.

المبحث الأول

سياق الآية

ذكرت فيما سبق أن المعجم يعطي معان عامة ومتعددة للمفردة، ويعتريها الاحتمال بينما إذا نُظر إليها في ضوء سياقها؛ فإنه حينئذ تتحدد المعالم لهذه المفردة، ويتضح المراد منها، ويقطع بإرادة أحد معانيها المحتملة في هذا الموضوع، ويتنفي تعدد المعاني واشتراكه وتعميمه. وفي هذا النوع من أنواع السياق يكون النظر في سياق الآية (سباقها ولحاقها)، دون تجاوز ذلك إلى ما سبقها أو لحقها من آيات؛ لتحديد واقتناص المعنى المراد لأحد المفردات من خلال معانيها المتعددة والمحتملة.

ومن أمثلة هذا النوع ما قال ابن كثير - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١) :

"﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ الفظ: الغليظ، والمراد به ههنا غليظ الكلام؛ لقوله بعد ذلك: ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ أي: لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفا لقلوبهم" (٢). فنجد أنه قصر دلالة كلمة "الفظ" على غلظ الكلام رغم أن معناها الغليظ (٣) فتشمل غلظ اللسان وغلظ القلب؛ لأنه أتى في لحاقها غلظ القلب في قوله ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ فقصر - دلالة "فظاً" على غلظ اللسان لئلا يكون في الكلام تكراراً لا فائدة منه فينا في فصاحة القرآن.

المبحث الثاني

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/١٤٨).

(٣) ينظر لسان العرب مادة (فظظ).

سياق المقطع

السورة القرآنية تتضمن نصوصاً ومقاطع من الآيات متحدة المعاني، مترابطة المباني، لها أغراض محددة، وهذه الأغراض متناسقة ومتناسبة، تتلاحم فيبني بعضها على بعض حتى تؤدي بمجموعها غرضاً أو أغراضاً خاصة لمجموع السورة تسمى بـ "وحدة السورة" أو "أغراضها" أو "مقاصدها".

وما أجمل ما كتبه الدكتور محمد عبد الله دراز^(١) - رحمه الله - في كتابه الجليل "النبأ العظيم"^(٢) حيث يقول: "لماذا نقول: إن هذه المعاني تتسق في السورة كما تتسق الحجرات في البنيان؟ لا. بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظامان عند المفصل، ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائح تحيط بهما عن كثب، كما يشتبك العضوان بالشرابين والعروق والأعصاب، ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضاً خاصاً، كما يأخذ الجسم قواماً واحداً، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية".

وأظهر ما يتبين أثر هذا النوع من السياق في القصص و التشريعات
ومن أمثله في القصص:

(١) وُلِدَ د. محمد بمصر سنة ١٣١٢ هـ الموافق ١٨٩٤ م، فقيه أديب أزهرى، حصل على عضوية جماعة كبار العلماء بالأزهر عام ١٩٤٩ م، ودرّس بجامعة الأزهر وغيرها من الجامعات، له مؤلفات منها: المدخل إلى القرآن رسالة ماجستير، ودستور الأخلاق في القرآن رسالة الدكتوراه، والنبأ العظيم، والدين، وغيرها. توفي في باكستان أثناء حضوره المؤتمر الإسلامي سنة ١٣٧٩ هـ الموافق ١٩٥٨ م.

الإعلام للزركلي (٦/٢٤٦)، معجم المؤلفين المعاصرين (٢/٦٤٨).

(٢) ص ١٥٥.

ما قاله الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ

بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجَمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(١):

"تقول المرأة: ولست أبرئ نفسي، فإن النفس تتحدث وتتمنى؛ ولهذا راودته لأنها أمارة

بالسوء، {إِلَّا مَا رَجَمَ رَبِّي} أي: إلا من عصمه الله تعالى، {إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام. وقد حكاها

الماوردي^(٢) في تفسيره، وانتدب لنصره الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية - رحمه الله - فأفرده بتصنيف على حدة^(٣).

وقد قيل: إن ذلك من كلام يوسف - عليه السلام - من قوله: ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ ﴾^(٤)

في زوجته ﴿ بِالْغَيْبِ ﴾^(٥) الآيتين أي: إنها رَدَدْتُ الرسول ليعلم الملك براءتي وليعلم العزيز

﴿ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ ﴾ في زوجته ﴿ بِالْغَيْبِ ﴾ ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾^(٥) ﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ

(١) سورة يوسف: ٥٣.

(٢) هو القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي، مفسر - فقيه أصولي، ولي

القضاء في بلدان شتى، كان موافقاً للمعتزلة في مسألة القدر، وأتهم بالاعتزال، قال السبكي - رحمه الله -:

" هو ليس معتزلياً مطلقاً، فإنه لا يوافقهم في جميع أصولهم مثل: خلق القرآن؛ كما دل عليه تفسيره في

قوله - عز وجل -: ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ ﴾ (الأنبياء: جزء من الآية ٢)، وغير ذلك،

ويوافقهم في القدر، وهي البلية التي غلبت على البصريين وعبوا بها قديماً".

أكثر من التصنيف، فمن مصنفاته: تفسيره المسمى بـ(النكت والعيون)، والإقناع في الفقه، والأحكام

السلطانية، وأدب الدنيا والدين، وغيرها. توفي سنة ٤٥٠ هـ.

تاريخ بغداد (١٢/١٠٢)، معجم الأدباء (٤/٣١٤)، وفيات الأعيان (٣/٢٨٢)، طبقات الشافعية

الكبرى (٥/٢٦٧).

(٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/٢٥٨)

(٤) سورة يوسف: جزء من الآية ٥٢.

(٥) سورة يوسف: جزء من الآية ٥٢.

النَّفْسَ لِأَمَارَةٍ بِالسُّوءِ ﴿١﴾ الآية، وهذا القول هو الذي لم يحك ابن جرير^(٢) ولا ابن أبي حاتم^(٣) سواه.

وقال ابن جرير^(٤): حدثنا أبو كريب^(٥)، حدثنا وكيع^(٦)،

.....

(١) سورة يوسف: جزء من الآيتين ٥٢-٥٣.

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الأملي الطبري، ولد في آمل طبرستان سنة ٢٢٤هـ، استوطن العراق وأقام بها إلى حين وفاته، إمام متفنن مجتهد كان له مذهب متبوع ثم اندثر، وكان زاهداً ورعاً، ومصنفاته في غاية النفع، فمنها: جامع البيان في تأويل آي القرآن، وتاريخ الأمم والملوك، وتهذيب الآثار، والجامع وهو في القراءات، والتبصير في معالم الدين، وغيرها. توفي سنة ٣١٠هـ. تاريخ بغداد (١٦٢/٢)، معجم الأدباء (٢٤٢/٥)، تهذيب الأسماء واللغات (٧٨/١)، معرفة القراء الكبار (٢٦٥/١).

(٣) أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الحنظلي الرازي، شيخ الإسلام الحافظ ابن الحافظ، الثقة الثبت، إمام في التفسير والحديث والعبادة والزهد والصلاح، وكان بحرّاً في العلوم، ولد سنة ٢٤٠هـ، وصنف: التفسير المسند، والجرح والتعديل، والعلل، والرد على الجهمية، والزهد، ومناقب الشافعي، ومناقب أحمد، عدّه السبكي من الشافعية فذكره في طبقاته (٣٢٤/٣)، وعدّه ابن يعلى من الحنابلة فذكره في طبقاته (٥٥/٢)، توفي سنة ٣٢٧هـ.

تذكرة الحفاظ (٨٢٩/٣)، طبقات المفسرين للسيوطي ص ٥٢.

(٤) جامع البيان (٢١٠/١٣).

(٥) محمد بن العلاء بن كريب الهمداني، أبو كريب الكوفي، مشهور بكنيته، ثقة حافظ، من العاشرة، مات سنة سبع وأربعين، وهو ابن سبع وثمانين سنة، أخرج له الجماعة.

تقريب التهذيب ص ٨٨٥، برقم (٦٢٤٤).

(٦) وكيع بن الجراح بن مليح الرُّؤاسي، أبو سفيان الكوفي، ثقة حافظ عابد، من كبار التاسعة، مات في آخر سنة ست أو أول سنة سبع وتسعين ومائة، وله سبعون سنة، أخرج له الجماعة.

تقريب التهذيب ص ١٠٣٧، برقم (٧٤٦٤).

عن إسرائيل^(١)، عن سماك^(٢)، عن عكرمة^(٣)، عن ابن عباس قال: لما جمع الملك النسوة فسألهن: هل راودتن يوسف عن نفسه؟ ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾﴾^(٤). قال يوسف ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٢﴾﴾^(٥)، قال: فقال له جبريل -عليه السلام: السلام: ولا يوم هممت بما هممت به. فقال: ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(٦). وهكذا قال مجاهد^(٧)،

(١) إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي الهمداني، أبو يوسف الكوفي، ثقة تكلم فيه بلا حجة، من السابعة، مات سنة ستين (ومائة)، وقيل بعدها، أخرج له الجماعة.
تقريب التهذيب ص ١٣٤، برقم (٤٠٥).

(٢) سماك بن حرب بن أوس بن خالد الذهلي البكري الكوفي، أبو المغيرة، صدوق، وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة، وقد تغير بأخرة فكان ربما تلقن، من الرابعة، مات سنة ثلاث وعشرين (ومائة)، أخرج له البخاري تعليقا ومسلم وأصحاب السنن.
تقريب التهذيب ص ٤١٥، برقم (٢٦٣٩).

(٣) عكرمة، أبو عبد الله، مولى ابن عباس، أصله بربري، ثقة ثبت، عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا تثبت عنه بدعة، من الثالثة، مات سنة أربع ومائة، وقيل بعد ذلك. أخرج له الجماعة.
تقريب التهذيب ص ٦٨٧ برقم (٤٧٠٧).

(٤) سورة يوسف: جزء من الآية ٥١.

(٥) سورة يوسف: الآية ٥٢.

(٦) سورة يوسف: جزء من الآية ٥٣.

(٧) هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي، المخزومي مولاهم، ولد سنة ٢١هـ، تابعي جليل، إمام مفسر-مقرئ، عرض القرآن على ابن مسعود -رضي الله عنه- ثلاث مرّات يسأله عن كل آية، وعلى ابن عباس -رضي الله عنهما- ثلاث مرّات أيضا، له تفسير، توفي بمكة وهو ساجد سنة ١٠٢هـ، وقيل غير ذلك

وسعيد بن جبير^(١)، وعكرمة، وابن أبي الهذيل^(٢)، والضحاك^(٣)، والحسن^(٤)، وقتادة^(٥)،

معرفة القراء الكبار للذهبي (١/٦٦)، غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (٢/٤١)، طبقات المفسرين للداودي (٢/٣٠٥).

(١) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي مولاهم، أبو عبد الله وقيل أبو محمد، من سادات التابعين علماً وعملاً، إمام مفسر مقرئ فقيه، قرأ القرآن على ابن عباس -رضي الله عنه-، قتله الحجاج ظملاً سنة ٩٤هـ أو ٩٥هـ.

المعارف ص ٤٤٥، وفيات الأعيان (٢/٣٧١)، سير أعلام النبلاء (٤/٣٢١).

(٢) هو عبدالله بن أبي الهذيل، أبو المغيرة العنزي الكوفي، إمام ثقة قدوة عابد من كبار التابعين، توفي أثناء ولاية خالد القسري على العراق، وولاية خالد القسري على العراق من سنة ١٠٦هـ حتى ١٢٠هـ.

الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/١١٥)، حلية الأولياء (٤/٣٨٥)، سير أعلام النبلاء (٤/١٧٠).

(٣) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد وقيل أبو القاسم، له باع كبير في التفسير والقصص، وكان من أوعية العلم، وليس بالمجود لحديثه، وهو صدوق في نفسه، وهو يروي التفسير عن ابن عباس ولم يلقه، وإنما لقي سعيد بن جبير في الري فأخذ عنه التفسير، توفي سنة ١٠٢هـ، وقيل غير ذلك.

سير أعلام النبلاء (٤/٥٩٨)، تهذيب الكمال (١٣/٢٩١)

(٤) أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ويقال مولى كعب بن عمرو السلمي، وقيل غير ذلك، ولد في خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وكان سيد أهل زمانه علماً وعملاً وزهداً وورعاً، له التفسير رواه عنه جماعه، والرد على القدرية، توفي سنة ١١٠هـ.

طبقات ابن سعد (٧/١٥٦)، حلية الأولياء لأبي نعيم (٢/١٣١)، صفة الصفوة (٣/١٦٤)، سير أعلام النبلاء (٤/٥٦٣).

(٥) أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي البصري، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، العالم العامل، تابعي جليل، ولد أكمهاً سنة ٦٠هـ، وكان من أوعية العلم، وكان يرى القدر -عفا الله عنه-، له تفسير في مجلد. توفي بالطاعون سنة ١١٨هـ.

حلية الأولياء (٢/٣٣٣)، صفة الصفوة (٣/١٨٥)، سير أعلام النبلاء (٥/٢٦٩).

والسُّدي^(١).

والقول الأول أقوى وأظهر؛ لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك، ولم يكن يوسف - عليه السلام - عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك^(٢).
ومن أمثله في التشريعات:

ما قاله الإمام الشنقيطي - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يُحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَاءٍ مَاتَ أَتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٩﴾﴾^(٣):

"ظاهر هذه الآية الكريمة: أن الطلاق كله منحصر - في المرتين، ولكنه تعالى بين أن المنحصر في المرتين هو الطلاق الذي تملك بعده الرجعة، لا مطلقاً، وذلك بذكره الطلقة الثالثة التي لا تحل بعدها المراجعة إلا بعد زوج. وهي المذكورة في قوله: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يُحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾ الآية^(٤)"^(٥).

(١) هو أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الهاشمي مولا هم السُّدي الكوفي، إمام في التفسير، له تفسير، توفي سنة ١٢٧ هـ.

سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٤)، طبقات المفسرين للداودي (١/ ١١٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٩٤-٣٩٥).

(٣) سورة البقرة: ٢٢٩.

(٤) سورة البقرة: ٢٣٠.

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ١٥٩).

المبحث الثالث

سياق السورة

لكل سورة في القرآن الكريم محور عام وغرض رئيس أو أكثر يستخلص من سياقها العام، وتكون المقاطع ذات الأغراض الخاصة في السورة خادمة لهذا المحور العام والغرض الرئيس، "فتتناسق أوضاعها، وتتألف عناصرها، ويأخذ بعضها بحُجَزٍ بعض، حتى إنها لتتنظم منها وحدة محكمة لا انفصام لها"^(١) ذات محور عام.

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز -رحمه الله-: "اعمد إلى سورة من تلك السور التي تتناول أكثر من معنى واحد، وما أكثرها في القرآن -فهي جمهرته- وتَنَقَّلْ بفكرك معها مرحلة مرحلة، ثم ارجع البصر كرتين: كيف بدئت؟ وكيف ختمت؟ وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت؟ وكيف تلاقت أركانها وتعانقت؟ وكيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها ووطأت أُولاهها لأُخراها؟"

وأنا لك زعيم بأنك لن تجد ألبته في نظام معانيها أو مبانيها ما تعرف به أكانت هذه السورة قد نزلت في نجم واحد أم في نجوم شتى؟! ... إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حشيت حشواً، وأوزاعاً من المباني جمعت عفواً، فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة، قد بنيت من المقاصد الكلية على أساس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر وتطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة: لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق،

(١) النبا العظيم ص ١٤٢ بتصرف يسير.

بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضام والالتحام.

كل ذلك بغير تكلف ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنما هو: حسن السياق، ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه، يُريك المنفصل متصلاً، والمختلف مؤتلفاً^(١).

وهذا التناسب بين الآيات والمقاطع من مظاهر إعجاز هذا الكتاب العظيم.

يقول القرطبي^(٢) -رحمة الله- في مقدمة كتابه الجامع لأحكام القرآن في معرض تعداد وجوه الإعجاز القرآني: "ومنها: التناسب في جميع ما تضمنه ظاهراً وباطناً من غير اختلاف.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ (٨٢) (٣) (٤)

ومن أمثلة هذا النوع من السياق:

ما قاله الإمام ابن جرير الطبري -رحمة الله- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ

الْجَنَّةِ سَبَابًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ (١٥٨) (٥)، حيث ذكر الخلاف في معنى الإحضار هل

المراد به الإحضار للعذاب أو الإحضار لمشاهدة الحساب؟ ثم قال:

(١) النبأ العظيم ص ١٥٤-١٥٥.

(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي القرطبي المالكي، إمام صالح ورع زاهد متقن متبحر في العلوم، له تصانيف مفيدة تدل على إمامته وكثرة اطلاعه ووفور فضله، منها: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، والكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، والتذكار في أفضل الأذكار، وغيرها، توفي سنة ٦٧١ هـ. الوافي بالوفيات للصفدي (٨٧/٢)، الديباج المذهب لابن فرحون ص ٣١٧، طبقات المفسرين للسيوطي ص ٧٩.

(٣) سورة النساء: جزء من الآية ٨٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١/١١٩).

(٥) سورة الصافات: ١٥٨.

"وأولى القولين في ذلك بالصواب: قول من قال: إنهم لمحضرون العذاب؛ لأن سائر الآيات التي ذكر فيها الإحضار في هذه السورة، إنما عُنِيََ به الإحضار في العذاب، فكذلك في هذا الموضع"^(١).

فاستدلَّ -رحمه الله- على هذا المعنى من خلال سياق السورة، فقد ورد ذكر الإحضار في هذه السورة مرتين غير هذا الموضع: الأول: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾^(٥٧)، والثاني: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾^(١٢٧)، وكليهما بمعنى الإحضار للعذاب، فيكون هذا الموضع بمعناهما.

ومن الأمثلة أيضاً ما قاله الإمام ابن القيم -رحمه الله- في أثناء تفسيره سورة التحريم والأمثال التي فيها:

"ثم في هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة؛ فإنها سقيت في ذكر أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم-، والتحذير من تظاهُرهنَّ عليه، وأنهنَّ إن لم يُطْعَنَ الله ورسوله ويُرَدَّنَ الدار الآخرة لم ينفعهن اتصالهن برسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما لم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالهما بهما، ولهذا إنَّما ضُرب في هذه السورة مثل اتصال النكاح دون القرابة. قال يحيى بن سلام^(٤): ضَرَبَ اللهُ المثل الأول يُحَدِّدُ عائشة وحفصة، ثم ضرب لهما المثل الثاني يجرضهما على التمسك بالطاعة.

(١) جامع البيان (١٩/٦٤٦).

(٢) سورة الصافات: ٥٧.

(٣) سورة الصافات: ١٢٧.

(٤) هو أبو زكريا يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة البصري، نزيل المغرب، ولد سنة ١٢٤هـ، له اختيار في القراءة من طريق الآثار، وسمع أهل أفريقية منه تفسيره، وكتابه الجامع، قال عنه أبو عمرو الداني: كان ثقة ثبًا، عالماً بالكتاب والسنة، وله معرفة باللغة والعربية أ.هـ، توفي سنة ٢٠٠هـ.

وفي ضَرْبِ المثل للمؤمنين بمريم أيضاً اعتبار آخر، وهو أنها لم يُضَرَّها عند الله شيئاً قَدْفُ أعداء الله اليهود لها، ونسبتهم إياها وابنها إلى ما برأهما الله عنه، مع كونها الصديقة الكبرى المصطفاة على نساء العالمين، فلا يُضَرُّ الرجل الصالح قدحُ الفجار و الفُسَّاق فيه.

وفي هذا تسليية لعائشة أم المؤمنين إن كانت السورة نزلت بعد قصة الإفك، وتوطين نفسها على ما قال فيها الكاذبون إن كانت قبلها، كما في ذكر التمثيل بامرأة نوح ولوط تحذير لها ولحفصة مما اعتمدها في حق النبي -صلى الله عليه وسلم-، فتضمنت هذه الأمثال التحذير لهن والتخويف والتحريض لهن على الطاعة والتوحيد، والتسليية وتوطين النفس لمن أُوذِيَ منهن وكُذِبَ عليه، وأسرار التنزيل فوق هذا وأجل منه، ولا سيما أسرار الأمثال التي لا يعقلها إلا العالمون"^(١).

=
سير أعلام النبلاء (٣٩٦/٩)، غاية النهاية في طبقات القراء (٣٧٣/٢)، طبقات المفسرين للداودي (٣٧١/٢).

(١) إعلام الموقعين (١/٢٢٥-٢٢٨).

المبحث الرابع السياق العام للقرآن الكريم

ويراد بهذا النوع من السياق القرآني: الأغراض والمقاصد الأساسية للقرآن الكريم، ومعانيه الكلية، وأساليبه المطردة.

وبعد هذا الإجمال أشرع بالتفصيل مع التمثيل في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الأغراض والمقاصد الأساسية للقرآن الكريم.

المطلب الثاني: المعاني الكلية للقرآن الكريم.

المطلب الثالث: الأساليب المطردة في القرآن الكريم.

المطلب الأول

الأغراض والمقاصد الأساسية للقرآن الكريم:

من المعلوم أن القرآن الكريم أنزل لمقاصد جليلة وأغراض نبيلة، مبنية على مصالح العباد في دنياهم وأخراتهم، ومتضمنة لأسباب السعادة في المعاش والمعاد، وفهم هذه المقاصد والأغراض الأساسية لنزول القرآن الكريم أمر لا بد منه عند المفسر لكلام الله - عز وجل -، والإخلال به يؤدي إلى الوقوع في الخطأ عند تفسير كلام الله - عز وجل -.

يقول الشاطبي - رحمه الله -: " قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا

﴿٢٤﴾ ^(١) فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد، وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن الكريم فلم يحصل منهم تدبر" ^(٢).

بل عدّ - رحمه الله - الجهل في مقاصد الشرع السبب الرئيس للابتداع في الدين فقال - رحمه الله - عند بيانه لما أخذ أهل البدع بالاستدلال: " ومدار الغلط في هذا الفصل إنما هو على حرف واحد؛ وهو الجهل بمقاصد الشرع، وعدم ضم أطرافه بعضها لبعض" ^(٣).

ويرى - رحمه الله - تحريم الكلام في أمور الدين لمن لا يعرف مقاصد الكتاب والسنة، فيقول: " من لم يعرف مقاصدهما - أي القرآن والسنة -، لم يحل له أن يتكلم فيهما، إذ لا يصح له النظر حتى يكون عالماً بهما، فإنه إذا كان كذلك لم يختلف عليه شيء من الشريعة" ^(٤).

(١) سورة محمد: ٢٤.

(٢) الموافقات (٤/٢٠٩).

(٣) الاعتصام (١/٣١١).

(٤) ينظر مقدمة تفسير القاسمي (١/١٧١).

ويبين الطاهر بن عاشور^(١) - رحمه الله - أهمية الإحاطة بمقاصد الكتاب والسنة بقوله:
 "فمراد الله من كتابه هو بيان تصاريف ما يرجع إلى حفظ مقاصد الدين، وقد أودع ذلك
 في ألفاظ القرآن التي خاطبنا بها خطاباً بيناً، وتعبدنا بمعرفة مراده والاطلاع عليه فقال:
 ﴿ كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَبْرُوكٌ لِيَذَّبُوا عَنِتْهِمْ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^(٢)، ... أليس قد
 وجب على الآخذ في هذا النص أن يعلم المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها"^(٣).
 ويرى - رحمه الله - أن غرض المفسر هو "بيان ما يصل إليه، أو ما يقصده من مراد الله
 تعالى في كتابه بآتم بيان يحتمله المعنى، ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد
 القرآن، أو يتوقف عليه فهمه أكمل فهم، أو يخدم المقصد تفصيلاً وتفريعاً... فلا جرم
 كان رائد المفسر في ذلك أن يعرف على الإجمال مقاصد القرآن مما جاء لأجله"^(٤).
 ويوجز شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مقاصد الشريعة ومبناها بقوله: "فإن
 الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب

(١) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور المالكي، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع
 الزيتونة وفروعه فيها، وعميد جامع الزيتونة، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة،
 إمام ضليع في العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية، ألف التفسير العظيم المسمى: التحرير
 والتنوير في ثلاثين جزءاً، اهتم فيه بالجوانب البلاغية مع عدم إهمال الجوانب الأخرى، وكشف المغطى
 من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، ومقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول النظام الاجتماعي في
 الإسلام، وأليس الصبح بقريب، وموجز البلاغة، وغيرها، توفي سنة ١٣٩٣ هـ.

الإعلام للزركلي (٦/١٧٤)، ومعجم المؤلفين المعاصرين لمحمد خير رمضان يوسف (٢/٦٢٨).

(٢) سورة ص: ٢٩.

(٣) مقدمة التحرير والتنوير (١/٣٧).

(٤) مقدمة التحرير والتنوير (١/٣٩).

الإمكان، ومعرفة خير الخيرين، وشر الشرّين؛ حتى يقدّم عند التزاحم خير الخيرين، ويدفع شر الشرّين"^(١).

ويقول ابن القيم -رحمه الله-: "إن الشريعة مبناهما وأساسها على الحكمة ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة -وإن أُدخلت فيها بالتأويل-، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه، وعلى صدق رسوله -صلى الله عليه وسلم- أتم دلالة وأصدقها"^(٢).

وقد توصل الطاهر بن عاشور -رحمه الله- باستقراءه إلى أن المقاصد الأساسية التي جاء القرآن الكريم لبيانها: ثمانية.

الأول: إصلاح الاعتقاد.

الثاني: تهذيب الأخلاق.

الثالث: التشريع.

الرابع: سياسة الأمة وصلاحتها وحفظ نظامها.

الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم.

السادس: التعليم بما يناسب حالة عصر- المخاطبين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها.

السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير.

الثامن: الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول -صلى الله عليه وسلم-^(٣).

(١) منهاج السنة النبوية (٦/١١٨).

(٢) إعلام الموقعين (٣/١٤).

(٣) ينظر مقدمة التحرير والتنوير (١/٣٧-٣٩).

ومن أدلة اعتبار مقاصد القرآن الكريم: ما جاء في السنة النبوية من اعتبار سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، حيث قال عنها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "إنها لتعدل ثلث القرآن"^(١)، وذلك يكون بالنظر إلى سياق هذه السورة وأغراضها بالنسبة لسياق القرآن الكريم وأغراضه، حيث كانت لهذه السورة ثلث المعنى الذي تنقسم إليه معاني القرآن الكريم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "... كون "قل هو الله أحد" تعدل ثلث القرآن، ما وجه ذلك؟

... فقد قيل فيه وجوه، أحسنها -والله أعلم-: الجواب المنقول عن الإمام أبي العباس بن سريج^(٢)، ... قال: معناه أنزل القرآن على ثلاثة أقسام: ثلث منها الأحكام، وثلث منها وعد ووعد، وثلث منها الأسماء والصفات، وهذه السورة جمعت الأسماء والصفات"^(٣).

(١) ثبت هذا في عدة أحاديث، منها: حديث أبي سعيد مرفوعاً: أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ "قل هو الله أحد" يرددّها، فلما أصبح جاء إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فذكر ذلك له، وكان الرجل يتقأها، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "والذي نفسي بيده، إنها لتعدل ثلث القرآن" رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل قل هو الله أحد، برقم (٥٠١٣)، وينظر بقية الأحاديث في هذا المعنى في صحيح البخاري، كتاب الفضائل، باب فضل "قل هو الله أحد"، برقم (٥٠١٥)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضائل القرآن وما يتعلق به، باب فضل "قل هو الله أحد"، برقم (٨١١)، و (٨١٢)، و (٨١٣).

(٢) القاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي الشافعي، شيخ الإسلام، فقيه العراق، ولد سنة بضع وأربعين ومائتين، يلقب بالباز الأشهب، ولي قضاء شيراز، وصنف نحو أربعمئة مصنف، توفي سنة ٣٠٦هـ.

تاريخ بغداد (٤/ ٢٨٧)، وفيات الأعيان (١/ ٦٦)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٠١).

(٣) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٠٣).

المطلب الثاني

المعاني الكلية للقرآن الكريم

المقصود بالمعاني الكلية: هو ما يرد في القرآن الكريم من ألفاظ يَطَّرِدُ أو يغلب استعمالها على معنى واحد، وهو ما يسميه بعض العلماء بـ (كليات الألفاظ).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : " فإذا كان في وجوب شيء نزاع بين العلماء، ولفظ الشارع قد اطرَّد في معنى؛ لم يجوز أن ينقض الأصل المعروف من كلام الله تعالى ورسوله بقوله فيه نزاع بين العلماء" (١) .

ويقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - : " للقرآن عرف خاص، ومعان معهودة، لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عرفه والمعهود من معانيه، فإن نسبة معانيه إلى المعاني كنسبة ألفاظه إلى الألفاظ، بل أعظم، فكما أن ألفاظه ملوك الألفاظ وأجلها وأفصحها، ولها من الفصاحة أعلى مراتبها التي تعجز عنها قدر العالمين، فكذلك معانيه أجل المعاني وأعظمها وأفخمها، فلا يجوز تفسيره بغيرها من المعاني التي لا تليق به، بل غيرها أعظم منها وأجل وأفخم، فلا يجوز حمله على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي، فتدبر هذه القاعدة، ولتكن منك على بال، فإنك تنتفع بها في معرفة ضعف كثير من أقوال المفسرين وزيفها، وتقطع أنها ليست مراد المتكلم تعالى بكلامه" (٢) .

ويقول الإمام الشنقيطي - رحمه الله - : " ومن أنواع البيان المذكورة في هذا الكتاب المبارك: الاستدلال على أحد المعاني الداخلة في معنى الآية بكونه هو الغالب في القرآن، فغلَبته فيه دليل على عدم خروجه من معنى الآية" (٣) .

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٥).

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ٨٧٧).

(٣) مقدمة أضواء البيان (١/ ١٨).

ويقول الطاهر بن عاشور - رحمه الله -: " فلا جرم كان رائد المفسر- في ذلك -أي البيان- أن يعرف على الإجمال مقاصد القرآن مما جاء لأجله، ويعرف اصطلاحه في إطلاق الألفاظ، وللتنزيل اصطلاح وعادات" (١).

ولا يطلق على معنى من المعاني بأنه من كليات القرآن إلا بعد استقراء للقرآن الكريم، فإذا كان هذا المعنى مُطرد وغير منخرم كان الاطراد مرجحاً عند الاختلاف؛ لأن الاستقراء التام حجة، وإذا كان هذا المعنى الكلي منخرم بأمثلة قليلة، فإنه حينئذ يبين المفسر هذه الأمثلة، ويكون الحكم أغلبي، ويمكن الاستفادة منه في الترجيح (٢).

ومثّل الإمام الشنقيطي - رحمه الله - لهذا الاطراد في المعنى حيث يقول:

" ومثاله قوله تعالى: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي...﴾ (٣) فقد قال بعض العلماء: إن المراد بهذه الغلبة بالحجة والبيان، والغالب في القرآن هو استعمال الغلبة في الغلبة بالسيف والسنان، وذلك دليل واضح على دخول تلك الغلبة في الآية؛ لأن خير ما يبين به القرآن هو القرآن،

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾ (٤)، وقوله: ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ (٥)، وقوله: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ

وَإِنْ تَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (٦)، وقوله: ﴿فَإِنْ تَكُنْ

مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٧) الآية (٩)،

(١) مقدمة التحرير والتنوير (٣٩ / ١)

(٢) ينظر فصول في أصول التفسير للدكتور مساعد الطيار ص ١٢٣.

(٣) سورة المجادلة: جزء من الآية ٢١.

(٤) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٢.

(٥) سورة النساء: جزء من الآية ٧٤.

(٦) قراءة نافع وابن كثير وابن عامر. ينظر التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص ١١٧، والنشر في

القراءات العشر لابن الجزري (٢ / ٢٠٨)

(٧) سورة الأنفال: جزء من الآية ٦٥.

(٨) قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو. ينظر المصادر السابقة.

(٩) سورة الأنفال: ٦٦

وقوله: ﴿الْم ١﴾ غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي آدَنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾

في بَضْعِ سِنِينَ ﴿١﴾، إلى غير ذلك من الآيات" (٢).

ومن الأمثلة أيضا (٣):

قول ابن عباس - رضي الله عنهما -: " كل شيء في القرآن زجر فهو عذاب" (٤).

وقول مجاهد - رحمه الله -: " كل ظن في القرآن فهو علم" (٥).

وقول سفيان بن عيينة (٦) - رحمه الله -: " ما سمى الله مطراً في القرآن إلا عذاباً" (٧).

وقول ابن فارس - رحمه الله -: " ما في القرآن من ذكر البعل فهو الزوج كقوله تعالى:

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ (٨) إلا حرفاً واحداً في الصافات: ﴿أَنْدَعُونَ بَعْلًا﴾ (٩)، فإنه أراد

صنماً" (١٠).

(١) سورة الروم: من الآية ١ إلى جزء من الآية ٤.

(٢) أضواء البيان (١/١٨-١٩).

(٣) ينظر فصول في أصول التفسير ص ١٢٤-١٢٥.

(٤) رواه الطبري في جامع البيان (١/٧٣٠).

(٥) رواه الطبري في جامع البيان (١/٦٢٥).

(٦) أبو محمد سفيان بن عيينة ابن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم، أخي الضحاك ابن مزاحم،

الهلالي الكوفي، ثم المكي، ولد سنة ١٠٧ هـ، إمام حجة، حافظ عصره، واسع العلم، كبير القدر، مفسر-

كبير، له تفسير، توفي سنة ١٩٨ هـ.

الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/٤٩٧)، تاريخ بغداد (٩/١٧٤)، وفيات الأعيان (٢/٣٩١)، سير

أعلام النبلاء (٨/٤٥٤)

(٧) فتح الباري (٨/١٥٨).

(٨) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٢٨.

(٩) سورة الصافات: جزء من الآية ١٢٥.

(١٠) البرهان في علوم القرآن (١/١٠٥).

المطلب الثالث

الأساليب المطردة في القرآن الكريم:

ويراد بها ما يَطَّرِدُ استعماله في القرآن الكريم من أساليب، ويسميه بعض العلماء بـ "عادات القرآن"، والبعض يسميه "كليات الأسلوب" ليفرق بينه وبين كليات الألفاظ.

ويقال في طريقة التوصل إليها وحكمها ما قيل في " المعاني الكلية للقرآن الكريم" ^(١)

يقول الطاهر بن عاشور -رحمه الله-: " وللقرآن أسلوب خاص" ^(٢).

ويقول -رحمه الله-: " يحق للمفسر أن يتعرف عادات القرآن من نظمه وكَلِمِهِ" ^(٣).

ومن الأمثلة على الأساليب المطردة في القرآن الكريم ^(٤):

(١) قال ابن القيم -رحمه الله-: " وهذه طريقة القرآن يقرن بين أسماء الرجاء وأسماء

المخافة، كقوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴾ ^(٥) ^(٦)

(٢) قال ابن كثير -رحمه الله-: " كثيراً ما يقرن الله سبحانه بين عبادته والإحسان إلى

(١) المطلب الثاني من هذا المبحث ص ١٢١.

(٢) مقدمة التحرير والتنوير (١/ ٦٣-٦٤).

(٣) المصدر السابق (١/ ١٢٢) تحت عنوان (عادات القرآن) من المقدمة العاشرة.

(٤) ينظر فصول في أصول التفسير ص ١٢٥-١٢٦.

(٥) سورة المائدة: ٩٨.

(٦) جلاء الأفهام ص ١٨٨.

الوالدين، كقوله: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾^(١)، وكقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٢) (٣).

(٣) قال الشاطبي - رحمه الله -: "إذا ورد في القرآن الترغيب قارنه الترهيب في لواحقه وسوابقه أو قرائنه، وبالعكس، وكذلك الترجية مع التخويف" (٤).

(٤) قال الشنقيطي - رحمه الله -: "قوله: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾^(٥)، قد دلَّ استقراء القرآن العظيم على أن الله - جل وعلا - إذا ذكر تنزيله لكتابه أتبع ذلك ببعض أسمائه الحسنی المتضمنة صفاته العليا" (٦).

(١) سورة لقمان: جزء من الآية ١٤ .

(٢) سورة الإسراء: جزء من الآية ٢٣ .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/٢٩٨).

(٤) الموافقات (٣/٢٣٦).

(٥) سورة الزمر: ١

(٦) أضواء البيان (٧/٤١).

الفصل الثالث

قواعد في السياق

القرآن

الفصل الثالث

قواعد في السياق القرآني

لقد وضع المفسرون قواعد وضوابط لصيانة تفسير كلام الله - عز وجل - من الخطأ والزلل، ولما كان السياق القرآني من أهم أصول التفسير؛ كان له نصيب من هذه القواعد والضوابط، وسأعرض - بإذن الله تعالى - في هذا الفصل ما يتعلق بالسياق القرآني من القواعد، وذلك في المباحث الآتية^(١):

المبحث الأول: كل تفسير أهملت فيه دلالات الألفاظ، أو ياباه السياق فهو باطل.

المبحث الثاني: الأولى حمل كلام الله عز وجل على الغالب من عرفه ومعهود استعماله.

المبحث الثالث: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل.

المبحث الرابع: الأصل حمل اللفظ على تأسيس معنى جديد، إلا أن يدل السياق على

التأكيد.

(١) كتبت دراسات في قواعد التفسير منها: قواعد الترجيح عند المفسرين للدكتور حسين بن علي الحربي، وقواعد التفسير للدكتور خالد بن عثمان السبت، وقد استفدت منها في انتقاء ما يتعلق بالسياق القرآني من قواعد لاسيما الأول فقد أتعبت من بعده؛ لجودة جمعه، وقوة دراسته التطبيقية ودقتها، حيث إنه استخلصها من تفاسير الطبري وابن عطية والشنقيطي على وجه الخصوص، وكثير من المفسرين غيرهم كابن تيمية وتلميذه ابن القيم وأبي حيان على وجه العموم، فاعتمدت في هذا الفصل على جمعه وزدت عليه قليلاً.

المبحث الخامس: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.
المبحث السادس: الأصل بقاء ترتيب النظم، إلا إذا دَلَّ السياق على التقديم والتأخير.
المبحث السابع: الأصل اتحاد مرجع الضمائر في السياق الواحد.
المبحث الثامن: الأصل عود الضمير لأقرب مذكور إلا لدليل على خلاف ذلك.
المبحث التاسع: القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار، إلا لدليل من سياق أو غيره.

المبحث العاشر: الأصل في التقدير أن يكون موافقاً للسياق القرآني.
المبحث الحادي عشر: يجب حمل كلام الله - عز وجل - على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق القرآني.

المبحث الأول

كل تفسير أهملت فيه دلالات الألفاظ، أو ياباه السياق فهو باطل^(١).

إن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(٢) فلا سبيل لفهمه بعيداً عن دلالات الألفاظ العربية، وأيضاً دلالات الألفاظ وحدها غير كافية للحكم بصواب المعنى، فالمفردات العربية واسعة الدلالة، فلا بد إذاً من وجود أمر زائد على معرفة «دلالات الألفاظ»؛ لإدراك المعنى المراد، ألا وهو «دلالة السياق»، فالسياق يحدد الدلالة المطلوبة من دلالات المفردة، فبالنظر إلى اتساق الكلام وتتابع الجمل تُقتنص الدلالة من المفردة في سياقها، يقول الإمام الشافعي -رحمه الله-: «فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها، على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها. وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاماً ظاهراً يراد به العام الظاهر، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره، و عاماً ظاهراً يراد به العام ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خُوطب به فيه، و عاماً ظاهراً يراد به الخاص، و ظاهر يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره، فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره.

(١) ينظر قواعد الترجيح (٢/ ٣٤٩).

(٢) سورة يوسف: جزء من الآية ٢.

وتبتدئ الشيء من كلامها يُبَيَّن أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبيِّن آخر لفظها منه عن أوله»^(١).

فبيِّن - رحمه الله - أن فهم القرآن الكريم يستمد من معاني الألفاظ العربية، وأن هذا وحده غير كافٍ لاتساع معانيها، وأعقب ذلك ببيان منزلة دلالة السياق في الكشف عن المعنى المراد.

ويبيِّن الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله - حَكَمِيَّةَ السياق في بيان المعنى فيقول: «فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول ﷺ تقوم به حجة، فأما الدعاوى فلا تتعذر على أحد»^(٢). وقد أبدعَ شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في تقريره لهذه القاعدة في كتابه البديع «مقدمة في أصول التفسير»^(٣)، فبيَّن أن أكثر ما وقع فيه الخطأ في التفسير من جهة الاستدلال يرجع إلى سببين:

" **أحدهما:** قوم اعتقدوا معاني، ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها.

والثاني: قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده من كان من الناطقين بلغة العرب بكلامه، من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن، والمنزل عليه، والمخاطب به. **فالأولون:** راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان.

والآخرون: راعوا مجرد اللفظ، وما يجوز أن يريد به عندهم العربي من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم، وسيقاق الكلام"^(٤).

(١) الرسالة ص ٥١-٥٢.

(٢) جامع البيان (٧/ ٦٧٥).

(٣) ص ٧٩-٩٣.

(٤) مقدمة في أصول التفسير ص ٧٩-٨١، وهو في مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٥٥-٣٥٦).

فَأَرْجَع - رحمه الله - سبب الغلط إلى أمرين:

الأول: إهمال دلالات الألفاظ العربية.

والثاني: إهمال دلالة السياق وقرائن الأحوال.

ويؤكد على أهمية دلالة السياق، وعدم كفاية دلالة اللفظ فيقول: «إن الدلالة في كل

موضع بحسب سياقه، وما يحف به من القرائن اللفظية والحالية»^(١).

بل عدّ هذا أصلاً عظيماً مهماً نافعاً في باب فهم الكتاب والسنة فيقول: «بل ينظر في كل

آية وحديث بخصوصه وسياقه، وما يبيّن معناه من القرائن والدلالات فهذا أصل عظيم مهم

نافع في باب فهم الكتاب والسنة، والاستدلال بهما مطلقاً»^(٢).

فما سبق نخلص إلى أن كل تفسير أهملت فيه دلالات الألفاظ، أو يأباه السياق فهو

باطل.

ومن أمثلة تطبيق الإمام ابن كثير - رحمه الله - لهذه القاعدة بشقيها:

(أ) إهمال دلالات الألفاظ:

ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾^(٣).

فبعد أن فسّر - رحمه الله - الآية قال: «وقيل معناه: أغنى نفسه وأفقر الخلائق إليه. قاله

الحضرمي بن لاحق^(٤)، وقيل: ﴿أَغْنَىٰ﴾ من شاء من خلقه، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ أفقر من شاء منهم. قاله

ابن زيد^(١)، حكاهما ابن جرير^(٢)، وهما بعيدان من حيث اللفظ»^(٣).

(١) مجموع الفتاوى (٦/١٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/١٨-١٩).

(٣) سورة النجم: ٤٨.

(٤) حضرمي بن لاحق التميمي السعدي الأعرجي اليامي القاص، عاصر صفار أتباع التابعين، ودرجته

في الحديث لأبأس به، قال عنه عكرمة بن عمار: كان فقيهاً.

فاستبعد - رحمه الله - هذين القولين؛ لأن دلالة لفظ «أقنى» لا تخدمهما.

فهما فسّراها بالفقر، وليس من معانيها الفقر، بل قيل فيها قولان حكاهما الزجاج^(٤).

أحدهما: أقنى بمعنى أَرْضَى.

وثانيهما: جعل له قنية: أي جعل الغنى أصلاً لصاحبه ثابتاً^(٥).

ولذلك قال ابن كثير - رحمه الله -: «وهما بعيدان من حيث اللفظ»^(٦).

(ب) إهمال السياق:

ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنْ

النِّسَاءِ مَتْنِي وَتَلَدْتُمْ وَرَبِّعْتُمْ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَمْدُلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾^(٧)

تهذيب الكمال (٦/٥٥٣)، تهذيب التهذيب (٢/٣٤٠).

(١) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القرشي العدوي مولاهم المدني، مولى عمر بن الخطاب - رضي الله

عنه -، صاحب قرآن وتفسير، له التفسير في مجلد، والناسخ والمنسوخ، توفي سنة ١٨٢ هـ.

تهذيب الكمال للمزي (١٧/١١٤)، سير أعلام النبلاء (٨/٣٤٩).

(٢) جامع البيان (٢٢/٨٤-٨٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٧/٤٦٧).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/٧٦)، والزجاج هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزَّجَّاج، كان

أول أمره يخرط الزجاج ثم مال إلى علم النحو فلزم المبرد، وهو إمام في النحو واللغة والأدب، كان

فاضلاً ديناً، وله المصنفات الحسنة، منها: معاني القرآن وإعرابه، والاشتقاق، ومختصر النحو، وغيرها.

توفي في بغداد سنة ٣١١ هـ، وعمره سبعون سنة، وآخر ما سمع منه: اللهم احشرنى على مذهب أحمد

بن حنبل.

تاريخ بغداد (٦/٨٩)، معجم الأدباء (١/٨٢)، وفيات الأعيان (١/٤٩)، سير أعلام النبلاء

(١٤/٣٦٠).

(٥) ينظر لسان العرب (١٥/٢٠١).

(٦) تفسير القرآن العظيم (٧/٤٦٧).

(٧) سورة النساء: ٣.

حيث يقول - رحمه الله -: «وقوله: ﴿ذَلِكَ أَذَىٰ آلًا تَعُولُوا﴾ قال بعضهم: أي أدنى ألا تكثر عائلتكم. قاله زيد بن أسلم^(١) وسفيان بن عيينة والشافعي - رحمهم الله -، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ أي فقراً ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٢).
وقال الشاعر:

فما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل^(٣).

وتقول العرب: عال الرجل يعيل عيلة إذا افتقر، ولكن في هذا التفسير ها هنا نظر، فإنه كما يخشى كثرة العائلة من تعداد الحرائر، كذلك يخشى من تعداد السراري أيضاً، والصحيح قول الجمهور: ﴿ذَلِكَ أَذَىٰ آلًا تَعُولُوا﴾ أي لا تجوروا. يقال: عال في الحكم إذا قسط وظلم وجار، وقال أبو طالب^(٤) في قصيدته المشهورة:

بميزان قسطٍ لا يخيس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل^(٥)

فوجد أنه رحمه الله لم ينكر دلالة لفظ: ﴿تَعُولُوا﴾ على كلا المعنيين، وإنما أنكر دلالة القول الأول تكثر عائلتكم في هذا السياق، وصرح بذلك قائلاً:
"ولكن في هذا التفسير ها هنا نظر"^(١).

(١) أبو أسامة زيد بن أسلم القرشي العدوي مولاهم، مولى عمر بن الخطاب، تابعي جليل، إمام حجة قدوة، من العلماء العاملين، كانت له حلقة في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، له تفسير رواه عنه ابنه عبد الرحمن، توفي سنة ١٣٦ هـ.

حلية الأولياء (٣/٢٢١)، سير أعلام النبلاء (٥/٣١٦).

(٢) سورة التوبة: ٢٨.

(٣) البيت لأحبيحة بن الجلاح الأوسي. ينظر جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام لأبي زيد القرشي (٢/٦٥٩).

(٤) وهو عمُّ النبي - صلى الله عليه وسلم -.

(٥) تفسير القرآن العظيم (٢/٢١٢)، والبيت في السيرة النبوية لابن هشام (١/٢٤٢)، ولكن عند ابن هشام: لا يخس.

وبيّن وجه ذلك من أنه لم يُمنع من تعداد السراري، فإن تعداد السراري يخشى منه كثرة العائلة فلو كان المراد خشية العائلة لمنع من تعداد السراري، ولما لم يكن هذا: تعين المعنى الثاني الذي رجحه هؤلاء وهو «ألا تجوروا».

المبحث الثاني

الأولى حمل كلام الله - عز وجل - على الغالب من عرفه ومعهود استعماله^(٢).

قد تحمل اللفظة القرآنية أكثر من معنى، فحينئذٍ طريقة القرآن ترجح المعنى المراد، فيحمل كلام الله - عز وجل - على الغالب من عرفه ومعهود استعماله. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «إذا كان في وجوب شيء نزاع بين العلماء ولفظ الشارع قد اطرّد في معنى، لم يجوز أن ينقض الأصل المعروف من كلام الله ورسوله بقول فيه نزاع بين العلماء»^(٣).

فجعل - رحمه الله - الاطرّاد المعروف من كلام الله - عز وجل - ورسوله ﷺ أصلاً لا يجوز نقضه، بل المصير إليه محتم.

ويُبدعُ تلميذه النجيب الإمام ابن القيم - رحمه الله - في التعميد لهذا الأمر فيقول: «للقرآن عرف خاص، ومعان معهودة، لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عرفه والمعهود من معانيه، فإن نسبة معانيه إلى المعاني كنسبة ألفاظه إلى الألفاظ، بل أعظم، فكما أن

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/٢١٢).

(٢) ينظر فصول في أصول التفسير ص ١١٣، وقواعد الترجيح (١١/١٧٢)، وقواعد التفسير (٢/٧٩٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/٣٥).

ألفاظه ملوك الألفاظ وأجلها وأفصحها، ولها من الفصاحة أعلى مراتبها التي تعجز عنها قدر العالمين، فكذلك معانيه أجل المعاني وأعظمها وأفخمها، فلا يجوز تفسيره بغيرها من المعاني التي لا تليق به، بل غيرها أعظم منها وأجل وأفخم، فلا يجوز حمله على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي، فتدبر هذه القاعدة، ولتكن منك على بال، فإنك تنتفع بها في معرفة ضعف كثير من أقوال المفسرين وزيفها، وتقطع أنها ليست مراد المتكلم تعالى بكلامه»^(١).

ويقول الإمام الشنقيطي - رحمه الله - في مقدمة تفسيره: «ومن أنواع البيان المذكورة في هذا الكتاب المبارك الاستدلال على أحد المعاني الداخلة في معنى الآية بكونه هو الغالب في القرآن، فغلبته فيه دليل على عدم خروجه من معنى الآية»^(٢).

ثم مثل بقوله تعالى: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾^(٣)، فقال: «قال بعض العلماء: إن المراد بهذه الغلبة، الغلبة بالحجة والبيان، والغالب في القرآن هو استعمال الغلبة في الغلبة بالسيف والسنان، وذلك دليل واضح على دخول تلك الغلبة في الآية؛ لأن خير ما يبين به القرآن القرآن، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾^(٥)، وقوله: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ تَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٦)، وقوله: ﴿فَإِنْ تَكُنْ مِنْكُمْ

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٨٧٧).

(٢) أضواء البيان (١/ ١٨).

(٣) سورة المجادلة: جزء من الآية ٢١.

(٤) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٢.

(٥) سورة النساء: جزء من الآية ٧٤.

(٦) قراءة نافع وابن كثير وابن عامر. ينظر التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص ١١٧، والنشر في

القراءات العشر لابن الجزري (٢/ ٢٠٨)

(٧) سورة الأنفال: جزء من الآية ٦٥.

مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿١﴾، وقوله: ﴿الْم ﴿١﴾
 غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي آدَتِي الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ﴿٣﴾
 إلى غير ذلك من الآيات»^(٤).

ومن أعمل هذه القاعدة من أئمة التفسير: ابن عباس - رضي الله عنهما-، والطبري،
 وابن تيمية، وابن كثير، والقاسمي^(٥)، والشنقيطي^(٦) - رحمهم الله - وغيرهم.

ملاحظة:

قد تكون اللفظة القرآنية محتملة لأكثر من معنى^(٧) ويمكن الحمل عليها جميعاً، فإنه يحمل
 عليها جميعاً مع اعتبار أن أولى ما تحمل عليه الآية هو ما غلب وروده في القرآن الكريم.

=

(١) قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو. ينظر المصادر السابقة.

(٢) سورة الأنفال: جزء من الآية ٦٦.

(٣) سورة الروم: من الآية ١ إلى جزء من الآية ٤

(٤) أضواء البيان (١/١٨-١٩).

(٥) هو جمال الدين أو محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق الحسيني، إمام الشام في عصره، عالم
 أديب، سلفي العقيدة، ولد في دمشق سنة ١٢٨٣هـ، واتهمه حسدته بتأسيس مذهب جديد في الدين،
 سموه (المذهب الجمالي) فقبضت عليه الحكومة السورية (سنة ١٣١٣هـ) وسألته، فرد التهمة فأخلي
 سبيله، واعتذر إليه والي دمشق، فانقطع في منزله للتصنيف، وإلقاء الدروس، نشر- بحوثاً كثيرة في
 المجالات والصحف، وله تصانيف كثيرة منها: محاسن التأويل، ودلائل التوحيد، وإصلاح المساجد من
 البدع والعوائد، وغيرها. توفي سنة ١٣٣٢هـ.

الأعلام للزركلي (٢/١٣٥).

(٦) ينظر أمثلة تطبيق هؤلاء الأئمة عدا ابن كثير في «قواعد الترجيح» (١/١٧٣-١٧٨).

(٧) وهذا هو حال القرآن. يقول الإمام ابن القيم: «المعهود من ألفاظ القرآن كلها أن تكون دالة على جملة
 معان». «جلاء الأفهام» ص ٣٠٨.

يقول الإمام الطاهر بن عاشور - رحمه الله -: «فمختلف المحامل التي تسمح بها كلمات القرآن، وتراكيبه وإعرابه ودلالته من اشتراك وحقيقة ومجاز وصريح وكناية، وبديع ووصل ووقف، إذا لم تفض إلى خلاف المقصود من السياق يجب حمل الكلام على جميعها»^(١).

ثم أخذ في التمثيل لهذا، وقال: «وعلى هذا القانون يكون طريق الجمع بين المعاني التي يذكرها المفسرون أو ترجيح بعضها على بعض»^(٢).

ويقول الإمام الشنقيطي - رحمه الله -: «تقرّر عند العلماء أن الآية إن كانت تحتل معاني كلها صحيحة تعين حملها على الجميع كما حققه بأدلتها الشيخ تقي الدين أبو العباس ابن تيمية - رحمه الله - في رسالته في علوم القرآن»^(٣).

ومن أمثلة تطبيق الإمام ابن كثير - رحمه الله - هذه القاعدة مع اعتبار الملاحظة الأخيرة:

ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾^(٤).

فبعد أن ذكّر أنّ في المراد بقوله: ﴿عَسَسَ﴾ قولان:

الأول: أقبل.

والثاني: أدبر.

قال: «وعندي المراد بقوله: ﴿عَسَسَ﴾ إذا أقبل وإن كان يصح استعماله في الإدبار،

لكن الإقبال هنا أنسب؛ كأنه أقسم تعالى بالليل وظلامه إذا أقبل، وبالفجر وضيائه إذا أشرق،

(١) مقدمة التحرير والتنوير - المقدمة التاسعة (١/٩٥).

(٢) مقدمة التحرير والتنوير (١/٩٧).

(٣) أضواء البيان (٣/١٢٤) - بتصرف يسير.

(٤) سورة التكويد: ١٧.

كما قال: ﴿وَأَيْلٍ إِذَا يَفَشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾^(١)، قال: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَأَيْلٍ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾^(٢)
وقال: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ أَيْلَ سَكَنًا ۝٣﴾^(٣)، وغير ذلك من الآيات.

وقال كثير من علماء الأصول: إن لفظة ﴿عَسَسَ﴾ تستعمل في الإقبال والإدبار على وجه الاشتراك.

فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما، والله أعلم^(٤).

ف نجد أنه ابتداءً رجح القول الأول للمناسبة، واستدل بأغلبية وروده في القرآن^(٥)، ثم بعد ذلك نقل عن علماء الأصول اشتراك هذه اللفظة، وعليه حمل المعنى على الجميع، فيكون تعالى أقسم بالليل حال إقباله وإدباره، وإن كان الأول أولى في معنى الآية لغلبة وروده في القرآن الكريم.

(١) سورة الليل: ١-٢.

(٢) سورة الضحى: ١-٢.

(٣) سورة الأنعام: جزء من الآية ٩٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم (٨/٣٣٨).

(٥) وقد ورد الإقسام بإدبار الليل في قوله تعالى: ﴿وَأَيْلٍ إِذَا أَدْبَرَ ۝﴾ (المدثر: ٣٣)، ولكن الإقسام بالإقبال أغلب وروداً.

المبحث الثالث

لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل^(١).

لا يعرف مراد المتكلم إلا من خلال كلامه، فألفاظ الكلام تدل على معانيها، فالأصل أن تحمل على ظاهرها، وكتاب الله - عز وجل - نزل بلسان عربي مبين، وقد بلغ في الفصاحة غايتها، وفي البيان منتهاه، وفي الهداية كمالها، فلا يجوز العدول عن ظاهره إلا بدليل يوجب ذلك.

يقول الإمام الطبري - رحمه الله - مقررًا لهذا الحكم: «وغير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام إلى باطن لا دلالة على صحته»^(٢).

وقد رد الإمام ابن عطية^(٣) - رحمه الله - أحد الأقوال في تفسير آية معللاً ذلك بقوله: «لأنه إخراج لفظ بيّن في اللغة عن ظاهره الحقيقي إلى باطن لغير ضرورة، وهذا هو طريق اللغز الذي برئ القرآن منه»^(١).

(١) ينظر قواعد الترجيح (١/١٣٧)، وأضواء البيان (٣/١٠٠).

(٢) جامع البيان (١/٦٢١).

(٣) القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية المحاربي الغرناطي الأندلسي، ولد سنة ٤٨١ هـ، كان فقيهاً، عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير والنحو واللغة، بارعاً في الأدب، بصيراً بلسان العرب، واسع المعرفة، له يد في الإنشاء والنظم والنثر، وكان يتوقد ذكاءً، ولي قضاء المرية، ومن مصنفاته: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، والفهرسة أو البرنامج، توفي في رمضان سنة ٥٤١ هـ، وقيل ٥٤٢ هـ.

وينقل الإمام الفخر الرازي^(٢) - رحمه الله - الإجماع على ذلك، ويبيّن خطورة العدول عن الظاهر، ويذكر أن صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل باطل بإجماع المسلمين، ويعلّل ذلك بقوله: "لَإِنَّا إِنْ جُوزْنَا ذَلِكَ انْفَتَحَتْ أَبْوَابُ تَأْوِيلَاتِ الْفَلَّاسِفَةِ فِي أَمْرِ الْمَعَادِ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي قَوْلِهِ: ﴿جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٣) ليس هناك لا أنهار ولا أشجار، وإنما مثل اللذة والسعادة، ويقولون في قوله: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾^(٤) ليس هناك سجود ولا ركوع، وإنما هو مثّلٌ للتعظيم، ومعلوم أن ذلك يفضي إلى رفع الشرائع وفساد الدين"^(٥).

سير أعلام النبلاء (١٩/٥٨٧)، الديباج المذهب لابن فرحون ص ١٧٥، طبقات المفسرين للسيوطي ص ٥٠.

(١) المحرر الوجيز (٣/٣١٠).

(٢) فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين البكري التيمي القرشي الشافعي، من ذرية أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -، الشهير بابن خطيب الري، ولد سنة ٥٤٤ هـ، مفسر أصولي، إمام المتكلمين في زمانه، أكثر من التصنيف، فمنها: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، والمحصول في أصول الفقه، مناقب الإمام الشافعي، وغيرها. اعترف في آخر عمره بخطأ الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فقال: "لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق: طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات "الرحمن على العرش استوى"، "إليه يصعد الكلم"، وأقرأ في النفي "ليس كمثله شيء"، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي". وكانت وفاته سنة ٦٠٦ هـ.

طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/٨١)، سير أعلام النبلاء (٢١/٥٠٠)، طبقات المفسرين للسيوطي ص ١٠٠.

(٣) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٥.

(٤) سورة الحج: جزء من الآية ٧٧.

(٥) مفاتيح الغيب (٣٠/٩٤)، وَلَيْتَهُ طَبَّقَ هَذَا الْكَلَامَ فِي نِصُوصِ الصِّفَاتِ - غفر الله له -.

ويقول الإمام ابن القيم - رحمه الله -: «لو أراد الله ورسوله ﷺ من كلامه خلاف حقيقته وظاهره الذي يفهمه المخاطب، لكان قد كلفه أن يفهم مراده بما لا يدل عليه، بل بما يدل على نقيض أمره»^(١).

وذكر ابن جزي الكلبى - رحمه الله - في معرض ذكره لقواعد الترجيح بين أقوال المفسرين: «أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن، فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه»^(٢). وقال الزركشي - رحمه الله -: «يجب الحمل على الظاهر إلا أن يقوم دليل على أن المراد هو الخفي دون الجلي فيحمل عليه»^(٣).

ويؤصل الإمام الشنقيطي - رحمه الله - هذه المسألة فيقول: «والتحقيق الذي لا شك فيه وهو الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ وعامة علماء المسلمين: أنه لا يجوز العدول عن ظاهر كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ في حال من الأحوال، بوجه من الوجوه حتى يقوم دليل صحيح شرعي صارف عن الظاهر إلى المحتمل المرجوح»^(٤).

ومن أمثلة تطبيق الإمام ابن كثير - رحمه الله - هذه القاعدة في تفسيره: ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾^(٥).

حيث قال - رحمه الله -: «قوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي^(٦)، حدثنا أبو حذيفة^(١)،

(١) مختصر الصواعق المرسله (١ / ٥٠).

(٢) التسهيل (١ / ٩).

(٣) البرهان (٢ / ١٦٧).

(٤) أضواء البيان (٧ / ٤٣٨).

(٥) سورة البقرة: ٦٥.

(٦) هو محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي، أبو حاتم الرازي، أحد الحفاظ، من الحادية عشرة، مات سنة سبع وسبعين (ومائتين)، أخرج له البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه في التفسير.

..... حدثنا شبل^(٢) ، عن ابن أبي

نجيح^(٣) ، عن مجاهد^(٤) : ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ قال: مُسِخَتْ قُلُوبِهِمْ، ولم

يُمَسِّخُوا قِرَدَةً، وإنما هو مثل ضربه الله: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾^(٥).

ورواه ابن جرير^(٦) ... ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

وهذا سند جيد عن مجاهد، وقول غريب خلاف الظاهر من السياق في هذا المقام وفي

غيره، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ

الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ﴾^(١) (٢).

=

تقريب التهذيب ص ٨٢٤، برقم (٥٧٥٥).

(١) موسى بن مسعود النهدي، أبو حذيفة البصري، صدوق سيء الحفظ، وكان يصحّف، من صغار

التاسعة، مات سنة عشرين (ومائتين) أو بعدها، وقد جاوز التسعين، أخرج له البخاري في المتابعات

وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

تقريب التهذيب ص ٩٨٥، برقم (٧٠٥٩).

(٢) شبل بن عبّاد المكي، القارئ، ثقة رمي بالقدر، من الخامسة، قيل: مات سنة ثمان وأربعين (ومائة)،

وقيل بعد ذلك، أخرج له البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه في التفسير.

تقريب التهذيب ص ٤٣٠، برقم (٢٧٥٢).

(٣) عبد الله بن أبي نجيح يسار المكي، أبو يسار الثقفي مولاهم، ثقة رمي بالقدر وربما دلّس، من السادسة،

مات سنة إحدى وثلاثين (ومائة) أو بعدها، أخرج له الجماعة.

تقريب التهذيب ص ٥٥٢، برقم (٣٦٨٦).

(٤) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، من الثالثة، مات

سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة، وله ثلاث وثمانون، أخرج له الجماعة.

تقريب التهذيب ص ٩٢١، برقم (٦٥٢٣).

(٥) سورة الجمعة: جزء من الآية ٥.

(٦) جامع البيان (٢/٦٥).

ثم أورد -رحمه الله- نقولات عن السلف من الصحابة والتابعين في تفسيرها، وبيان أن المسخ حقيقي على ظاهره^(٣).

ثم قال: «والغرض من هذا السياق عن هؤلاء الأئمة بيان خلاف ما ذهب إليه مجاهد -رحمه الله- من أن مسخهم إنما كان معنوياً لا صورياً، بل الصحيح أنه معنوي صوري، والله أعلم»^(٤).

=

- (١) سورة المائدة: جزء من الآية ٦٠.
- (٢) تفسير القرآن العظيم (١/٢٩٢).
- (٣) ينظر تفسير القرآن العظيم (١/٢٩٢-٢٩٤).
- (٤) تفسير القرآن العظيم (١/٢٩٤).

المبحث الرابع

الأصل حمل اللفظ على تأسيس معنى جديد، إلا أن يدل السياق على التأكيد^(١).

كل آية قرآنية يعترها أمران لا ثالث لهما:

الأول: إبراز معنى جديد.

الثاني: تأكيد لمعنى سابق.

وبعض الآيات القرآنية تحتمل كلا الأمرين، فحينئذ يرجع لهذه القاعدة، ويحمل المعنى على التأسيس الجديد إلا أن يدل السياق على إرادة التأكيد؛ لأن الأصل في الكلام هو إفهام السامع ما ليس عنده، ولا يُجاد عن الأصل إلا لدليل.

يقول الإمام مكي بن أبي طالب^(٢) -رحمه الله-: «وحمل اللفظين على فائدتين ومعنيين

أولى من حملها على التكرير بمعنى واحد»^(١).

(١) ينظر: فصول في أصول التفسير ص ١١٨، وقواعد الترجيح (٢/٤٧٣)، ونبه على قيد السياق د. محمد الربيعة في رسالته للدكتوراه أثر السياق القرآني في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية على سورتى الفاتحة والبقرة ص ٥٨.

(٢) أبو محمد مكي بن أبي طالب حُموش بن محمد بن مختار القيسي، ولد سنة ٣٥٥ هـ بالقيروان، فقيه مقرئ نحوي أديب، دّين مشهور بالصلاح، له اختيار في القراءة، وكان من الراسخين في علوم القرآن، وتصانيفه نافعة مباركة، منها: الهداية في التفسير، التبصرة في القراءات السبع، المشكل من إعراب القرآن، وتفسير المشكل من غريب القرآن، والكشف عن وجوه القراءات السبع، وغيرها. توفي سنة ٤٣٧ هـ.

يقول الإمام أبو بكر بن العربي - رحمه الله -: «إذا أمكن حمل اللفظ على فائدة مجددة، لم يحمل على التكرار في كلام الناس، فكيف في كلام العليم الحكيم؟!»^(٢) أي من باب أولى.

ويقول الإمام أبو حيان الأندلسي^(٣) - رحمه الله - في تفسيره^(٤): «وإذا دار الأمرين - التأسيس والتأكيد -: كان حملة على التأسيس هو الأولى، ولا يذهب إلى التأكيد إلا عند اتضاح عدم التأسيس» ويبيّن في موضع آخر أن التأسيس هو الأصل^(٥).

ويقول الإمام ابن عادل الحنبلي^(٦) - رحمه الله -: «متى دار الكلام بين الحمل على التأكيد

=

غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (٢/ ٣٠٩)، معجم الأدباء (٥/ ٥١٧)، وفيات الأعيان لابن خلكان (٥/ ١٢٧٤)، الديباج المذهب لابن فرحون ص ٣٤٦.

(١) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ١٨٤.

(٢) «أحكام القرآن» (١/ ١٦٨)، وابن العربي هو: القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي الأشبيلي المالكي، المشهور بابن العربي، ولد سنة ٤٦٨ هـ، إمام مجتهد متفنن في العلوم، زاهد عابد، تصانيفه كثيرة حسنة مفيدة، منها: أحكام القرآن، وأنوار الفجر في تفسير القرآن، والقبس على موطأ مالك بن أنس، والقواصم والعواصم، وقانون التأويل، وغيرها. توفي سنة ٥٤٣ هـ. وفيات الأعيان (٤/ ٢٩٦)، تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ١٢٩٤) طبقات المفسرين للسيوطي ص ٩٠.

(٣) أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي - الغرناطي، ولد سنة ٦٥٤ هـ، نحوي عصره، إمام في القراءات والتفسير والحديث والتاريخ والأدب، مكث من التصنيف، فمن مصنفاته: البحر المحيط في التفسير، ومختصره النهر، وإتحاف الأريب بما في القرآن من غريب، والتذييل والتكميل في شرح التسهيل، وعقد اللاكي في القراءات وهي على وزن الشاطبية وقافيتها، وغيرها. توفي سنة ٧٤٥ هـ.

الوافي بالوفيات (٥/ ١٧٥)، الدرر الكامنة (٦/ ٥٨)، طبقات المفسرين للدوادني (٢/ ٢٨٧).

(٤) البحر المحيط (٣/ ٣٧٧).

(٥) البحر المحيط (٧/ ٣٤).

(٦) سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، إمام عالم، مفسر فاضل، صنف التفسير الكبير المسمى: (اللباب في علوم الكتاب)، وهو من أحسن التفاسير، شحنه بأنواع قواعد العربية،

والتأسيس فحمله على التأسيس أولى»^(١).

ويذكر الإمام الشنقيطي - رحمه الله - : «أن المقرر في الأصول: أن النص من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ إذا احتتمل التأسيس والتأكيد معاً، وجب حمله على التأسيس، ولا يجوز حمله على التأكيد إلا لدليل يجب الرجوع إليه»^(٢).

ومن أمثلة تطبيق الإمام ابن كثير - رحمه الله - لهذه القاعدة ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣١﴾﴾^(٣).

حيث يقول: «وذكر هذا الإهباط الثاني لما تعلق به ما بعده من المعنى المغاير للأول، وزعم بعضهم أنه تأكيد وتكرير، كما تقول: قم قم. وقال آخرون: بل الإهباط الأول من الجنة إلى السماء الدنيا، والثاني من سماء الدنيا إلى الأرض والصحيح الأول والله تعالى أعلم بأسرار كتابه»^(٤).

فنجد أنه - رحمه الله - رَجَّحَ القول الذي فيه تأسيس معنى جديد على القول بالتأكيد؛ لأن التأسيس هو الأصل، وأولى ما يحمل عليه الكلام.

=
 وشتى العلوم المتعلقة بالتفسير، وله حاشية على المحرر في الفقه، لا يعرف تاريخ ولادته ولا وفاته، ولكن ذكر الزركلي أنه توفي بعد ٨٨٠هـ؛ لأنه وجد نسخه خطية من تفسيره كتب في آخر تفسر - سورة طه أنه فرغ من تفسيرها في ١٥ رمضان ٨٨٠هـ، فهو من علماء القرن التاسع.
 طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنه وي ص ٤١٨، الأعلام للزركلي (٥/٥٨)، هداية العارفين (١/٧٩٤).

(١) اللباب في علوم الكتاب (١١/١٢).

(٢) أضواء البيان (٦/٦٩٢).

(٣) سورة البقرة، (٣٨-٣٩).

(٤) تفسير القرآن العظيم (١/٢٤٤).

فكل من الإهباطين متعلق به حكم غير حكم الآخر، فعلق بالأول العداوة بين بني آدم وإبليس مما يُشعر بأن الدنيا دار ابتلاء، ومؤقتة لا خلود فيها، بينما علق الثاني بإتيان الهدى مما يشعر بأنهم أهبطوا للتكليف فمن اتبع الهدى فقد نجا ومن أعرض عنه فقد هلك^(١).

المبحث الخامس

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

قد تنزل الآية القرآنية لسبب ما، ولكن هذا السبب لا يقصر دلالتها على الحادثة التي نزلت بسببها، بل يدخل فيها كل من اتصف بهذا الوصف، وانطبق عليه سياق الآية «فخصوص السبب عمدة في فهم المعنى، وعموم اللفظ عمدة في حكم الآية»^(٢).

فقد جاء في حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- أن رجلاً أصاب من امرأة قبله، فأتى

رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فأنزلت عليه: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ

أَلْحَسَنَتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِنَاتٍ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ﴾^(٣).

قال الرجل: ألي هذه؟ قال: «لمن عمل بها من أمتي» وفي رواية: «للناس كافة»^(٤).

فالآية وإن كانت نزلت في سبب خاص إلا أن النبي ﷺ اعتبر دلالة العموم من اللفظ

والسياق.

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٧٣/١)، وابن عطية (١/١٩٠)، وابن عادل الحنبلي (١/٥٧٨-٥٧٩).

(٢) أثر السياق القرآني في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية على سورتي الفاتحة والبقرة د. محمد الربيع ص ٤٩.

(٣) سورة هود: ١١٤.

(٤) سبق تخريجه في ص ٨٣.

وعلى هذا التطبيق جرى عمل الصحابة، فهذا كعب بن عجرة -رضي الله عنه- عندما سئل عن آية فدية الأذى في الحج قال: «نزلت في خاصة، وهي لكم عامة»^(١).

ويقول ابن جرير -رحمه الله-: «أن الآية كانت قد تنزل لسبب من الأسباب، ويكون الحكم بها عاماً في كل ما كان بمعنى السبب الذي نزلت فيه»^(٢).

ويقول ابن تيمية -رحمه الله-: «فالأية التي لها سبب معين إن كانت أمراً ونهياً فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته، وإن كانت خبراً بمدح أو ذم فهي متناولة لذلك الشخص وغيره ممن كان بمنزلته أيضاً»^(٣).

ويرى بطلان قصر الآيات على أسباب نزولها فيقول: «وقصر عمومات القرآن على أسباب نزولها باطل، فإن عامة الآيات نزلت بأسباب اقتضت ذلك، وقد علم أن شيئاً منها لم يقصر على سببه»^(٤).

ويقول الإمام النيسابوري^(٥) -رحمه الله-: "وقد عرفت مراراً أن خصوص السبب لا ينافي عموم الحكم"^(٦).

(١) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: "فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه" برقم (٤٥١٧)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الحج، باب "جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى، ووجوب الفدية لحلقه، وبيان قدرها"، برقم (١٢٠١).

(٢) جامع البيان (١٤/١٦٥).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/٣٣٩).

(٤) نفس المصدر السابق (١٥/٣٦٤).

(٥) نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين الشهير بابن القمي النيسابوري، ويقال له: الأعرج، عالم فاضل مفسر، وله اشتغال بالحكمة والرياضيات، صنف التفسير المسمى: غرائب القرآن ورجائب الفرقان، ولب التأويل، وشرح الشافية في الصرف، وغيرها.

طبقات المفسرين للأذنه وي ص ٤٢٠، الأعلام للزركلي (٢/٢١٦).

(٦) غرائب القرآن ورجائب الفرقان (٦/٢٩٦).

ومن أمثلة تطبيق ابن كثير - رحمه الله - لهذه القاعدة في تفسيره ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١)، حيث قال بعد أن أورد الروايات في سبب النزول: «والصحيح أن الآية عامة، وإن صح أنها وردت على سبب خاص، فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء، والخيانة تعم الذنوب الصغار والكبار اللازمة والمتعدية»^(٢).

المبحث السادس

الأصل بقاء ترتيب النظر، إلا إذا دلّ السياق على التقديم والتأخير^(٣).

الأصل في كلام العرب الإتيان به على ترتيبه، وقد يجيد العرب عن هذا الأصل تفنناً و"دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام، وانقياده لهم"^(٤)، ولكن لا بد لهم من ترك دليل على التقديم والتأخير سواء من سياق الكلام أو قرينة الحال. وإذا اختلف المفسرون في تفسيرهم للآية من القرآن بين قائل بالتقديم والتأخير وقائل بأصل الترتيب - ولا مانع من الحمل على أصل الترتيب - فحيث لا يترك الأصل - وهو الترتيب -، بل يقال به، وإذا امتنع الحمل على أصل الترتيب مع وجود القرينة على التقديم والتأخير فلا مانع من القول به، فللتقديم والتأخير أسباب، ليس هنا موطن ذكرها، وإنما في كتب علوم القرآن وكتب البلاغة^(٥).

(١) سورة الأنفال: ٢٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٤١).

(٣) ينظر فصول في أصول التفسير ص ١١١، وقواعد الترجيح (٢ / ٤٥١).

(٤) البرهان للزركشي (٣ / ٢٣٣).

(٥) ينظر جملة منها في البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣ / ٢٣٣).

ونصوص العلماء في تقرير هذه القاعدة كثيرة جداً منها:

- ١- ما قاله الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله -: «ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه أو تأخيره عن مكانه إلا بحجة واضحة»^(١).
- ٢- وقال الإمام أبو جعفر النحاس^(٢) - رحمه الله -: «فالتقديم والتأخير إنما يكون إذا لم يجز غيرهما»^(٣).
- ٣- وقال الإمام أبو عمرو الداني^(٤) - رحمه الله -: «والتقديم والتأخير مجاز، فلا يستعمل إلا بتوقيف أو دليل قاطع»^(٥).

(١) جامع البيان (١٣/٣٥١).

(٢) أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحاس المصري، يعرف بالنحاس أو ابن المرادي، مفسر نحوي لغوي أديب، اشتغل بالتصنيف في علوم القرآن والأدب، فزادت تصانيفه على خمسين مصنفاً، منها: إعراب القرآن، ومعاني القرآن، والناسخ والمنسوخ، والقطع والالتئاف، والكافي في علم العربية، وشرح المعلقات، وغيرها. توفي غرقاً في نيل مصر سنة ٣٣٧هـ، وقيل ٣٣٨هـ. معجم الأدباء (١/٦١٧)، وفيات الأعيان (١/٩٩)، البداية والنهاية (١١/٢٢٢)، طبقات المفسرين للدوادري (١/٦٨).

(٣) القطع والالتئاف ص ١٧٥.

(٤) أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الأموي مولاهم، القرطبي الداني المالكي، كان يعرف في زمانه بابن الصيرفي، ثم عرف بعد ذلك بأبي عمرو الداني؛ لنزوله دانية، ولد سنة ٣٧٢هـ، وقيل ٣٧١هـ، إمام فاضل مقرئ مفسر محدث، دین فاضل ورع، مصنفاً في غاية الحسن والإتقان، فمنها: جامع البيان في القراءات السبع، والتيسير في القراءات السبع، والوقف والابتداء، والمحتوى في القراءات الشواذ، والأرجوزة في أصول السنة، وغيرها. توفي سنة ٤٤٤هـ. معجم الأدباء (٣/٤٨٥)، غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١/٥٠٣)، الديق المذهب لابن فرحون ص ١٨٨.

(٥) المكتفي في الوقف والابتداء ص ٢٤٥.

٤- قال الإمام فخر الدين الرازي -رحمه الله-: «الكلام إذا استقام من غير تغيير النظم، لم يجوز المصير إلى التقديم والتأخير»^(١).

٥- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «التقديم والتأخير على خلاف الأصل، فالأصل إقرار الكلام على نظمه وترتيبه، لا تغيير ترتيبه، ثم إنما يجوز فيه التقديم والتأخير مع القرينة، أما مع اللبس فلا يجوز؛ لأنه يلتبس على المخاطب»^(٢).

٦- وقال الإمام ابن جزى الكلبي -رحمه الله- في معرض ذكره لأوجه الترجيح بين أقول المفسرين: «حمل الكلام على ترتيبه إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير»^(٣).

٧- وقال الإمام الشنقيطي -رحمه الله-: «تقرر في الأصول وجوب الحمل على بقاء الترتيب إلا لدليل»^(٤).

ومن أمثلة تطبيق ابن كثير رحمه الله لهذه القاعدة.

قوله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يٰۤاٰوْدُ اِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيْفَةً فِى الْاَرْضِ فَاٰحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اِنَّ الَّذِيْنَ يَضِلُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌ يَّمَّا نَسُوْا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾^(٥).

«قال عكرمة: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌ يَّمَّا نَسُوْا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ هذا من المقدم والمؤخر. (لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا).

وقال السدي: لهم عذاب شديد بما تركوا أن يعملوا ليوم الحساب. وهذا القول أمشى على ظاهر الآية»^(٦).

(١) مفاتيح الغيب (١٢/١٠٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/٢١٨).

(٣) التسهيل (٩/١).

(٤) أضواء البيان (٦/٥١٦) - بتصرف يسير.

(٥) سورة ص: ٢٦.

(٦) تفسير القرآن العظيم (٧/٦٣).

فوجد أنه - رحمه الله - لم يلجأ إلى القول بالتقديم والتأخير مع إمكان الحمل على أصل الترتيب، ولذلك رجَّح قول السدي - رحمه الله -.

المبحث السابع

الأصل اتحاد مرجع الضمائر في السياق الواحد^(١).

إذا وردت في الآية القرآنية أو المقطع القرآني مجموعة من الضمائر يحتمل رجوعها إلى أكثر من مرجع، ويمكن رجوعها إلى مرجع واحد، فالأولى اتحاد مرجعها تجنباً لتفكيك النظم وتشتيته.

وقد عاب الزمخشري - رحمه الله - من فرق بين مرجع الضمائر في قوله تعالى: ﴿أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْبَيْرِ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾^(٢)، وجعله تنافراً ينافي إعجاز القرآن؛ فقال:

(١) ينظر: البرهان (٤/ ٣٥-٣٨)، والإتيان (٢/ ٢٨٤)، وفصول في أصول التفسير ص ١٢٠-١٢١،

وقواعد الترجيح (٢/ ٦١٣-٦١٦)، وقواعد التفسير (١/ ٤١٤).

(٢) سورة طه: جزء من الآية ٣٩.

«والضمائر كلها راجعة إلى موسى، ورجوع بعضها إليه، وبعضها إلى التابوت فيه هجئة؛ لما يؤدي إليه من تنافر النظم. فإن قلت: المقذوف في البحر هو التابوت، وكذلك الملقى إلى الساحل. قلت: ما ضرك لو قلت: المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت؟! حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو أم إعجاز القرآن، والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته أهم ما يجب على المفسر»^(١).

وقد قعد الإمام الزركشي - رحمه الله - لهذه المسألة فقال: «إذا اجتمع ضمائر، فحيث أمكن عودها لواحد فهو أولى من عودها لمختلف»^(٢).

ثم أخذ - رحمه الله - يمثل لها.

ومثله الإمام السيوطي^(٣) - رحمه الله - فقد ذكر هذه القاعدة في كتابه «الإتقان»^(٤)

قائلاً: «الأصل توافق الضمائر في المرجع حذراً من التشبث» ثم أخذ في التمثيل لها وذكر بعض الأمثلة الخارجة عن هذا الأصل.

ونظم الكفوي^(١) - رحمه الله - هذه القاعدة بعد أن ذكرها، وأنه لا بد من صون الكلام

الكلام الفصيح عن تفكيك الضمائر الذي يخل بحسن النظام، قائلاً:

(١) الكشاف (٢/٤٣٣).

(٢) البرهان (٤/٣٥).

(٣) جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد الخضير السيوطي الشافعي، ولد سنة ٨٤٩هـ، وكان يلقب بابن الكتب، متفنن برع في التفسير وعلوم القرآن والحديث والفقه والأصول واللغة والنحو، مكثراً جداً من التأليف، ومؤلفاته كثيرة الفائدة، فمنها: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، والإتقان في علوم القرآن، والإكليل في استنباط التنزيل، والتجبير في علوم التفسير، والجامع الكبير، والجامع الصغير في الحديث، وغيرها. تفرغ بعد الأربعين للعبادة والتأليف، توفي سنة ٩١١هـ.

حسن المحاضرة للسيوطي (١/٣٣٥)، وطبقات المفسرين للأذنه وي (١/٣٦٥)، البدر الطلع لمحاسن من بعد القرن السابع ص ٣٣٧.

(٤) (١/٥٦٢-٥٦٣)

إن كان تفكيك الضمائر مفضياً إلى ما يخل النظم فاحذر من
 بأن خالف الأطراف وسط كذا سابقاً منها بباق فقد أخل
 وأما إذا كان الخلاف لأول بباق كذا للآخر اسمع فلا تحل
 دليلك في حسن النظام وصية ألم تر أن الله قد بين العمل^(٢)

وقد اعتمد هذه القاعدة وقررها كثير من المفسرين؛ كالطبري والزنجشري وابن عطية
 وأبي حيان وابن جزى الكلبي والشنقيطي وغيرهم -رحم الله الجميع-^(٣).
 ومن أمثلة تطبيق الإمام ابن كثير -رحمه الله- على هذه القاعدة:

ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِمْ وَيَوْمَ
 الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾^(٤) حيث قال: «قال ابن جرير^(٥): اختلف أهل التأويل في
 معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك، ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ يعني بعيسى
 ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ يعني قبل موت عيسى»^(٦).

(١) القاضي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي الحنفي، له كتاب الكليات وكتب أخرى
 باللغة التركية، عاش وولي القضاء في (كفا) بتركيا، وبالقدس، وبيغداد، وعاد إلى استانبول فتوفي بها
 سنة ١٠٩٤هـ، ودفن في تربة خالد.

الأعلام للزركلي (٢/٣٨)، هداية العارفين (١/٢٩).

(٢) الكليات ص ٥٦٩.

(٣) ينظر قواعد الترجيح (٢/٦١٣-٦١٦) فقد ذكر أمثلة على اعتماد هؤلاء العلماء لهذه القاعدة.

(٤) سورة النساء: ١٥٩.

(٥) جامع البيان (٧/٦٦٤).

(٦) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٥٣).

ثم قال ابن كثير: «وهذا هو القول الحق، كما سنبينه بعد بالدليل القاطع -إن شاء الله- وبه الثقة وعليه التكلان»^(١).

ثم نقل حكاية بقية الأقوال عن ابن جرير -رحمه الله- فقال: «قال ابن جرير^(٢): وقال آخرون: معنى ذلك ﴿وَلَا يَمُنُّ بِأَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قبل موت الكتابي، وقال آخرون^(٣): معنى ذلك: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد ﷺ قبل موت الكتابي»^(٤).
ثم نقل ترجيح ابن جرير رحمه الله - وأيدته ودلّل عليه فقال: «ثم قال ابن جرير^(٥): وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الأول، وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى -عليه السلام- إلا آمن به قبل موته: أي قبل موت عيسى -عليه السلام-.

ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير -رحمه الله- هو الصحيح؛ لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم فقتلوا الشبيه وهم لا يتبينون ذلك، ثم قال إنه رفعه إليه، وإنه باقٍ حي، وإنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة... فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذٍ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم، ولهذا قال: ﴿وَلَا يَمُنُّ بِأَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي قبل موت عيسى الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قُتل وُصِّلب»^(٦).

(١) نفس المصدر السابق (٤/٤٥٤).

(٢) جامع البيان (٧/٦٦٧).

(٣) نفس المصدر السابق (٧/٦٧١).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٥٤-٤٥٥).

(٥) جامع البيان (٧/٦٧٢)، وابن كثير -رحمه الله- نقل معنى كلامه لا نصه.

(٦) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٥٥).

فوجد أنه - رحمه الله - علل ترجيحه بأن سياق الآيات في تقرير بطلان ما ادعته اليهود وجهلة النصارى من قتل عيسى وصلبه، فالضمائر كلها راجعة إلى عيسى - عليه السلام -.

وهذا ما سار عليه في تفسير الآيات: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءَ الظُّلُمِ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾^(١).

المبحث الثامن

قاعدة الأصل عود الضمير لأقرب مذكور إلا للدليل على خلاف ذلك^(٢)

إذا اختلف المفسرون في مرجع الضمير في آية قرآنية، فالراجح هو القول الذي يعيد الضمير لأقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه؛ لأنه الأصل.^(٣)

يقول الإمام ابن حزم^(٤) - رحمه الله -: "والضمير في لغة العرب راجع إلى أقرب مذكور"^(١).

(١) سورة النساء: ١٥٧-١٥٩.

(٢) انظر: قواعد الترجيح (٢/٦٢١).

(٣) انظر: قواعد الترجيح (١/٦٦-٦٨) في مسألة تنازع قواعد الضمائر مع بعضها في المثال الواحد.

(٤) الوزير أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي الأصل، ثم الأندلسي - القرطبي البيزدي مولاهم إلى القول بنفي القياس كله، والأخذ بظاهر النص، ولم يلتزم الأخذ بظاهر النصوص في العقيدة بل كان من أشد الناس تأويلا في باب الأصول وآيات الصفات وأحاديثها، أكثر من التنصيف فمن ذلك: المجلى في الفقه، والمحلّى شرح المجلى بالحجج والآثار، والإملاء في شرح الموطأ، والإجماع، وغيرها. توفي سنة ٤٥٦هـ.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "والضمير يعود إلى القريب إذا لم يكن هناك دليل على خلاف ذلك" (٢).

ويقول الإمام الزركشي - رحمه الله - في معرض ذكره لقواعد الضمائر: "الأصل في الضمير عوده لأقرب مذكور" (٣).

ويقول الإمام ابن عادل الحنبلي - رحمه الله -: "وعود الضمير إلى أقرب مذكور واجب" (٤).

وذكر الإمام السيوطي - رحمه الله - هذه القاعدة في معرض ذكره لقواعد الضمائر قائلاً: "الأصل عوده على أقرب مذكور" (٥).

وقال الإمام عبد الرحمن السعدي - رحمه الله -: "والقاعدة في الضمائر أن تعود إلى أقرب مذكور" (٦).

وذكر الإمام الشنقيطي - رحمه الله -: "أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور، إلا بدليل صارف عن ذلك يجب الرجوع إليه" (٧).

=

انظر معجم الأدباء (٣/٥٤٦)، وفيات الأعيان (٣/٣٢٥)، سير أعلام النبلاء (١٨/١٨٤)، البداية والنهاية (١٢/٩١).

(١) الإحكام في أصول الأحكام (٧/٤٠٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/١١٢).

(٣) البرهان في علوم القرآن (٤/٣٩).

(٤) اللباب في علوم الكتاب (٤/٣٣٨).

(٥) الإتيقان في علوم القرآن (٢/٢٨٤).

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٣/١٤١٥).

(٧) أضواء البيان (٤/٢٤٦).

وقد رَجَّحَ بناءً على هذه القاعدة كثير من المفسرين: كالطبري وابن عطية والرازي والقرطبي وأبي حيان وابن جزي الكلبي - رحمهم الله - وغيرهم^(١).
ومن أمثلة تطبيق الإمام ابن كثير - رحمه الله - لهذه القاعدة:

ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ^(٨٥)، حيث يقول:

" وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي: وهدينا من ذريته ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ الآية، وعود الضمير إلى "نوح"؛ لأنه أقرب المذكورين: ظاهر. وهو اختيار ابن جرير، ولا إشكال عليه، وعوده إلى "إبراهيم"؛ لأنه الذي سبق الكلام من أجله حسن، لكن يُشكل على ذلك "لوط"، فإنه ليس من ذرية "إبراهيم"، بل هو ابن أخيه مادان بن آزر؛ اللهم إلا أن يقال: إنه دخل في الذرية تغليياً، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِيْنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١٣٣)، فإسماعيل عمه، ودخل في آبائه تغليياً^(٤).
فهو - رحمه الله - استحسّن عود الضمير لإبراهيم عليه السلام لأنه المحكي عنه، وحاول حلّ الإشكال الوارد على هذا القول، إلا أنه استظهر عود الضمير على نوح عليه السلام لأنه أقرب مذكور، وبيّن أنه لا إشكال عليه.

(١) ينظر تطبيقاتهم في كتاب قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٦٢٤).

(٢) سورة الأنعام: ٨٤-٨٥.

(٣) سورة البقرة: ١٣٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٩٧-٢٩٨).

المبحث التاسع

القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار، إلا لدليل من سياق أو غيره^(١).

الأصل في كل كلام - لاسيما أشرف الكلام: كلام الله سبحانه وتعالى - عدم الإضمار، إلا أن يدل السياق أو الحال عليه.

يقول الإمام الطبري - رحمه الله - عن تقدير المحذوف: "إنما يجوز في الموضع الذي يدلُّ ظاهر الكلام على حاجته إليه، ويفهم السامع أنه مراد به الكلام - وإن لم يُذكر -، فأما في الأماكن التي لا دلالة على حاجة الكلام إليه، فلا وجه لدعوى مدَّع أنه مراد فيها"^(٢).

(١) انظر قواعد الترجيح (٢/٤٤١)، وقيد السياق ذكره د. محمد الربيعة في رسالته أثر السياق القرآني في

التفسير، وانظر: فصول في أصول التفسير ص ١٢١.

(٢) جامع البيان (٤/٤٢٨).

ويقول الإمام الفخر الرازي - رحمه الله -: «الإضمار خلاف الأصل»^(١).

وقد يجيد العرب عن هذا الأصل لأسباب كالاختصار وغيره، ولكن بشروط منها:
«أن يكون في الكلام المذكور دلالة على الكلام المحذوف وهذه الدلالة إما مقالية أو حالية»^(٢).
ويُبيّن هذا الإمام العز بن عبد السلام - رحمه الله - بقوله: «والعرب لا يحذفون ما لا
دلالة عليه، ولا وصلة إليه؛ لأن حذف ما لا دلالة عليه منافٍ لغرض وضع الكلام من الإفادة
والإفهام»^(٣).

ويتكلم الإمام الطاهر بن عاشور - رحمه الله - عن حذف القرآن فيقول: «إنك تجد في
كثير من تراكيب القرآن حذفاً، ولكنك لا تعثر على حذف يخلو الكلام من دليل عليه من لفظ
أو سياق»^(٤).

ولأهمية هذه القاعدة نص كثير من العلماء عليها، فيقول الإمام أبو حيان الأندلسي -
رحمه الله -: «متى أمكن حمل الكلام على غير إضمار ولا افتقار، كان أولى أن يسلك به الإضمار
والافتقار»^(٥).

وقد عدّها الإمام ابن جزى الكلبي - رحمه الله - من قواعد الترجيح بين أقوال
المفسرين، فيقول في معرض ذكره لوجوه الترجيح بين أقوال المفسرين في مقدمة تفسيره:
«الحادي عشر: تقديم الاستقلال على الإضمار، إلا أن يدل دليل على الإضمار»^(٦).
ويقول الإمام الزركشي - رحمه الله -: «إذا دار الأمر بين الحذف وعدمه، كان الحمل
على عدمه أولى؛ لأن الأصل عدم التغيير»^(١)^(٢).

(١) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي (١١٩ / ٢).

(٢) البرهان (١١١ / ٢ - ١١٢) - بتصرف يسير.

(٣) الإشارة إلى الإيجاز ص ٢.

(٤) مقدمة التحرير والتنوير (١ / ١١٩).

(٥) البحر المحيط (١ / ١٥٩).

(٦) التسهيل (١ / ٩).

ومن أمثلة تطبيق ابن كثير - رحمه الله - لهذه القاعدة:

ما جاء في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قَف﴾^(٣)، حيث أورد كلام أهل العلم في تفسيرها وكان مما أورده: «قيل المراد (قضى الله) وأن ﴿قَف﴾ دلت على المحذوف من بقية الكلم كقول الشاعر:

قلت لها: قفي فقالت: ق لا تحسبن أنا نسينا الإيجاف^(٤)»^(٥)

فعلق بعد ذلك قائلاً: «وفي هذا التفسير نظر؛ لأن الحذف في الكلام إنما يكون إذا دل دليل عليه، ومن أين يفهم هذا من ذكر هذا الحرف»^(٦).

قلت: ويتفرع عن هذه القاعدة قاعدة أخرى وهي: «إذا دار الأمر بين قلة المحذوف وكثرته كان الحمل على قلته»^(٧).

وعلل الإمام ابن هشام الأنصاري^(٨) - رحمه الله - لهذا الفرع بقوله: «لتقل مخالفة الأصل»^(٩).

=

(١) كذا "التغيير"، ولعله خطأ مطبعي صوابه: "التقدير"، والله أعلم.

(٢) البرهان (٣/ ١٠٤)، وينظر أضواء البيان (٢/ ٨٧)، (٤/ ١٣٧).

(٣) سورة ق: جزء من الآية ١.

(٤) الرجز للوليد بن عقبة. ينظر الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (٥/ ١٤٤)، وشرح شواهد الشافية (٤/ ٢٧١).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٩٤-٣٩٥).

(٦) المرجع السابق (٧/ ٣٩٥)، وينظر تفسيره للآية الأولى من سورة البقرة ﴿الَّتِ﴾.

(٧) البرهان للزركشي (٣/ ١٠٤).

(٨) جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري المصري الحنبلي، ولد سنة ٧٠٨هـ، وكان في بداية أمره شافعيًا ثم حنبلي، فحفظ مختصر الخرقى دون أربعة أشهر، وذلك قبل موته بخمس سنين، وهو نحوي لغوي فاضل، أتقن العربية ففاق الأقران، بل والشيوخ، قال ابن خلدون: مازلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له: ابن هشام، أنحى من سيبويه أ.هـ.

=

المبحث العاشر

الأصل في التقدير أن يكون موافقاً للسياق القرآني^(٢).

إذا وجد في الآية القرآنية حذف وإضمار فأولى التقديرات فيها هو ما يوافق السياق.
يقول الإمام العز بن عبد السلام -رحمه الله-: «لا يقدر فيه -أي القرآن- من المحذوفات إلا أحسنها وأشدّها موافقة وملايمة للسياق»^(٣).

ومن أمثلة تطبيق الإمام ابن كثير -رحمه الله- لهذه القاعدة:

ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾^(٤)، حيث يقول:

"أي: غير صراط المغضوب عليهم. اكتفى بالمضاف إليه عن ذكر المضاف، وقد دلّ

عليه سياق الكلام، وهو قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾^(٥)، ثم

قال تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾^(٦).

فنجد أنه قدر المحذوف بـ «صراط» لمناسبته وموافقته للسياق.

=

ومن مصنفاته: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، اشتهر في حياته وأقبل الناس عليه، والتوضيح على

الألفية، وقطر الندى، وغيرها. توفي سنة ٧٦١هـ.

الدرر الكامنة (٩٣/٣)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (٦٨/٢).

(١) «مغني اللبيب» (٣٧١/٦).

(٢) انظر: قواعد الترجيح (٤٤٤/٢).

(٣) الإشارة إلى الإيجاز ص ٢٢٠.

(٤) سورة الفاتحة: جزء من الآية ٧.

(٥) سورة الفاتحة: الآية ٦، وجزء من الآية ٧.

(٦) تفسير القرآن العظيم (١٤٢/١).

المبحث الحادي عشر

يجب حمل كلام الله - عز وجل - على الأوجه الإعرابية اللانقطة بالسياق القرآني^(١).

قد تتنازع الآية القرآنية إعرابات مختلفة، كلها محتملة من جهة العربية، فلا نعتبرها كلها، بل نعتبر منها ما وافق السياق القرآني، فالإعراب فرع من المعنى، يقول الإمام عبدالقاهر الجرجاني^(٢) - رحمه الله - مبيناً أهميته: "الإعراب في الحقيقة معنى لا لفظ"^(٣)، فليس كل ما صح من جهة العربية يصح من جهة التفسير.

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - مقررًا ومؤصلاً لهذه القاعدة: «وينبغي أن يتفطن هاهنا لأمر لا بد منه، وهو أنه لا يجوز أن يحمل كلام الله - عز وجل - ويفسر بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام ويكون الكلام به له معنى ما، فإن هذا مقام

(١) ينظر قواعد الترجيح (٢/٦٣٥).

(٢) هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني الشافعي، شيخ العربية، وهو مفسر بلاغي نحوي، متكلم أشعري، كان ورعاً قانعاً دخل عليه لئس وهو في الصلاة، فأخذ ما وجد وعبد القاهر ينظر ولم يقطع صلواته، من مصنّفاته: المغني في شرح الإيضاح، والمقتصد في شرح الإيضاح، وأسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، وتفسير سورة الفاتحة في مجلد، وغيرها. توفي سنة ٤٧١هـ، وقيل ٤٧٤هـ.

سير أعلام النبلاء (١٨/٤٣٢)، طبقات الشافعية للسبكي (٥/١٤٩)، طبقات المفسرين للدودي (١/٣٣٦).

(٣) المقتصد في شرح الإيضاح (١/٩٩).

غلط فيه أكثر المعربين للقرآن، فإنهم يفسرون الآية ويعربونها بما يحتمله تركيب تلك الجملة، ويفهم من ذلك التركيب أي معنى اتفق، وهذا غلط عظيم ويقطع السامع بأن مراد القرآن غيره، وإن احتمل ذلك التركيب هذا المعنى في سياق آخر وكلام آخر؛ فإنه لا يلزم أن يحتمله القرآن^(١).

ثم أخذ في التمثيل لهذه القاعدة، ثم قال: «بل للقرآن عرف خاص، ومعان معهودة، لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عرفه والمعهود من معانيه... فلا يجوز حمله على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي»^(٢).

ثم بيّن أهمية هذه القاعدة فيقول:

«فتدبر هذه القاعدة، ولتكن منك على بال، فإنك تنتفع بها في معرفه ضعف كثير من أقوال المفسرين وزيفها، وتقطع أنها ليست مراد المتكلم تعالى بكلامه... فهذا أصل من أصوله - أي التفسير - بل من أهم أصوله»^(٣).

ومن أمثلة تطبيق الإمام ابن كثير رحمه الله لهذه القاعدة ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾^(٤).

حيث قال: «قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ قال ابن جرير^(٥): أي عاملين بما آتاهم

الله من الفرائض ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ أي قبل أن يفرض عليهم الفرائض كانوا محسنين في الأعمال أيضاً»^(٦).

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٨٧٦).

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ٨٧٧).

(٣) المرجع السابق (٣/ ٨٧٧).

(٤) سورة الذاريات، (١٥-١٦).

(٥) جامع البيان (٢١/ ٥٠٠-٥٠١).

(٦) وذكر ابن كثير - رحمه الله - أن ابن جرير روى ذلك عن ابن عباس - رضي الله عنهما -، ثم ضعف

والذي فسر به ابن جرير فيه نظر؛ لأن قوله: ﴿ءَاخِذِينَ﴾ حال من قوله: ﴿فِي جَنَّاتٍ

وَعُيُونٍ﴾.

فالمتقون في حال كونهم في الجنات والعيون آخذون ما آتاهم ربهم أي من النعيم والسرور والغبطة.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ أي في الدار الدنيا محسنين كقوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا

هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾^(١) (٢).

فعلى تفسير ابن جرير - رحمه الله - يكون إعراب «آخذين» حالاً ولكنها محكية، ومتقدمة في الزمان على كونهم في جنات وعيون.

وعلى تفسير ابن كثير - رحمه الله - تكون حالاً متصلة في المعنى لكونهم في الجنات والعيون، وهذا هو المناسب للسياق لقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ أي: في الدار الدنيا قبل أخذهم ما آتاهم ربهم في الجنات والعيون، ولا حاجة لحكاية الحال، وقطع تسلسل الكلام، ولذلك رجحه - رحمه الله -، واستدرك على ابن جرير - رحمه الله - تفسيره، وقد رجح الإمام ابن عطية - رحمه الله - ما رجحه ابن كثير - رحمه الله - وقال: «وهذا التأويل أرجح عندي لاستقامة الكلام به»^(٣).

=

إسناده - أي ابن كثير - وقال: ولا يصح عن ابن عباس. تفسير القرآن العظيم (٤١٦/٧).

(١) سورة الحاقة: ٢٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤١٦/٧)، وينظر مثال آخر (٤٦٩/٢) النساء (١٦٢) قوله: ﴿وَالْمُقِيمِينَ

الصَّلَاةَ﴾.

(٣) المحرر الوجيز (٦٦/٨).

الباب الثاني

أثر السياق القرآني

في تفسير ابن كثير

الفصل الأول

أثر السياق القرآني

في القراءات

في تفسير ابن كثير

الفصل الأول

أثر السياق القرآني في القراءات في تفسير ابن كثير.

إن الله - عز وجل - أنزل كتابه لهداية البشرية جمعاء من عرب وعجم، وحاضرة وبادية، وإنس وجن، فهو كتاب عالمي، وليس كتاباً إقليمياً أو شعوبياً، ولذلك يَسْرَهُ على الجميع، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^(١)، ومن سبل تيسيره تنزيله على سبعة أحرف، يقول أبي بن كعب رضي الله عنه: "كان النبي ﷺ عند أضاة^(٢) بني غفار - قال - فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ. فَقَالَ ﷺ: «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ». ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَقَالَ: «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ». ثُمَّ جَاءَهُ الثَّلَاثَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ. فَقَالَ: «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ

(١) سورة القمر: الآيات ١٧ - ٢٢ - ٣٢ - ٤٠.

(٢) الأضياء أو الأضياء: الماء المستنقع من سيل أو غيره، ويقال: هو غدير صغير، ويقال: هو مسيل الماء إلى الغدير. وغفار قبيلة من كنانة، وأضاة بني غفار موضع قريب من مكة فوق سرف قرب التناضب.

معجم البلدان لياقوت الحموي (١/ ٢١٤).

ذَلِكَ». ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةُ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَأْتُمْ عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا" (١).

ولعلَّ أقرب الأقوال في المراد بالأحرف السبعة هو ما ذهب إليه أبو الفضل الرازي (٢) - رحمه الله - من أن المراد بها: الأوجه القرائية التي يقع بها التغير في الكلمات القرآنية (٣). وبعد استقرار هذا العلم - أي: القراءات - أخذ بعض أهل العلم يُعَلَّلُ ويُوَجِّهُ لهذه القراءات لاعتبارات لغوية أو نحوية أو سياقية أو غيرها، وقد يختار ما ترجح لديه، دون تضعيف لبقية القراءات، وأطلق على هذا العلم اسم "علل القراءات" أو "توجيه القراءات" (٤)، وهذا التعليل لهذه الاعتبارات قائم على دلالة السياق. وقد عاب بعض العلماء ترجيح قراءة على قراءة لاستوائهما في القرآنية؛ لأن كليهما كلام الله، وكلام الله - تعالى - أوضح الكلام وأفصح على الإطلاق.

(١) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، وبيان معناه، برقم (٨٢١).

(٢) أبو الفضل، عبدالرحمن بن أحمد بن الحسن بن بندار العجلي، الرازي، المكِّي المولود، المقرئ، ولد سنة ٣٧١هـ، وهو إمام ثقة، ورع دين، عارف بالقراءات، عالم بالأدب والنحو، توفي سنة ٤٥٤هـ. معرفة القراء الكبار (١/٤١٧)، سير أعلام النبلاء (١٨/١٣٥)، غاية النهاية في طبقات القراء (١/٣٦١)، شذرات الذهب (٣/٢٩٣).

(٣) ينظر قوله في كتاب النشر لابن الجزري (١/٢٧)، وفتح الباري لابن حجر (٩/٢٩)، وقد مثل الإمام الزرقاني - رحمه الله - في كتابه مناهل العرفان (١/١٥٥-١٥٦) للأوجه السبعة التي ذكرها الرازي - رحمه الله - من القرآن الكريم، وينظر في هذه المسألة كتاب صفحات في علوم القرآن للدكتور عبد القيوم السندي .

(٤) ينظر: صفحات في علوم القرآن د. عبد القيوم السندي (١٨٨).

يقول أبو جعفر النحاس - رحمه الله -: "السلامة عند أهل الدين أنه إذا صحت القراءتان عن الجماعة، ألا يقال: أحدهما أجود؛ لأنهما جميعاً عن النبي ﷺ فيأثم من قال ذلك، وكان رؤساء الصحابة رضي الله عنهم ينكرون مثل هذا"^(١).

وقال أبو شامة المقدسي^(٢) - رحمه الله -: "قد أكثر المصنفون في القراءات والتفاسير من الترجيح بين قراءة "ملك" و "مالك" حتى إن بعضهم يبالغ إلى حد يكاد يسقط وجه القراءة الأخرى، وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين، وأتصاف الرب تعالى بهما"، ثم قال: "حتى إنني أصلي بهذه في ركعة وبهذه في ركعة"^(٣).

وقال ثعلب^(٤) - رحمه الله -: "إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة لم أفضل إعراباً على إعراب في القرآن، فإذا خرجت إلى كلام الناس فضلت الأقوى"^(٥)، واستحسن هذا القول الزركشي^(٦) - رحمه الله -.

(١) إعراب القرآن (٥/ ٦٢).

(٢) شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي الأصل الدمشقي الشافعي، المشهور بأبي شامة من أجل شامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر، ولد سنة ٥٩٩ هـ، مقرر فقيه نحوي لغوي، إمام متفنن، قيل بلغ رتبة الاجتهاد، صنف شرح القصيدة الشاطبية، والمرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، والأصول في الأصول، والباعث على إنكار البدع والحوادث، وغيرها. توفي في رمضان سنة ٦٦٥ هـ.

معرفة القراء الكبار للذهبي (٢/ ٦٧٣)، طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ١٦٥)، البداية والنهاية (١٣/ ٢٥٠).

(٣) نقله عنه الزركشي في البرهان (١/ ٣٤٠).

(٤) أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن يسار الشيباني البغدادي، المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة، وله معرفة بالقراءات، ثقة حجة، ولد سنة ٢٠٠ هـ، صنف: معاني القرآن، والقراءات، والوقف والابتداء، والمصون في النحو، واختلاف النحويين، وغيرها. توفي سنة ٢٩١ هـ.

تاريخ بغداد (٥/ ٢٠٤)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥)، البلغة ص ٦٦، بغية الوعاة (١/ ٣٩٦).

(٥) نقله عنه أبو عمر الزاهد في كتاب اليواقيت. انظر: البرهان (١/ ٣٣٩).

(٦) البرهان (١/ ٣٣٩).

وقد تحاشى الإمام ابن كثير - رحمه الله - هذا الترجيح والتضعيف بسبب السياق بين القراءات المتواترة - رغم قلة تعرضه للقراءات -، فوجهها دون ترجيح، إلا أنه استخدمه في ترجيح قراءة متواترة على شاذة، وفي تضعيف قراءة شاذة، وفي توجيه القراءات، وهذا ما سيتبين في المباحث الآتية:

المبحث الأول: أثر السياق القرآني في ترجيح بعض القراءات في تفسير ابن كثير.

المبحث الثاني: أثر السياق القرآني في تضعيف بعض القراءات في تفسير ابن كثير.

المبحث الثالث: أثر السياق القرآني في توجيه القراءات في تفسير ابن كثير.

المبحث الأول

أثر السياق القرآني في ترجيح بعض القراءات في تفسير ابن كثير.

أورد الإمام ابن كثير - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ

وَجِلَّةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾^(١) قراءة شاذة وعلّق عليها، فقال بعد أن فسر الآية "وقد قرأ

آخرون هذه الآية: "والذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة" أي: يفعلون ما يفعلون وهم

خائفون، وروي هذا مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قرأ كذلك.

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان^(٢)، حدثنا صخر بن جويرية^(١)، حدثنا إسماعيل المكي^(٢)،

المكي^(٢)،

(١) سورة المؤمنون: ٦٠.

(٢) هو عفان بن مسلم بن عبد الله الباهلي، أبو عثمان الصّفّار البصري، ثقة ثبت. قال ابن المديني: كان إذا

شكّ في حرف من الحديث تركه، وربما وهم وقال ابن معين: أنكرناه في صفر سنة تسع عشرة

(ومائتين)، ومات بعدها ببسير من كبار العاشرة، وقد أخرج له أصحاب الكتب الستة.

حدثني أبو خلف مولى بني جُمح^(٣): أنه دخل مع عبيد بن عمير^(٤) على عائشة- رضي الله عنها، فقالت: مرحباً بأبي عاصم، ما يمنعك أن تزورنا -أو: تُلِمَّ بنا؟- فقال: أخشى أن أملكك. فقالت: ما كنت لتفعل؟ قال: جئت لأسأل عن آية في كتاب الله - عز وجل -، كيف كان رسول الله ﷺ يقرؤها؟ قالت: آية آية؟ فقال: { الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا } أو { الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا }؟ فقالت: أيتها أحب إليك؟ فقلت: والذي نفسي بيده، لإحدهما أحب إلي من الدنيا جميعاً -أو: الدنيا وما فيها- قالت: وما هي؟ فقلت: { الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا } فقالت: أشهد أن رسول الله ﷺ كذلك كان يقرؤها، وكذلك أنزلت، ولكن الهجاء حرف^(٥) (٦).

=

تقريب التهذيب ص ٦٨١، برقم (٤٦٥٩).

(١) صخر بن جويرية، أبو نافع، مولى بني تميم أو بني هلال، قال أحمد: ثقة ثقة. وقال القطان: ذهب كتابه ثم وجده فتكلم فيه لذلك، من السابعة، أخرج له أصحاب الكتب الستة عدا ابن ماجه.

تقريب التهذيب ص ٤٥٠، برقم (٢٩٢٠).

(٢) إسماعيل المكي هنا هو: إسماعيل بن أمية، كما سيأتي في الاستدراك على ابن كثير في تضعيفه في هامش الصفحة القادمة، وإسماعيل هو ابن أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي، ثقة ثبت، من السادسة، مات سنة أربع وأربعين (ومائة)، وقيل قبلها.

تقريب التهذيب ص ١٣٧، برقم (٤٢٩).

(٣) أبو خلف المكي مولى بني جُمح عن عائشة وعنه إسماعيل المكي: حكم عليه ابن حجر بأنه مجهول الحال. تعجيل المنفعة ص ٤٨١.

(٤) هو عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، أبو عاصم المكي، ولد على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-. قاله مسلم، وعده غيره في كبار التابعين، وكان قاص أهل مكة، مجمع على ثقته، مات قبل ابن عمر، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

تقريب التهذيب ص ٦٥١، برقم (٤٤١٦).

(٥) رواه أحمد في مسنده (٩٥/٦).

(٦) تفسير القرآن العظيم (٥/٤٨١).

ثم قال - رحمه الله - معلقاً: "إسماعيل بن مسلم المكي، وهو ضعيف^(١). والمعنى على القراءة الأولى^(٢) - وهي قراءة الجمهور: السبعة وغيرهم - أظهر؛ لأنه قال: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾^(٣) فجعلهم من السابقين، ولو كان المعنى على القراءة الأخرى لأوشك ألا يكونوا من السابقين، بل من المقتصدين أو المقصرين، والله تعالى أعلم^(٤).

فبعد أن ضَعَّفَ الحديث، استظهر قراءة الجمهور المتواترة بمعونة السياق، فقراءة: ﴿يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا﴾ أي: يعطون العطاء، ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ أي: وهم خائفون، ألا يتقبل منهم، لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الإعطاء. كما قال ابن كثير^(٥).

وعَلَّلَ - رحمه الله - استظهار هذه القراءة بسياق الآية، فلحاقها يشير إلى كونهم من السابقين وهو قوله: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾.

(١) وكذا ضَعَّفَ هذا الحديث من أجل إسماعيل بن مسلم المكي الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٧٣)، ولكن الأمر ليس كما ظننا - رحمهما الله - فإسماعيل المكي هنا هو إسماعيل بن أمية كما وردت تسميته في رواية أبي أحمد الحاكم لهذا الحديث في كتابه الكنى، وابن أمية أحد الثقات المشهورين من رجال الصحيح، ولكن تبقى في الحديث علة وهي جهالة حال أبي خلف المكي مولى بني جمح. انظر: تعجيل المنفعة ص: ٤٨١.

(٢) يشير إلى القراءة المتواترة: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا﴾.

(٣) سورة المؤمنون: ٦١.

(٤) تفسير القرآن العظيم (٥/٤٨١).

(٥) نفس المصدر (٥/٤٨٠) وينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني

بينما القراءة الشاذة "يَأْتُونَ مَا آتَوْا" معناها: "يعملون العمل وهم يخافونه ويخافون لقاء الله ومقام الله" (١).

ولذلك قال ابن كثير - رحمه الله -: "ولو كان المعنى على القراءة الأخرى لأوشك ألا يكونوا من السابقين، بل من المقتصدين أو المقصرين، والله تعالى أعلم".
فهو - رحمه الله - يرى أن سياق هذه القراءة الشاذة يدل على أنهم يأتون المعاصي وقلوبهم خائفة من رجوعهم إلى الله - عز وجل -، وهذا يناقض لحاق الآية الدال على أنهم من السابقين المسارعين في الخيرات، وهذا في قوله: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾
ولذلك رَجَّحَ القراءة الأخرى المتواترة.

(١) نقله ابن جني عن أبي حاتم في المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (٢/٩٥).

المبحث الثاني

أثر السياق القرآني في تضعيف بعض القراءات في تفسير ابن كثير^(١).

أورد الإمام ابن كثير - رحمه الله - قراءة شاذة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ اضْطَرَّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٣٦﴾^(٢)، فقال:

" وقرأ بعضهم: { قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ اضْطَرَّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } فجعلوا ذلك من تمام دعاء إبراهيم، وهي قراءة شاذة مخالفة للقراء السبعة، وتركيب السياق يأبى معناها - والله أعلم - فإن الضمير في "قال" راجع إلى الله تعالى في قراءة الجمهور، والسياق يقتضيه، وعلى هذه القراءة الشاذة يكون الضمير في "قال" عائداً إلى إبراهيم، وهذا خلاف نظم الكلام، والله سبحانه هو العلام"^(٣).

فابن كثير - رحمه الله - نصَّ على أن تركيب السياق يأبى هذه القراءة الشاذة؛ لأنها لو كانت من كلام إبراهيم عليه السلام لما احتيج لتكرار كلمة "قال"؛ لأن الكلام لم يَطل، وإنما تكون: "وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير".

(١) غايرت بين المبحثين الأول والثاني لأنه لا يلزم من ترجيح قراءة بسبب السياق أو غيره تضعيف القراءة الأخرى، فقد تكون القراءتين متواترتين، وإن كانت تطبيقات ابن كثير - رحمه الله - هي في الترجيح والتضعيف بين قراءتين إحداها متواترة والأخرى شاذة، فهو - رحمه الله - لا يرجح بين القراءات المتواترة.

(٢) سورة البقرة: ١٢٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٣٠).

فلما جيء بكلمة "قال" دَلَّ على أنها من قول الله - عز وجل - جواباً على قول إبراهيم في دعائه، فلما قال إبراهيم: "رب اجعل هذا البلد آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر" فقصر دعوته لمن آمن، قال الله: { وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلاً } أي: في الدنيا، { ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } في الآخرة.

المبحث الثالث

أثر السياق القرآني في توجيه القراءات في تفسير ابن كثير.

يعتبر السياق القرآني أحد أصول الاحتجاج للقراءات القرآنية، فقد اعتمده كل من كتب في توجيه القراءات وتعليلها والاحتجاج لها^(١)، وابن كثير - رحمه الله - أحد العلماء الذين الذين اعتمدوا على السياق في توجيه القراءات في ثنايا تفسيره. ومن الأمثلة على ذلك:

(١) قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْلَمَ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾^(٢):

"﴿قَالُوا سَاحِرَانِ﴾^(٣) تَظَاهَرَا ﴿﴾ ، أي تعاونا ، ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾ أي: بكل منهما كافرون. كافرون. ولشدة التلازم والتصاحب والمقارنة بين موسى وهارون، دلّ ذكر أحدهما على الآخر، كما قال الشاعر:

فَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا أَرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهَا يَلِينِي^(٤).

(١) مثل مكّي بن أبي طالب في الكشف عن وجوه القراءات السبع، وابن خالويه في إعراب القراءات السبع السبع وعللها، والمهدوي في شرح الهداية وغيرهم.

(٢) سورة القصص: ٤٨.

(٣) فسّر ابن كثير - رحمه الله - الآية على هذه القراءة (ساحران) بفتح السين و ألف بعدها، وهي قراءة ابن ابن عامر وابن كثير المكي وأبي عمرو ونافع المدني. انظر التيسير للداني ص ١٧٢، والنشر لابن الجزري (٢٥٦/٢).

(٤) البيت للمثقب العبدي. ينظر تهذيب اللغة للأزهري مادة (أن م).

أي: فما أدري أيليني الخير أو الشر. قال مجاهد بن جبر: أمرت اليهود قريشاً أن يقولوا لمحمد ﷺ ذلك، فقال الله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾ قال: يعني موسى وهارون -عليهما السلام- ﴿تَظَاهَرَا﴾ أي: تعاونوا وتناصروا وصدق كل منهما الآخر. وبهذا قال سعيد بن جبير وأبو رزين في قوله: { سَاحِرَانِ } يعنون: موسى وهارون. وهذا قول جيد قوي، والله أعلم.

وقال مسلم بن يسار، عن ابن عباس { قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا } يعني: موسى ومحمداً -صلوات الله وسلامه عليهما-، وهذا رواية عن الحسن البصري.
وقال الحسن وقتادة: يعني: عيسى ومحمداً، صلى الله عليهما وسلم، وهذا فيه بعد؛ لأن عيسى لم يجر له ذكر هاهنا، والله أعلم.

وأما من قرأ ﴿سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾^(١)، فقال علي بن أبي طلحة^(٢) والعوفي^(١) عن ابن عباس. يعنون: التوراة والقرآن،

(١) بكسر السين وبدون ألف بعدها، وهي قراءة الكوفيين: عاصم وحزمة والكسائي. انظر التيسير للداني ص ١٧٢، والنشر لابن الجزري (٢/٢٥٦).

(٢) علي بن أبي طلحة سالم بن المخارق القرشي الهاشمي، أبو الحسن، وقيل أبو محمد، وقيل أبو طلحة، من الذين عاصروا صغار التابعين، لم يسمع التفسير من ابن عباس، بل أخذه عن مجاهد، وقيل عن سعيد بن جبير، ولكن لم يذكر مجاهد أو سعيد بل أرسله، قال أحمد بن حنبل: بمصر - صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة، لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً. رواه النحاس في الناسخ والنسوخ (١/٤٦٢)، وقد نقل البخاري من تفسيره شيئاً كثيراً في التراجم وغيرها ولا يسميه، ولكن علّقَه بصيغة الجزم، وهذا يدل على تصحيح البخاري لهذه الصحيفة؛ لأنه علمت الوساطة، قال ابن حجر عنها: "بعد أن عرفت الوساطة وهي ثقة فلا ضير في ذلك" العجائب (١/٢٠٦)، وذكر أبو داود أنه -أي علي بن أبي طلحة- يرى السيف. توفي سنة ١٤٣ هـ على الصحيح.
تهذيب الكمال (٢٠/٤٩٠)، ميزان الاعتدال (٤/٥٤)، تهذيب التهذيب (٧/٢٩٨).

وكذا قال عاصم الجحدري^(٢)، والسُّدِّيُّ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال السدي: يعني صدق كل واحد منهما الآخر.

وقال عكرمة: يعنون: التوراة والإنجيل. وهو رواية عن أبي زرعة، واختاره ابن جرير^(٣).

وقال الضحاك وقتادة: الإنجيل والقرآن. والله سبحانه أعلم بالصواب.

والظاهر على قراءة: ﴿سِحْرَانِ﴾ أنهم يعنون: التوراة والقرآن؛ لأنه قال بعده: ﴿قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ﴾^(٤)، وكثيراً ما يقرن الله بين التوراة والقرآن، كما في قوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ إلى أن قال: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾^(٥)

وقال في آخر السورة: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَىٰ الَّذِي أَحْسَنَ﴾، إلى أن

قال: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٦) (١٥٥) (٧).

(١) هو أبو الحسن عطية بن سعد بن جُنَادَةَ العوفي الجَدَلِي الكوفي، ضعفه جمع من الأئمة، وقال عنه ابن حجر: صدوق يخطئ كثيراً، وكان شيعياً مدلساً. أ.هـ.، توفي سنة ١١١ هـ. تهذيب الكمال (٢٠/١٤٥)، تقريب التهذيب ص ٦٨٠.

(٢) في تفسير ابن كثير (الجندبي)، والتصويب من تفسير ابن أبي حاتم (٩/٢٩٨٥)، وهو أبو مجشر عاصم بن العجاج الجحدري البصري، أمام مقرر ثقة، توفي سنة ١٢٨ هـ.

الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٦/٣٤٩)، . غاية النهاية في طبقات القراء (١/٣٤٩)

(٣) جامع البيان (١٨/٢٦٩).

(٤) سورة القصص: ٤٩.

(٥) سورة الأنعام: ٩١ - ٩٢.

(٦) سورة الأنعام: ١٥٤-١٥٥.

(٧) تفسير القرآن العظيم (٦/٢٤٢-٢٤٣).

فوجد أنه - رحمه الله - رجَّح توجيهات وضعف أخرى بسبب السياق، فأولاً قوّى توجيه قراءة "ساحران" على أن المراد بها "هارون وموسى"، ولعلّه قوى هذا بسبب لحاق الكلمة "ساحران" فلحاقها "تظاهرا"، وفسرها - رحمه الله - بتعاوننا، والذي أعان موسى في دعوته هو أخوه هارون، فموسى طلب من الله أن يرسل معه أخاه هارون ليعينه ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۝٢٦ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ۝٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۝٢٨ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝٢٩ هَارُونَ أَخِي ۝٣٠ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ۝٣٢ كَى نَسْحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣ وَتَذَكَّرَ كَثِيرًا ۝٣٤ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ۝٣٥ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ۝٣٦﴾^(١).

ولذلك قال - رحمه الله -: "ولشدة التلازم والتصاحب والمقارنة بين موسى وهارون،

دلّ ذكر أحدهما على الآخر"^(٢).

ثم بيّن أن هذا أسلوب عربي مستخدم، فقال: "كما قال الشاعر:

فَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا أريدُ الخَيْرَ أَيُّهَا يَلِينِي

أي: فما أدري أيليني الخير أو الشر"^(٣).

وهذا القول رجّحه ابن عطية في تفسيره^(٤)، واستبعد ابن كثير - رحمه الله - توجيه قراءة

"ساحران" بأن المراد بها: عيسى ومحمداً - عليها الصلاة والسلام -؛ معللاً ذلك بأن عيسى

عليه السلام - لم يجر له ذكر في هذا السياق.

ولم يعلق على التوجيه الآخر في هذه القراءة من أن المراد بالساحرين موسى ومحمد

عليهما - الصلاة والسلام - رغم قوته من جهة السياق أيضاً، فلحاق الآية يقويه: فقوله تعالى:

﴿ قُلْ فَاتَّبِعُوا مَن عِنْدَ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِّنْهُمَا أَتَّبِعُهُ ﴾ على قراءة "ساحران" يكون معناه، قل

(١) سورة طه: ٢٥ - ٣٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/٢٤٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٦/٢٤٢).

(٤) المحرر الوجيز (٦/٥٩٧).

فأتوا بكتاب هو أهدى من كتابيها أتبعه، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه^(١)، والمراد بهذه الآية التوراة والقرآن كما رجح ابن كثير - رحمه الله - ذلك، فيكون بذلك مرادهم بالساحرين موسى ومحمد -عليهما الصلاة والسلام-، ويكون معنى تظاهرا: أي: صدق كل منهما الآخر، وهذا القول رجحه ابن خالويه في إعراب القراءات السبع وعللها^(٢)، والمهدوي في شرح الهداية^(٣).

وليس المقصود في هذا المقام ترجيح قول علي قول، بل المقصود هو إبراز دور السياق في توجيه القراءات.

ثم انتقل - رحمه الله - إلى توجيه قراءة "سحران" وعرض الأقوال فيها، ثم استظهر قول ابن عباس ومن وافقه من أن المراد بها التوراة والقرآن، وعلّل توجيهه مستدلاً بالسياق

(١) شرح الهداية للمهدوي (٢/٤٦٣).

(٢) (٢/١٧٧)، وابن خالويه هو: أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان الهمداني، إمام مقرئ مفسر نحوي لغوي أديب، قال عنه الداني في طبقات القراء: عالم بالعربية، حافظ للغة، بصير بالقراءة ثقة أ.هـ. قرأ القرآن على ابن مجاهد، صنّف: إعراب القراءات السبع وعللها، وإعراب ثلاثين سورة من القرآن، والاشتقاق، والجمل في النحو، وغيرها. توفي سنة ٣٧٠هـ.

معجم الأدباء (٣/٩٩)، وفيات الأعيان (٢/١٧٨)، غاية النهاية في طبقات القراء (١/٢٣٧).

(٣) (٢/٤٦٢-٤٦٣)، والمهدوي هو: أبو العباس أحمد بن عمّار المهدوي، نسبة إلى المهديّة بالمغرب، ثم الأندلسي، إمام مفسر، رأس في القراءات والعربية، له مصنفات حسنة، منها: تفسيره المسمى: التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، ومختصره المسمى: التحصيل في مختصر التفصيل، والهداية في القراءات السبع، وشرح الهداية، وغيرها. توفي بعد ٤٣٠هـ.

معرفة القراء الكبار (١/٣٩٩)، غاية النهاية في طبقات القراء (١/٩٢)، طبقات المفسرين للداودي (١/٥٦).

فقال: ؛ لأنه قال بعده: ﴿قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ﴾^(١) ، وكثيراً ما يقرن الله بين التوراة والقرآن^(٢).

فالكفار لما أتاهم الحق من عند الله من خلال كتابه ورسوله قالوا: ﴿تَوَلَّآ أَوْتَىٰ مِثْلَ مَا أَوْتَىٰ مُوسَىٰ ؑ أَوْلَمَ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْتَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ ، فبين الله كفرهم بما أوتى موسى - عليه السلام - ثم أمر نبيه أن يتحداهم أن يأتوا بكتاب أهدى منهما أي: من كتاب الله الذي أنزله على محمد ﷺ وهو القرآن الذي أنزله على موسى - عليه السلام - وهو التوراة.

فالضمير عائد عليهما لسبق ذكرهما، وكذا استدل بالسياق العام للقرآن، فكثيراً ما يقرن الله بين القرآن والتوراة، ودلَّ على ذلك بالآيات، فاستدل ابن كثير - رحمه الله - لهذا الترجيح بالسياق لا غبار عليه. وهذا ما رجَّحه ابن خالويه في إعراب القراءات السبع وعللها^(٣).

(٢) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾^(٤) :

"اختلف القراء ههنا ... منهم من رفع { الْحَقُّ }^(٥) على أنه نعت للولاية، كقوله تعالى:

﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾^(٦) ، ومنهم من خفض

(١) سورة القصص: ٤٩ .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/٢٤٢) .

(٣) (١٧٧/٢) .

(٤) سورة الكهف: ٤٤ .

(٥) قراءة الرفع لأبي عمرو والكسائي، وقراءة الخفض لبقية السبعة. انظر التيسير للداني ص ١٤٣، والنشر-

لابن الجزري (٢/٢٣٣) .

(٦) سورة الفرقان: ٢٦ .

القاف^(٣)، على أنه نعت لله - عز وجل -، كقوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾^(١) (٦٢).

فوجد أنه - رحمه الله - نظر إلى اختلاف سياق الآيتين على القراءتين، ولما اختلف السياقان اختلف المعنيان، ولذلك وَجَّهَ معنى كل قراءة حسب سياقها، فهو يرى أن كلمة "الحق" إعرابها نعت "صفة"، ومن المقرر في قواعد العربية أن النعت يتبع المنعوت، أو الصفة تتبع الموصوف، ففي كل قراءة يوجهها بحسب مشابهتها للمنعوت، فإذا خفضت أصبحت نعتاً للمخفض "الله"، وإذا رفعت، جعلها نعتاً للمرفوع "الولاية"، ثم استشهد - رحمه الله - لكل توجيه بما يؤيده من القرآن.

(٣) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقول الله - عز وجل -: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَإِنِّي نُنزِّلُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٤) (٤٦) وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ^(٥) (٤٧) :

" وقوله: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾

قُرئ { وَلِيَحْكُمَ }^(٤) بالنصب على أن اللام لام كي، أي: وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور، ليحكم أهل ملته به في زمانه، وقرئ: ﴿وَلِيَحْكُمَ﴾^(٥) بالجزم^(٥)، اللام لام الأمر، أي:

(١) سورة الأنعام: ٦٢

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥/١٦٠).

(٣) سورة المائدة: ٤٦ - ٤٧.

(٤) وهي قراءة حمزة بكسر اللام، ونصب الميم. انظر: جامع البيان لأبي عمرو الداني (٣/١٠٢٧)، والنشر-

لابن الجزري (٢/١٩١).

(٥) وهي قراءة بقية السبعة. انظر: المصدرين السابقين.

ليؤمنوا بجميع ما فيه، وليقيموا ما أمروا به فيه، ومما فيه البشارة ببعثة محمد ﷺ والأمر باتباعه وتصديقه إذا وجد" (١).

وهنا أيضاً نجد أنه لما تغير السياق تغاير المعنى، فنتج عنه تغاير التوجيه، لكل قراءة، فالسياق الذي فيه نصب الميم في "ليحكم" يدل على أن اللام هنا لام كي، والسياق الذي فيه جزم الميم ﴿وَلِيَحْكُمُ﴾ يدل على أن اللام هنا لام الأمر، ولذلك وجه الإمام ابن كثير - رحمه الله - كل قراءة من هذا المنطلق (٢).

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/١٢٦).

(٢) انظر: بقية الأمثلة في تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (١/١٧٩) البقرة: ٩، (٢/١٣٠) آل عمران: ١٤٨، (٢/٢٦١-٢٦٢) النساء: ٢٥، (٣/٢٤٣) الأنعام: ١٤، (٣/٤٩٤) الأعراف: ١٦٤، (٤/٢٩٠) يونس: ٨٨، (٤/٣٧٦) يوسف: ١٩، (٥/٧٧) الإسراء: ٣٨، (٥/٢٣٧) مريم: ٥١، (٦/٢٨) النور: ١٥، (٦/٦٧) النور: ٣٦، (٦/٩٩) النور: ١٨، (٦/٢٧١) العنكبوت: ٢٥، (٦/٣٣١) لقمان: ٦.

الفصل الثاني

أثر السياق القرآني

في نطق المرويات

في تفسير ابن كثير

المبحث الأول

أثر السياق القرآني في نقد الروايات المرفوعة في تفسير ابن كثير.

من المعلوم أن السنة النبوية وحي من الله - عز وجل -، يقول الله تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (١)، ويقول ﷺ: "ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه" (٢)، فلذلك يستحيل عقلاً وشرعاً أن يعارض الحديث النبوي القرآن الكريم؛ فكل من عند الله، ولكن قد يتوهم مُتوهمٌ ذلك، فإذا كان ذلك كذلك فلا يخلو من حالتين:

الأولى: أن يكون الحديث صحيحاً، فحينئذٍ يبحث في باب المشكل - مع الجزم بعدم المعارضة -، ويتم توجيه الآية على معنى، والحديث على معنى آخر مغاير لمعنى الآية، فيتم التوفيق بينهما، وسيأتي ذكر نموذج من تطبيقات الإمام ابن كثير - رحمه الله - في دفع إيهام الإشكال بين آية قرآنية كريمة، وحديث نبوي شريف (٣).

الثانية: أن تكون المعارضة حقيقة، ولا يمكن التوفيق بين الآية والحديث فحينئذٍ إن كان ظاهر سنده الصحة فإنه لا يسلم من علة خفية؛ لأن واقع الحال امتناع ورود حديث يسلم من علة يعارض آية من كتاب الله - وإن كانت معارضة الحديث للقرآن بحد ذاتها علة - (٤).

(١) سورة النجم: ٣ - ٤.

(٢) سبق تخريجه في ص ٥٠.

(٣) في فصل أثر السياق في دفع إيهام الإشكال في تفسير ابن كثير - رحمه الله - ص ٢٨٨.

(٤) ينظر: تحرير علوم الحديث للشيخ عبد الله بن يوسف الجديع (٢/٦٩٨).

وما يهمننا من هذا الباب في هذا المبحث هو النوع الثاني، وهو إبراز أثر السياق القرآني في إعلال الروايات الحديثية المرفوعة، وهي وإن كانت ضعيفة إلا أن مخالفتها للسياق القرآني يزيد من ضعفها.

ومن نماذج تطبيقات الإمام ابن كثير - رحمه الله - في هذا الباب في تفسيره:

(١) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى عن يأجوج ومأجوج: ﴿فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (٩٧):

يقول تعالى مخبرا عن يأجوج ومأجوج أنهم ما قدروا على أن يصعدوا من فوق هذا السد، ولا قدروا على نقبه من أسفله، ولما كان الظهور عليه أسهل من نقبه قابل كلا بما يناسبه فقال: ﴿فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (٩٧)، وهذا دليل على أنهم لم يقدروا على نقبه ولا على شيء منه.

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد... عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: " إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً، فيعودون إليه كأشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس؛ حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله -ويستثنى-، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس، فينشفون المياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع وعليها هيئة الدم، فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث

الله عليهم نغماً في أقفائهم فيقتلهم بها، قال رسول الله ﷺ: "والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرا من لحومهم ودمائهم"^(١)... وكذا رواه ابن ماجه^(٢)...، وأخرجه الترمذي^(٣)... ثم قال: غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه.

وهذا إسناد جيد قوي، ولكن في رفعه نكارة؛ لأن ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نقبه؛ لإحكام بنائه وصلابته وشدته، ولكن هذا قد روي عن كعب الأخبار^(٤) أنهم قبل خروجهم يأتونه فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل، فيقولون غداً نفتحها، فيأتون من الغد وقد عاد كما كان، فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل، فيقولون كذلك، فيصبحون وهو كما كان، فيلحسونه ويقولون غداً نفتحها، ويلهمون أن يقولوا إن شاء الله، فيصبحون وهو كما فارقه فيفتحونه، وهذا مُتَّجِهٌ، ولَعَلَّ أبا هريرة تلقاه من كعب؛ فإنه كثيراً ما كان يجالسه ويحدث عنه، فحدث به أبو هريرة فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع فرفعه والله أعلم.

(١) المسند (٢/ ٥١٠)، وقد صحَّح الحديث ابن حبان في صحيحه برقم (٦٨٢٩)، والحاكم في المستدرک (٤/ ٢٨٨)، والألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٧٣٥).

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال، وخروج عيسى بن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج، برقم (٤٠٨٠).

(٣) جامع الترمذي، أبواب التفسير، باب ومن سورة الكهف، برقم (٣١٥٣)، ثم قال: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه. ينظر تحفة الأشراف للزمري (١٠/ ٣٩٢).

(٤) هو كعب بن ماتع الحميري اليماني، العلامة الخبر، كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر -رضي الله عنه-، فجالس أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، فكان يحدثهم عن الكتب الاسرائيلية، وكان يحفظ عجائب، ويأخذ السنن عن الصحابة، وكان حسن الإسلام، متين الديانة، من نبلاء العلماء، توفي بحمص ذاهباً للغزو في أواخر خلافة عثمان -رضي الله عنه-.

طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٥)، المعارف ص ٤٣٠، سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٨٩).

ويؤكد ما قلناه من أنهم لم يتمكنوا من نقبه ولا نقب شيء منه، ومن نكارة هذا المرفوع، قول الإمام أحمد^(١)... عن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ... قالت: استيقظ النبي ﷺ من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول: "لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب! فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا - وحلَّق -".

قلت: يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم إذا كثرت الخبث". هذا حديث صحيح اتفق البخاري^(٢) ومسلم^(٣) على إخرجه...، وقد روي نحو هذا عن أبي هريرة أيضاً فقال البزار^(٤): "... عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: "فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا" وعقد التسعين وأخرجه البخاري^(٥) ومسلم^(٦)".^(٧)

فوجد أنه - رحمه الله - أنكر رفع هذا الحديث على الرغم من قوة إسناده، وأعلله بسبب مخالفته لظاهر سياق الآية، فظاهر سياق الآية يدل على أنهم لم يتمكنوا من نقبه ولا ارتقائه،

(١) المسند (٦/٤٢٨).

(٢) في كتاب الفتن، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "ويل للعرب من شر قد اقترب"، برقم (٧٠٥٩).

(٣) في كتاب الفتن، في باب اقتراب الفتن، وفتح ردم يأجوج ومأجوج، برقم (٢٨٨٠).

(٤) هو أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار، إمام حافظ محدث كبير، ولد سنة نيف عشرة ومائتين، ارتحل في الشيخوخة ناشراً لحديثه، فحدث عن الكبار بأصبهان، وبغداد، ومصر، ومكة، والرملة، وأدركه بالرملة أجله، فمات في سنة ٢٩٢ هـ.

تاريخ بغداد (٤/٣٣٤)، سير أعلام النبلاء (١٣/٥٥٤)، الوافي بالوفيات (٧/١٧٥).

(٥) في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، وقول الله تعالى: ﴿قَالُوا يَنْدَا الْقُرَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (الكهف: ٩٤)، وقول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقُرْنَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿سَبَبًا﴾ (الكهف: ٨٣-٩٢)، برقم (٣٣٤٧).

(٦) في كتاب الفتن، باب اقتراب الفتن، وفتح ردم يأجوج ومأجوج، برقم (٢٨٨١).

(٧) تفسير القرآن العظيم (٥/١٩٧-١٩٨).

وهذا الحديث يقتضي نقب السد، و وَجَّهَ الحديث باحتمال تلقي أبو هريرة له من كعب الأحبار؛ لأنه روي أيضاً عن كعب الأحبار، وأبو هريرة رضي الله عنه كثيراً ما كان يجالسه ويحدثه، فحدث به أبو هريرة، فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع فرفعه.

قلت: ومما يقوي هذا الاحتمال رواية عَبْدَ بنِ مُحَمَّدٍ ^(١) لهذا الحديث عن أبي هريرة موقوفاً ^(٢).

وأكد - رحمه الله - نكارة الحديث المرفوع بحديث آخر متفق على صحته من طريق صحابيين أحدهما أبي هريرة نفسه، يدل على أن غاية ما فتح من ردم يأجوج ومأجوج في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قدر الحلقة الصغيرة، وأما هذا الحديث المرفوع الذي أنكره ابن كثير فيدل على أنه فتح كله إلا القدر اليسير.

فهذا النموذج التطبيقي من ابن كثير - رحمه الله - يبين أهمية السياق القرآني وأثره في نقد الروايات.

(٢) قال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ ^(٣) :

"... وقال الحافظ أبو بكر البزار ^(٤) : حدثنا عبّاد بن يعقوب ^(٥) حدثنا أبو يحيى التيمي ^(١)

(١) هو أبو محمد عَبْدُ بنِ مُحَمَّدِ بنِ نصر الكشي ويقال له: الكشي، يقال: اسمه عبد الحميد، ولد بعد ١٧٠هـ، وهو إمام حافظ، محدث ثقة حجة، مفسر - مشهور، صنّف: المسند، والتفسير، توفي سنة ٢٤٩هـ.

تهذيب الكمال (١٨ / ٥٢٤)، سير أعلام النبلاء (١٢ / ٢٣٥).

(٢) انظر فتح الباري (١٣ / ١٠٩).

(٣) سورة الإسراء: ٢٦.

(٤) كشف الأستار في زوائد مسند البزار برقم (٢٢٢٣).

(٥) عبّاد بن يعقوب الرّوَاجِنِي، أبو سعيد الكوفي، صدوق رافضي، حديثه في البخاري مقرون، بالغ ابن

حدثنا فضيل بن مرزوق^(٢) عن عطية عن أبي سعيد قال: "لما نزلت ﴿وَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فذك". ثم قال: لا نعلم حَدَّثَ به عن فضيل بن مرزوق إلا أبو يحيى التيمي وحميد بن حماد بن أبي الخوار^(٣).

وهذا الحديث مشكل لو صح إسناده؛ لأن الآية مكية^(٤)، وفدك إنما فتحت مع خير سنة سبع من الهجرة، فكيف يلتئم هذا مع هذا؟! فهو إذاً حديث منكر، والأشبه أنه من وضع الرافضة والله أعلم^(٥).

حبان فقال: يستحق الترك، من العاشرة مات سنة خمسين (ومائتين)، أخرج له البخاري مقروناً، والترمذي، وابن ماجه.

تقريب التهذيب ص ٤٨٣-٤٨٤، برقم (٣١٧٠).

(١) لم أعرفه.

(٢) فضيل بن مرزوق الأغر الرقاشي الكوفي، أبو عبد الرحمن، صدوق يهيم ورُمي بالتشيع، من السابعة، مات في حدود سنة ستين (ومائة)، أخرج له البخاري في جزء رفع اليدين، ومسلم وأصحاب السنن. تقريب التهذيب ص ٧٨٦، برقم (٥٤٧٢).

(٣) حميد بن حماد بن حُورار، ويقال: ابن أبي الخوار، التيمي، أبو الجهم، لِين الحديث، من التاسعة، مات سنة خمس عشرة (ومائتين)، أخرج له أبو داود. تقريب التهذيب ص ٢٧٣، برقم (١٥٥٢).

(٤) سيأتي في مبحث أثر السياق في معرفة المكي والمدني في تفسير ابن كثير في ص ٣١٠ من هذا البحث أن لمعرفة المكي والمدني طريقان: الأول سماعي: وهو ما يعرف عن طريق الرواية، والثاني قياسي: وهو ما وضعه العلماء من ضوابط وخصائص لما لم يرد فيه نقل قياساً على ما ورد فيه نقل، وهذا النوع لا سبيل لمعرفته إلا من خلال السياق، وهذا المثال والذي بعده من هذا القبيل -والله أعلم-.

(٥) تفسير القرآن العظيم (٥/٦٨-٦٩).

فبين - رحمه الله - نكارة هذا الحديث لمخالفته للسياق، فسياق الآيات مكِّيَّة، وفدك فتحت بعد الهجرة بسبع سنوات، ورَجَّح أنه من وضع الرافضة، وهذا غير مستبعد لا سيما أن في سنده رافضي، وهذا مما يقوي بدعته.

(٣) قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (١٣) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٤) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ﴿١﴾ :

"وقال أيضاً - أي: ابن أبي حاتم - : حدثني أبي، حدثنا آدم بن أبي إياس (٢)، حدثنا شيبان (٣)، عن جابر الجعفي (٤)، عن عامر الشعبي (٥)، عن زيد بن ثابت الأنصاري قال : أَمَلَى

(١) سورة المؤمنون: ١٢ - ١٤ .

(٢) آدم بن أبي إياس عبد الرحمن العسقلاني، أصله خراساني، يكنى أبا الحسن، نشأ ببغداد، ثقة عابد من التاسعة، مات سنة إحدى وعشرين (وماتين)، أخرج له البخاري وأبو داود في النسخ والمنسوخ والترمذي والنسائي وابن ماجه.

تقريب التهذيب ص ١٠٢، برقم (١٣٣).

(٣) هو شيبان بن عبد الرحمن التميمي مولا هم النحوي، أبو معاوية البصري، نزيل الكوفة، ثقة صاحب كتاب، يقال إنه منسوب إلى "نحوه" بطن من الأزدي لا إلى علم النحو، من السابعة مات سنة أربع وستين (ومائة)، أخرج له الجماعة.

تقريب التهذيب ص ٤٤١، برقم (٢٨٤٩).

(٤) هو جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي، أبو عبد الله الكوفي، ضعيف رافضي، من الخامسة مات سنة سبع وعشرين ومائة، وقيل سنة اثنتين وثلاثين، أخرج له أبو داود والترمذي وابن ماجه.

تقريب التهذيب ص ١٩٢، برقم (٨٨٦).

(٥) هو عامر بن شراحيل الشَّعبي، أبو عمرو، ثقة مشهور فقيه فاضل، من الثالثة، قال مكحول: ما رأيت أفتقه منه. مات بعد المائة، وله نحو من ثمانين، أخرج له الجماعة

تقريب التهذيب ص ٤٧٥، برقم (٣١٠٩).

عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾، فقال معاذ: ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾، فضحك رسول الله ﷺ، فقال له معاذ: مِمَّ ضَحِكْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: بِهَا خَتَمْتُ ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ ".

جابر بن يزيد الجعفي ضعيف جداً، وفي خبره هذا نكارة شديدة، وذلك أن هذه السورة مكية، وزيد بن ثابت إنما كتب الوحي بالمدينة، وكذلك إسلام معاذ بن جبل إنما كان بالمدينة أيضاً، فالله أعلم^(١).

فبين - رحمه الله - ضعف إسناد الحديث، ونكارة المتن من جهة مخالفته لسياق السورة، فسياق السورة مكِّي، وزيد بن ثابت ﷺ كتب الوحي بالمدينة، ومعاذ بن جبل ﷺ أسلم بالمدينة أيضاً.

وبهذه النماذج التطبيقية من تفسير ابن كثير - رحمه الله - يتبين ما للسياق القرآني من أثر في نقد الروايات الحديثية المرفوعة أو التي لها حكم الرفع^(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/٤٦٩).

(٢) ينظر نماذج أخرى من تفسير القرآن العظيم لابن كثير - رحمه الله -: (٣/١٥٣) المائدة: ٦٧، (٤/٣١)

الأنفال: ١٧، (٦/٤٠٣) الأحزاب: ٢٨-٢٩، (٨/١٧١) التحريم: ١٠، (٨/٢٤٦) الجن: ٢٥.

المبحث الثاني

أثر السياق القرآني في نقد الروايات الإسرائيلية في تفسير ابن كثير.

إن القرآن الكريم هو كتاب الهداية الخالد على مر العصور والأزمان، ومن أساليب هدايته: إيراد القصص السابقة ليتم بها العبرة والعظة، ويتميز إيراد القصص فيه بالاختصار على مواطن العظة والعبرة، دون الحشو في ذكر التفاصيل الجزئية الخالية من هذين الاعتبارين.

والنفس البشرية من طبيعتها أنها تتطلع للفضول، فتستشرف لمعرفة تفاصيل قصص القرآن، ووجدت الضالة في الروايات الإسرائيلية للقصص، ففيها التفاصيل التي قد تشبع فضول الناس، وقد لا تشبع أحياناً بحسب درجة الفضول عند الفرد.

ويراد بالروايات الإسرائيلية: ما يروى عن أهل الكتاب من قصص وحوادث، والنسبة فيها إلى إسرائيل، وهو نبي الله يعقوب بن إبراهيم الخليل -عليهم السلام-، وإليه ينتسب اليهود والنصارى فيقال لهم: بنو إسرائيل.

وقد يتوسع العلماء -رحمهم الله- في هذا المصطلح فيطلقونه على كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة، منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما^(١).

والأصل في رواية الإسرائيليات حديث النبي ﷺ: "بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"^(٢).

(١) ينظر: كتاب الإسرائيليات في التفسير والحديث. د. محمد الذهبي ص (١٧)، ضمن كتاب بحوث في علوم التفسير والفقه والدعوة للمؤلف نفسه.

(٢) رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم (٣٤٦١).

وهذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستئناس لا للاعتقاد، وهي لا تخلو من ثلاث أحوال^(١):

الحال الأولى: أن تكون موافقة لما عندنا في شريعتنا، فهذه يجوز روايتها.

الحال الثانية: أن تكون مخالفة لما عندنا في شريعتنا، فهذه باطلة لا يجوز روايتها.

الحال الثالثة: أن تكون مسكوتاً عنها، فلم يثبت في شريعتنا موافقة ولا مخالفة لها، فهذه لا

نصدقها ولا نكذبها لحديث: " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا

أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾^(٢) الآية" رواه البخاري^(٣)، وتجاوز روايتها لحديث: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا

حرج"^(٤)، ولكن غالب هذا النوع مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ولذلك يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيراً^(٥).

ويتجلى أثر السياق القرآني في نقد الروايات الإسرائيلية إذا ما طابقت الحال الثانية بأن

تكون مخالفة له، فحينئذ يتم إبطالها، وتحرم روايتها إلا لبيان حالها.

ومن أمثلة تطبيق الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره في هذا الباب:

(١) قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً

قَالُوا أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي

أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾^(٦) :

(١) ملاحظة: كلمة الحال مذكرة اللفظ مؤنثة المعنى.

(٢) سورة البقرة: ١٣٦.

(٣) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - في كتاب التفسير، باب "﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾"، برقم

(٤٤٨٥).

(٤) سبق تخريجه في ص ١٩٣.

(٥) ينظر مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية فملخص البحث مستفاد منه، وقد نقل كلامه السابق ابن كثير

- رحمه الله -، بل أكثر من ذلك في مقدمة تفسيره (٧/١) وما بعدها.

(٦) سورة البقرة: ٣٠.

"... وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، ...، عن سمع أبا جعفر محمد بن علي^(١) يقول: السَّجِّلُ ملك، وكان هاروت وماروت من أعوانه، وكان له في كل يوم ثلاث لمحات ينظرهن في أم الكتاب، فنظر نظرة لم تكن له، فأبصر فيها خلق آدم وما كان فيه من الأمور، فأَسَرَ ذلك إلى هاروت وماروت، وكانا من أعوانه، فلما قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ قالوا ذلك استطالة على الملائكة^(٢).

وهذا أثر غريب. وبتقدير صحته إلى أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقر، فهو نقله عن أهل الكتاب، وفيه نكارة توجب رده، والله أعلم. ومقتضاه أن الذين قالوا ذلك إنما كانوا اثنين فقط، وهو خلاف السياق"^(٣).

فَرَدَّ - رحمه الله - هذه الرواية الإسرائيلية وأنكرها لمخالفتها للسياق القرآني، فلو كانت صحيحة لكانت الآية بضمير التثنية "قالا"، فلما كانت بضمير الجمع ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾، دَلَّتْ على بطلان هذه الرواية الإسرائيلية، هذا من جهة سياق هذه الآية، وإلا لهذه الرواية مخالفة أخرى لسياق قرآني آخر، وهو قوله عن الملائكة: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٤)، فقد ذكر عن الملائكة بأنهم لا يعصون الله أبداً، وفي هذه الرواية نسبة العصيان للملائكة:

(١) أبو جعفر الباقر، محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - الهاشمي، لقب بالباقر من: بقر العلم، أي شقه فعرف أصله وخفيه، ولد سنة ٥٦ هـ، وهو إمام مجتهد ثقة مفسر، أحد من جمع بين العلم والعمل والسؤدد والشرف والرزانة، له تفسير، وهو غير مكثر من الحديث، لكن له مسائل وفتاوى، توفي بالمدينة سنة ١١٤ هـ، وقيل غير ذلك.

الطبقات الكبرى (٥/٣٢٠)، سير أعلام النبلاء (٤/٤٠١)، البداية والنهاية (٩/٣٠٩).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١/٧٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/٢٢٢).

(٤) سورة التحريم: ٦.

الأولى: " فنظر نظرة لم تكن له".

والثانية: " قالوا ذلك باستطالة على الملائكة"، والكبر والاستطالة معصية.

(٢) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ

نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ ^(١) :

"وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا أخباراً من وضع بني إسرائيل، في عظمة خلق هؤلاء الجبارين، وأنه كان فيهم عوج بن عنق بنت آدم -عليه السلام-، وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعاً وثلث ذراع، تحرير الحساب! وهذا شيء يستحي من ذكره. ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله تعالى خلق آدم وطوله ستون ذراعاً، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن" ^(٢).

ثم قد ذكروا أن هذا الرجل كان كافراً، وأنه كان ولد زنية، وأنه امتنع من ركوب السفينة، وأن الطوفان لم يصل إلى ركبته، وهذا كذب وافتراء، فإن الله ذكر أن نوحاً دعا على أهل الأرض من الكافرين، فقال: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ^(٣) ، وقال تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَائِكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ^(٤) ، وقال تعالى: ﴿ قَالَ لَا

(١) سورة المائدة: ٢٢.

(٢) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، برقم (٣٣٢٦)، ومسلم في كتاب الجنة ونعيمها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، برقم (٢٨٤١)، كلاهما عن أبي هريرة مرفوعاً: " خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك من الملائكة، فاستمع ما يميونك، تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. فزادوه: ورحمة الله. فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن" هذا لفظ البخاري.

(٣) سورة نوح: ٢٦.

(٤) سورة الشعراء: ١١٩-١٢٠.

عَاصِمَ الْيَوْمِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴿١﴾ ، وإذا كان ابن نوح الكافر غرق، فكيف يبقى عوج بن عنق، وهو كافر وولد زنية؟! هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع. ثم في وجود رجل يقال له: "عوج بن عنق" نظر، والله أعلم" (٢).

فواضح أثر السياق القرآني في رد هذه الرواية الإسرائيلية من ابن كثير - رحمه الله - فقد أنكرها وكذبها بسبب مخالفتها لسياق عدة آيات قرآنية، واجتمع مع ذلك مخالفة حديث مرفوع صحيح متفق عليه، فزاد من ضعفها، وكشف زيفها.

(٣) نقل تكذيب عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - لرواية إسرائيلية تخالف سياق آية قرآنية، حيث يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٤) (٣) :

"وقد قال أبو جعفر بن جرير (٤): حدثنا جاء رجل إلى عبد الله - هو ابن مسعود - فقال: من أين جئت؟ قال: من الشام. قال: من لقيت؟ قال: لقيت كعبًا. قال: ما حدثك كعب؟ قال: حدثني أن السموات تدور على منكب ملك. قال: أفصدقته أم كذبتة؟ قال: ما صدقته ولا كذبتة. قال: لو ددت أنك افتديت من رحلتك إليه براحتك ورحلها، كذب كعب. إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾.

وهذا إسناد صحيح إلى كعب، وإلى ابن مسعود.

(١) سورة هود: جزء من الآية ٤٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/٧٦).

(٣) سورة فاطر: ٤١.

(٤) جامع البيان (١٩/٣٩١).

ثم رواه ابن جرير^(١)....، عن إبراهيم^(٢) قال: ذهب جُنْدَبُ البَجَلِي إلى كعب بالشام، فذكر نحوه^(٣).

فَكَذَّبَ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هذه الرواية الإسرائيلية، وأنكرها لمخالفتها سياق الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ﴾. وفي الرواية الثانية عن ابن مسعود من طريق إبراهيم رضي الله عنه وجه المخالفة فيقول: "كفى بها زوالاً أن تدور"، فيرى أنها لو دارت لكانت زالت من مكانها، وهذا منفي في سياق الآية.

(١) جامع البيان (٣٩٢/١٩).

(٢) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، أبو عمران الكوفي الفقيه، ثقة إلا أنه يرسل كثيراً، من الخامسة، مات سنة ست وتسعين، وهو ابن خمسين أو نحوها، أخرج له الجماعة، وإبراهيم لم يسمع من ابن مسعود ولا من جندب - رضي الله عنهما -.

تقريب التهذيب ص ١١٨، برقم (٢٧٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٥٥٨/٦).

الفصل الثالث

أثر السياق القرآني

على المعاني

في تفسير ابن كثير

المبحث الأول

أثر السياق القرآني في بيان المعنى في تفسير ابن كثير.

إن أهم وظيفة لدلالة السياق القرآني هي: بيان المعنى، بل إن جميع وظائف السياق داخلة

تحت لوائه، ويتبين أثر السياق القرآني في بيان المعنى من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: أثر السياق القرآني في بيان المعنى للآية الواحدة في تفسير ابن كثير.

المطلب الثاني: أثر السياق القرآني في بيان المعنى للآيات المتتابعة في تفسير ابن كثير.

المطلب الثالث: أثر السياق القرآني في بيان المخاطب أو الموصوف في الآيات في تفسير ابن

كثير.

المطلب الأول

أثر السياق القرآني في بيان المعنى للآية الواحدة في تفسير ابن كثير.

يعتمد ابن كثير - رحمه الله - على السياق القرآني في بيان المعنى لآيات القرآن الكريم، وقد يظفر على ما يبين معنى الآية من سياق الآية نفسها فلا يتوانى في الأخذ به. ويتبين ذلك في النماذج التطبيقية التالية:

(١) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ تَصْرِينٍ ۗ﴾^(١): "أي: من مات على الكفر فلن يقبل منه خير أبداً، ولو كان قد أنفق ملء الأرض ذهباً فيما يراه قربة، كما سئل النبي ﷺ عن عبد الله بن جدعان - وكان يُقري الضيف، ويفك العاني، ويُطعم الطعام - هل ينفعه ذلك؟ فقال: "لا، إنه لم يقل يوماً من الدهر: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين"^(٢)، وكذلك لو افتدى بملء الأرض أيضاً ذهباً ما قبل منه"^(٣).

وعلل ما ذهب إليه بتفسير الآية قائلاً: "قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ ۗ﴾ فعطف ﴿وَلَوْ افْتَدَى بِهِ ۗ﴾ على الأول، فدلَّ على أنه غيره، وما ذكرناه أحسن من أن يقال: إن الواو زائدة، والله أعلم.

(١) سورة آل عمران: ٩١.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، برقم (٢١٤)، عن عائشة بلفظ: قلت يا رسول الله! ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نفعه؟ قال: "لا يا عائشة، إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين"، ورواه أحمد في مسنده (١٢٠ / ٦) بلفظ: "يقري الضيف، ويفك العاني، ويصل الرحم، ويحسن الجوار - فأثنت عليه -، فهل ينفعه ذلك؟...".

(٣) تفسير القرآن العظيم (٧٢ / ٢).

ويقتضي ذلك ألا ينقذه من عذاب الله شيء، ولو كان قد أنفق مثل الأرض ذهباً، ولو افتدى نفسه من الله بملء الأرض ذهباً، بوزن جبالها وتلالها وتربابها ورمالها وسهلها ووعرها وبرها وبحرها"^(١).

فابن كثير - رحمه الله - يرى هذا المعنى من خلال سياق الآية، فالسياق غير بين قبول ملء الأرض ذهباً، وبين الافتداء بملء الأرض ذهباً بواو العطف التي تقتضي المغايرة، فتكون الحال الأولى في الدنيا؛ لأنها محل قبول الأعمال الصالحة، والحال الثانية في الآخرة؛ لأنها محل الرغبة بالافتداء من العذاب من الكفار.

ولم يرتض القول الثاني الذي يقول: إن الواو زائدة، فلا زائد في القرآن، وهذه الواو من حروف المعاني، وأمكن حملها على أحد معانيها المناسبة للسياق، فلا يقال بزيادتها.

وقد قال بالقول الذي ذهب إليه ابن كثير: الإمام الزجاج^(٢)، واستحسنه ابن عطية^(٣)

-رحم الله الجميع - .

(٢) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾^(٤):

"﴿لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ الفظ: الغليظ، والمراد به ههنا غليظ الكلام؛

لقوله بعد ذلك: ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ أي: لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا

عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم"^(٥).

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/٧٢).

(٢) معاني القرآن (١/٤٤١).

(٣) المحرر الوجيز (٢/٢٨٢).

(٤) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم (٢/١٤٨).

ف نجد أنه قَصَرَ دلالة كلمة "الفظ" على غلظ الكلام، رغم أن معناها الغليظ^(١)، فتشمل غلظ اللسان وغلظ القلب؛ لأنه أتى في لحاقها: غلظ القلب في قوله ﴿غَلِظَ الْقَلْبُ﴾، فقصر- دلالة "فظاً" على غلظ اللسان؛ لثلا يكون في الكلام تكرار لا فائدة منه، فينافي فصاحة القرآن.

(٣) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبِإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ. بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾^(٢).

"﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبِإٍ فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾^(٣) آيَةٌ﴾ ثم فسرها بقوله: ﴿جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾...^(٤).

ففسر - رحمه الله - الآية بأنها: الجنتان اللتان عن يمينهم وشمالهم، واستقى ذلك من سياق الآية، فقوله: ﴿جَنَّتَانِ﴾ مرفوعة وعلامة رفعها الألف؛ لأنها مشى، فتكون بذلك بدلاً عن قوله: ﴿آيَةٌ﴾ المرفوعة؛ لأنها اسم كان مؤخر، والبديل يكون موافقاً للمبدل منه^(٥).

وفي هذا يقول الطبري - رحمه الله - : "ورفعت الجنتان في قوله: ﴿جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ ترجمة^(٦) عن الآية؛ لأن معنى الكلام: لقد كان لسبأ في مسكنهم آية هي جنتان عن أيماهم وشمالهم^(٧)."

(١) ينظر لسان العرب مادة (فظظ).

(٢) سورة سبأ: ١٥.

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر ورواية لشعبة عن عاصم . ينظر النشر- لابن الجزري (٢/ ٢٦٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٥٠٧).

(٥) وقيل: في إعراب: "جنتان" خبر لمبتدأ محذوف تقديره هي ينظر إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٣٨)، والبيان في في غريب إعراب القرآن لأبي البركات ابن الأنباري (٢/ ٢٧٨).

(٦) الترجمة هي عند الكوفيين "عطف بيان" وعند البصريين "بديل" أفدته من حاشية محققي تفسير الطبري أحمد شاكر ومحمود شاكر - رحمهما الله -.

(٧) جامع البيان (١٩/ ٢٤٧)، وينظر تفسير البغوي (٣/ ٦٠٠).

وبهذه النماذج التطبيقية يتبين أثر السياق القرآني في بيان المعنى للآية الواحدة في تفسير ابن

كثير - رحمه الله -^(١).

(١) ينظر أمثلة أخرى في تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (١/١٣٥) الفاتحة: ٥، (١/٢١٦) البقرة: ٢٩، (١/٢١٨-٢١٩) البقرة: ٣٠، (١/٥٣٤) البقرة: ١٩٦، (١/٧١٣) البقرة: ٢٧٥، (٢/٥٥) آل عمران: ٦٤، (٢/١٩١) آل عمران: ١٩٥، (٢/٢٨٧) النساء: ٣٢، (٣/١٠٣) المائدة: ٣٥، (٣/٢٠٦) المائدة: ١٠١، (٣/٣٠٤) الأنعام: ٩٥، (٣/٤٧٧) الأعراف: ١٥٠، (٤/٤٦٢) الرعد: ٣١، (٤/٤٩٣) إبراهيم: ٢٤، (٤/٦١٥) النحل: ١٢٨، (٥/٤٣) الإسراء: ١، (٥/٢١٧) مريم: ١٣، (٥/٢٢٥) مريم: ٢٦، (٥/٤٦٥) المؤمنون: ١٢، (٦/٤٢٨) الأحزاب: ٤٠، (٧/٢٨٤) الأحقاف: ١٨، (٧/٤٠٣) ق: ٣٠.

المطلب الثاني

أثر السياق القرآني في بيان المعنى للآيات المتتابعة في تفسير ابن كثير.

كما أن السياق يدل على المعنى من نفس الآية كما تبين في المطلب السابق فكذلك يدل على المعنى من خلال تتابع الآيات.

ومن النماذج التطبيقية على هذا الأمر من تفسير ابن كثير - رحمه الله -:

(١) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾^(١):

"... ثم بينَّ تعالى من الصابرون الذين شكرهم، قال: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ أي: تسلَّوا بقولهم هذا عمَّا أصابهم، وعلموا أنَّهم مُلْكُ اللهِ، يتصرف في عبيده بما يشاء، وعلموا أنه لا يضيع لديه مثقال ذرَّة يوم القيامة، فأحدث لهم ذلك اعترافهم بأنهم عبيده، وأنهم إليه راجعون في الدار الآخرة"^(٢).

ففسَّر - رحمه الله - قوله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ﴾ بهذا اعتماداً على السياق القرآني؛ لأن اسم الموصول ﴿الَّذِينَ﴾ فسَّرَ معنى ﴿الصَّابِرِينَ﴾ الواردة قبله، وقد استظهر أبو حيان الأندلسي - كون ﴿الَّذِينَ﴾ منصوباً على النعت لقوله: ﴿الصَّابِرِينَ﴾^(٣).

(١) سورة البقرة: ١٥٥-١٥٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٧١-٤٧٢).

(٣) البحر المحيط (١/ ٦٢٤)، وينظر إعراب القرآن للعكبري (١/ ٧٠).

(٢) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) ﴿١﴾:

"... ولهذا قال مخبراً عن هؤلاء السعداء المتصفين بهذه الصفات الحسنة بأن لهم عقبى الدار، ثم فسّر - ذلك بقوله: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ والعَدْنُ: الإقامة، أي: جنات إقامة يخلدون فيها" (٢).

فقوله: ﴿جَنَّتٌ﴾ مرفوعة، وهي بدل من قوله: ﴿عُقْبَى﴾ (٣) فين - رحمه الله - المراد من قوله ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ اعتماداً على سياق الآيات.

وفي هذا يقول الطبري - رحمه الله -: يقول - تعالى ذكره - ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ ، ترجمة عن ﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾ كما يقال: "نعم الرجل عبد الله"، فعبد الله هو الرجل المقول له: "نعم الرجل"، وتأويل الكلام: أولئك لهم عقبى طاعتهم ربهم الدار التي هي جنات عدن (٤). وإلى هذا ذهب جمع من المفسرين: كالغوي (٥)، والزخشري (٦)، وابن عطية (٧)، والقرطبي (٨) - رحمهم الله - وغيرهم.

(١) سورة الرعد: ٢٠-٢٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٥١).

(٣) ينظر إعراب القرآن للعكبري (٢/٦٢).

(٤) جامع البيان (١٣/٥١٠).

(٥) معالم التنزيل (٢/٥٢٧).

(٦) الكشاف (٢/٢٨٦).

(٧) المحرر الوجيز (٥/٢٠٠).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (١٢/٥٩).

(٣) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجْرِيفٍ يُنَجِّيكُمْ مِّنْ عَذَابِ آليمٍ ﴿١٠﴾ تَوْمُنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾^(١):
 "﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجْرِيفٍ يُنَجِّيكُمْ مِّنْ عَذَابِ آليمٍ ﴿١٠﴾﴾ ثم فسر هذه التجارة العظيمة التي لا تبور، والتي هي محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور فقال: ﴿تَوْمُنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ أي: من تجارة الدنيا، والكد لها والتصدي لها وحدها"^(٢).

وهذا التفسير واضح من السياق؛ لأنه وقع جواباً للسؤال: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾.

ومن خلال هذه النماذج التطبيقية يتبين اعتماد ابن كثير - رحمه الله - على دلالة السياق القرآني في بيان معنى الآيات المتتابعة^(٣).

(١) سورة الصف: ١٠-١١.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٨/١١٢).

(٣) ينظر أمثلة أخرى في تفسير القرآن العظيم لابن كثير - رحمه الله -: (١/١٤١) الفاتحة: ٧، (٣/٤٥٩) الأعراف: ١٢٣، (٥/٤٢٤-٤٢٥) الحج: ٣٤، (٦/٢٧٩) العنكبوت: ٤٠، (٦/٥٥٩) فاطر: ٤٢، (٧/١٢) الصافات: ٤١، (٧/٧٧) ص: ٤٩، (٧/٧٨) ص: ٥٥، (٧/٢١٧) الشورى: ٥٢، (٧/٢٦٥) الجاثية: ٩، (٧/٤٦٠) النجم: ٣١، (٨/٢٢٦) المعارج: ١٩، (٨/٢٦٨) المدثر: ٢٧، (٨/٣١٦) النزعات: ٢٧، (٨/٣٤٥) الإنفطار: ١٨، (٨/٣٤٦) المطففين: ١، (٨/٣٥٠) المطففين: ١٠، (٨/٤٢١-٤٢٢) الليل: ١٥، (٨/٤٥٦) البينة: ١، (٨/٤٦٨) القارعة: ٣، (٨/٤٦٩) القارعة: ٩.

المطلب الثالث

أثر السياق القرآني في بيان المتكلم أو المخاطب أو الموصوف في الآيات

في تفسير ابن كثير.

للسياق القرآني بالغ الأثر في تحديد المتكلم، أو المخاطب في الآيات القرآنية، أو الموصوف فيها، وبالمثال يتضح المقال.

فمن أمثلة تطبيقات الإمام ابن كثير - رحمه الله - في هذا الباب ما يلي:

(١) قال - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتُنِّي يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٥١) (١):

"...قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتُنِّي يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ﴾ إخبار عن الملك حين جمع النسوة اللاتي قطعن أيديهن عند امرأة العزيز، فقال مخاطباً لهن كلهن - وهو يريد امرأة وزيره، وهو العزيز - : ﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ﴾ أي: شأنكن وخبركن ﴿إِذْ رَاوَدْتُنِّي يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ﴾ يعني: يوم الضيافة؟ ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ أي: قالت النسوة جواباً للملك: حاش لله أن يكون يوسف متهماً، والله ما علمنا عليه من سوء" (٢).

فيين - رحمه الله - أن المتكلم في هذا الخطاب: هو الملك، والمخاطب: هن النسوة،

والموصوف بقوله: ﴿قَالَ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ هو: يوسف عليه السلام، وكل هذا مستمد من سياق الآيات.

(١) سورة يوسف: ٥١.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٩٤).

فأما المتكلم والمخاطب: فسباق الآية يدل عليها، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ

بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بَأْسُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾^(١)، ثم جاءت هذه الآية: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۗ﴾، فقوله: ﴿قَالَ﴾ عائد على الملك (المتكلم)، وقوله: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ﴾ عائد على النسوة اللاتي قطعن أيديهن (المخاطبات)، وأما الموصوف: فمن سياق الآية، ومن سياق السورة، فأما سياق الآية: فقبل قوله: ﴿قُلْ حَسْبُ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوٓءٍ﴾ سألن الملك: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۗ﴾، فكان جوابهن: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوٓءٍ﴾ أي: ما علمنا على يوسف من سوء.

وأما سياق السورة؛ فلأنه كله في ذكر قصة يوسف عليه السلام.

(٢) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْتكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾^(٢):

"يقول تعالى مخاطباً لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ أي: هو حق

من الله، وهو يتضمن الحق في خبره وطلبه"^(٣).

وكون الرسول صلى الله عليه وسلم هو المخاطب بهذه الآية مما لا غبار عليه، فالرسول صلى الله عليه وسلم هو المنزل

عليه القرآن بالحق، وهو الحاكم بين الناس بما أراه الله، فلا أحد يشاركه في هذه الصفات

الواردة في سياق الآية، فيتعين خطابه بها.

(١) سورة يوسف: ٥٠.

(٢) سورة النساء: ١٠٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/٤٠٥).

(٣) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ (١٥) ﴿١﴾:

"...ثم قال مخاطباً لكفار قريش، والمراد سائر الناس: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ أي: بأعمالكم... " (٢).

وهذا القول مستمد من سياق الآيات، فالخطاب قبل هذه الآية عن كفار قريش: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْرُجْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (١٠) ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمُ قَلِيلًا﴾ (١١) ﴿٣﴾ ، ثم إن هذه السورة مكية، ففي العهد المكي كان الخطاب للمشركين، والمشركون في مكة هم: قريش، فهم الذين أرسل إليهم النبي ﷺ، وقول ابن كثير - رحمه الله - " والمراد سائر الناس؛ لأن بعثة النبي ﷺ لجميع الخلق وليست خاصة بقريش، ولكن كان الخطاب هنا لهم؛ لأن النبي ﷺ أمر أولاً بإنذار عشيرته الأقربين: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢١٤) ﴿٤﴾، ﴿لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (٥).

وبهذه النماذج التطبيقية يتبين أثر السياق القرآني في تحديد المتكلم والمخاطب والموصوف في الآيات القرآنية (٦).

(١) سورة المزمل: ١٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٨/٢٥٦).

(٣) سورة المزمل: ١٠-١١.

(٤) سورة الشعراء: ٢١٤.

(٥) سورة الشورى: جزء من الآية ٧.

(٦) ينظر نماذج أخرى في تفسير القرآن العظيم لابن كثير - رحمه الله -: (١/٢١٢) البقرة: ٢٦، (١/٣١٠)

البقرة: ٧٥، (١/٣١٧) البقرة: ٨٠، (١/٣٣٩) البقرة: ٩٦، (٢/٥٥) آل عمران: ٦٤، (٢/١٨٤)

آل عمران: ١٩١، (٣/٤٢٤) الأعراف: ٥١، (٤/٤٧٧) إبراهيم: ٢، (٥/٣٠٥) طه: ٧٤،

(٥/٣٤٧) الأنبياء: ٤٨، (٥/٤٦١) المؤمنون: ١، (٧/٣٩٩) ق: ١٩، (٧/٤٠١) ق: ٢٢،

(٧/٤٩١) الرحمن: ١٣.

المبحث الثاني

أثر السياق القرآني في بيان المراد من المشترك اللفظي

من المعلوم أن ألفاظ اللغة العربية واسعة الدلالة، فكثير منها مشتركة في الدلالة على أكثر من معنى، يقول سيبويه^(١) - رحمه الله -: "اعلم أن من كلامهم^(٢) اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين^(٣)، واختلاف اللفظين والمعنى واحد^(٤)، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين^(٥)"^(٦). ويتحدث الشافعي - رحمه الله - عن العرب فيقول: "وتسمي الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة، وتسمي بالاسم الواحد المعاني الكثيرة"^(٧).

(١) عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب، أبو بشر، وقيل: أبو الحسن، فارسي الأصل، نشأ في البصرة، معروف بسبويه، وتعني بالفارسية: رائحة التفاح، كان يطلب الآثار والفقهاء، فاستملى على حماد بن سلمة فلحن، فعابه حماد، فأنف من ذلك، فصحب الخليل ولازمه فبرع في النحو، وصنف "الكتاب" الذي أصبح عمدة في بابه، وتلقاه علماء العربية بالشرح والقبول، واختلف في سنة وفاته فقيل: سنة ١٨٠ هـ، وقيل ١٨٨ هـ، وقيل ١٩٤ هـ، وقيل غير ذلك .

تاريخ بغداد (١٢/ ١٩٥)، معجم الأدباء (٤/ ٤٩٩)، البلغة ص ١٦٣، بغية الوعاة (٢/ ٢٢٩).

(٢) أي العرب.

(٣) ويسمى المختص.

(٤) ويسمى المترادف.

(٥) وهو المشترك.

(٦) الكتاب (١/ ٢٤)، وهذا نص أبي العباس المبرد في كتابه " ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد" ص (٤٧). وينظر: المزهري للسيوطي (١/ ٣٦٩) وما بعدها، حيث أورد الخلاف في مسألة وقوع

المشترك في اللغة.

(٧) الرسالة ص ٥٢.

إذا فالمشترك اللفظي هو: اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين أو أكثر^(١).

ولأهمية هذا العلم فقد صنّف العلماء - رحمهم الله - في بيان الألفاظ المشتركة في القرآن الكريم قديماً وحديثاً، وهو ما يسمي بعلم "الوجوه والنظائر"^(٢).

وقد اعتمد كل من تناول بيان الألفاظ المشتركة في القرآن الكريم على السياق اعتماداً كلياً، لبيان المعنى المراد للفظ المشترك في كل موضع من بين معانيه المتعددة.

ومن أولئك الأئمة الإمام ابن كثير - رحمه الله - كما سيتضح ذلك في النماذج التطبيقية الآتية:

(١) قال في تفسير قول الله - عز وجل - ﴿وَلَيْنَ آخِرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لِيَقُولُوا

مَا يَحْسِبُونَ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾^(٣) :

(١) كما عرفه بذلك ابن الحاجب انظر: البحر المحيط للزركشي - (١٢٢/٢)، وقد اختلف الأصوليون في اشتراط الوضع لكل المعاني المتعددة. وذهب د. عبد الكريم النملة إلى أن الخلاف في هذه المسألة لفظي. انظر: الخلاف اللفظي عند الأصوليين ص ٢٣٠.

(٢) الوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان: كلفظ "الأمة"، والنظائر كالألفاظ المتواطئة. البرهان للزركشي (١٠٢/١)، ومن الكتب المؤلفة في هذا الفن:

- ١ - الوجوه والنظائر لمقاتل بن سليمان.
 - ٢ - الوجوه والنظائر لهارون بن موسى.
 - ٣ - تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه ليحيى بن سلام.
 - ٤ - ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد لأبي العباس المبرد.
 - ٥ - نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لأبي الفرج ابن الجوزي. وغيرهم.
- ينظر أنواع التصانيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم للدكتور مساعد الطيار ص ١١٩-١٢١

(٣) سورة هود: ٨.

" والأُمَّةُ تستعمل في القرآن والسنة في معان متعددة: فيراد بها الأمد، كقوله في هذه الآية: ﴿إِنَّ أُمَّةً مَّعْدُودَةً﴾ ، وقوله في يوسف^(١) : ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ ، وتستعمل في الإمام المقتدى به، كقوله : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢) ، وتستعمل في الملة والدين، كقوله إخباراً عن المشركين أنهم قالوا : ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾^(٣) ، وتستعمل في الجماعة، كقوله : ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾^(٤) ، وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(٥) ، وقال تعالى : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٦) ، والمراد من الأمة هاهنا الذين يبعث فيهم الرسول مؤمنهم وكافرهم كما جاء في صحيح مسلم^(٧) : " والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار " ... وتستعمل الأمة في الفرقة والطائفة، كقوله تعالى : ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٍ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ﴾^(٨) ،

(١) الآية ٤٥ .

(٢) سورة النحل: ١٢٠ .

(٣) سورة الزخرف: جزء من الآية ٢٣ .

(٤) سورة القصص: جزء من الآية ٢٣ .

(٥) سورة النحل: جزء من الآية ٣٦ .

(٦) سورة يونس: ٤٧ .

(٧) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد إلى جميع الناس، ونسخ ونسخ الملل بملته، برقم (١٥٣) .

(٨) سورة الأعراف: ١٥٩ .

وقال تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ

يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾^(١) ﴿٢﴾.

فقد ذكّر - رحمه الله - أن لفظ "أمة" يستعمل على عدة معان^(٣)، فهو من الألفاظ المشتركة، وذكّر وروده في القرآن، وحدّد دلالة اللفظ في كل موضع مقتنصاً ذلك من السياق، وقد قال - رحمه الله - في موضع آخر من تفسيره: "ولفظ "الأمة" وما أشبهها من الألفاظ المشتركة في الاصطلاح، إنما دلّ في القرآن في كل موطن على معنى واحد دلّ عليه سياق الكلام"^(٤).

(٢) قال - رحمه الله - في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ﴿١٧﴾﴾^(٥):

"وعندي أن المراد بقوله: ﴿إِذَا عَسَسَ﴾ إذا أقبل، وإن كان يصح استعماله في الإدبار، لكن الإقبال ههنا أنسب، كأنه أقسم تعالى بالليل وظلامه إذا أقبل، وبالفجر وضيائه إذا أشرق، كما قال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴿٢﴾﴾^(٦)، وقال: ﴿وَالضُّحَى ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى سَجَى ﴿٢﴾﴾^(٧)، وقال: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾^(٨)، وغير ذلك من الآيات.

(١) سورة آل عمران: ١١٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/٣٠٨-٣٠٩).

(٣) وإن كان بين الرابع والخامس مما ذكره تداخل.

(٤) تفسير القرآن العظيم (١/١٥٩).

(٥) سورة التكوير: ١٧.

(٦) سورة الليل: ١ - ٢.

(٧) سورة الضحى: ١ - ٢.

(٨) سورة الأنعام: جزء من الآية ٩٦.

وقال كثير من علماء الأصول: إن لفظة "عسّس" تستعمل في الإقبال والإدبار على وجه الاشتراك، فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما - والله أعلم -^(١).

فهو ذكر أن لفظ "عسّس" تطلق على الإقبال والإدبار، ورجّح الإقبال بسبب السياق، لمناسبة المقابلة بين الليل والنهار، فكأنه أقسم بالليل وظلامه إذا أقبل، وبالفجر وضيائه إذا أشرق كما قال - رحمه الله -، ثم ذكر أنه يصح أن يراد المعنيين على قول من يقول من أهل الأصول إن لفظ "عسّس" تستعمل في الإقبال والإدبار على وجه الاشتراك.

(٣) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾^(٢):

"... التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان:

أحدهما: التأويل بمعنى حقيقة الشيء، وما يؤول أمره إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبْوِيَهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِئْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْتُ رُبِّي حَقًّا﴾^(٣)، وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾^(٤) أي حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد

....

(١) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٣٣٨).

(٢) سورة آل عمران: ٧.

(٣) سورة يوسف: ١٠٠.

(٤) سورة الأعراف: ٥٣.

المعنى الآخر: وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء، كقوله تعالى: ﴿نَدْبْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾^(١) أي بتفسيره^(٢).

فبيّن - رحمه الله - أن للتأويل في القرآن معنيان، يتحدد المراد منها في كل موضع بحسب سياقه.

وبهذه الأمثلة يتبيّن أثر السياق القرآني في بيان المراد من المشترك اللفظي^(٣).

(١) سورة يوسف: ٣٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ١١-١٢).

(٣) ينظر: أمثلة أخرى في تفسير القرآن العظيم لابن كثير - رحمه الله - (١/ ١٦٥) البقرة: ٢، (١/ ٤٠٩)

البقرة: ١٢٤.

المبحث الثالث

أثر السياق القرآني في تضمين المعاني

التضمين في لغة العرب هو: إعطاء الشيء معنى الشيء، ويكون في الأسماء والأفعال والحروف.

فتضمين الأسماء هو إعطاء الاسم معنى اسم آخر لإفادة معنى اسمين معاً، مثاله قول الله -عز وجل-: ﴿حَقِيقٌ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾^(١)، فقد ضمن: "حقيق" معنى: "حريص" ليفيد أنه محقوق بقول الحق، وحريص عليه.

وتضمين الفعل هو إعطاء الفعل معنى فعل آخر؛ لإفادة معنى الفعلين معاً. وذلك بأن يأتي الفعل متعدياً بحرف ليس من عادته التعدي به، فيضمن بفعل مناسب من عادته تعديته بذلك الحرف.

وتضمين الحرف: هو إعطاء الحرف معنى حرف آخر، وذلك بأن يأتي الفعل متعدياً بحرف ليس من عادته التعدي به، فيضمن الحرف حرفاً مناسباً يتعدى به الفعل عادة.

واختلف أهل العلم في النوعين الأخيرين أيهما أولى:

فذهب أهل اللغة وبعض النحاة إلى تضمين الحرف، وذهب المحققون إلى تضمين الفعل؛ معللين ذلك بأن الأفعال أكثر^(١).

(١) سورة الأعراف: ١٠٥.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : " والعرب تُضَمُّنُ الفعل معنى الفعل، وتعديه تعديته، ومن هنا غلط من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض، كما يقولون في قوله: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمِكَ إِلَى نَعَايِهِ﴾^(١) أي: مع نعاجه، و﴿مَنْ أَنْصَارِيَّ إِلَى اللَّهِ﴾^(٢) أي: مع الله، ونحو ذلك، والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمين، فسؤال النعجة يتضمن جمعها وضمها إلى نعاجه، وكذلك قوله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوْحِيََنَا إِلَيْكَ﴾^(٤) ضمن معنى يزيغونك ويصدونك، وكذلك قوله: ﴿وَنَصَرْتَهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾^(٥) ضمن معنى نجيناه وخلصناه، وكذلك قوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾^(٦) ضمن يروى بها، ونظائره كثيرة"^(٧).

وهذا ما يُطَبِّقُه ابن كثير - رحمه الله - كما سيأتي في النماذج التطبيقية له في هذا الباب، وباب التضمين قائم على دلالة السياق، فلا يقال به إلا إذا نُظِرَ للسياق ووجد أن الفعل لا يتعدى عادة بالحرف المتعدى به، فيضمن الفعل معنى فعل آخر مناسب للسياق. ومن نماذج تطبيقات الإمام ابن كثير - رحمه الله - في هذا الباب ما يلي:

(١) ما سبق مستمد من كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي - رحمه الله - (٣/٣٣٨)، وانظر: الإتيان

للسيوطي (٣/١٢٣).

(٢) سورة ص: جزء من الآية ٢٤.

(٣) سورة الصف: جزء من الآية ١٤.

(٤) سورة الإسراء: جزء من الآية ٧٣.

(٥) سورة الأنبياء: جزء من الآية ٧٧.

(٦) سورة الإنسان: جزء من الآية ٦.

(٧) مجموع الفتاوى (١٣/٣٤٢).

(١) قال عند تفسيره لقول الله - عز وجل - ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا

إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾^(١) :

"﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ﴾ يعني: إذا انصرفوا وذهبوا وخلصوا إلى شياطينهم، فَصَمَّنَ "خلوا" معنى: انصرفوا؛ لتعديته بـ "إلى" ليدل على الفعل المضمر والفعل الملفوظ به، ومنهم من قال "إلى" هنا بمعنى مع، والأول أحسن، وعليه يدور كلام ابن جرير^(٢).

فابن كثير - رحمه الله - خلص إلى نتيجة التضمين من خلال السياق؛ لأنه وجد الفعل "خلوا" عُدِّيَّ بـ "إلى" وليس من عادته ذلك، بل من عادته التعديّة بـ "مع" أو "الباء"، ولذلك حكم بتضمينه معنى: "انصرفوا" لمناسبته للسياق أيضاً، فهو مناسب للحرف المعدى به "إلى" من جهة، ومناسب للفعل "خلوا" من جهة أخرى، ليدل بذلك على كلا المعنيين، الانصراف إليهم، والخلوة معهم.

ثم ذكر - رحمه الله - القول الثاني: وهو تضمين الحروف، فيضمن "إلى" هنا حرف "مع" ورجح القول الأول، وهو تضمين الأفعال، ونقل ترجيح ابن جرير - رحمه الله - له. قلت: وقد ذهب إلى هذا ابن عطية^(٣) والشوكاني^(٤) - رحمهما الله -.

(١) سورة البقرة: ١٤ .

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/١٨٤). وينظر كلام ابن جرير - رحمه الله - في جامع البيان (١/٣١٠-٣١١). (٣١١).

(٣) المحرر الوجيز (١/١٢٧).

(٤) فتح القدير (١/١٢٦)، والشوكاني هو القاضي محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني، ولد سنة ١١٧٣هـ في هجرة شوكان من بلاد خولان باليمن، ونشأ بصنعاء، وهو مفسر - أصولي فقيه مجتهد، ولي قضاء صنعاء، مكث من التصنيف، له ما يقارب ١١٤ مؤلفاً، منها: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، والتحف بمذهب السلف في العقيدة، والدرر البهية

(٢) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَاقِمِ يُظَلِّمِ نَفْسَهُ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (٢٥) ﴿١﴾ :

" وقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَاقِمِ يُظَلِّمِ نَفْسَهُ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ قال بعض المفسرين من أهل العربية: الباء ههنا زائدة، كقوله: ﴿تَنَبَّتْ بِالذَّهْنِ﴾ (٢) أي: تنبت الدهن، وكذا قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَاقِمِ﴾ تقديره إلحاداً، وكما قال الأعشى (٣):

ضَمِنْتَ بِرِزْقِ عِيَالِنَا أَرْمَاحُنَا بين المراجِلِ والصريحِ الأجرِدِ (٤).
وقال الآخر (٥):

بِوَادِ يَمَانٍ يُنَبِّتُ الشَّثَّ صَدْرُهُ وأسفلُهُ بِالْمَرْخِ والشَّبْهَانِ.

في المسائل الفقهية، وشرحه الروض الندية، ونيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار، وغيرها. توفي سنة ١٢٥٠ هـ.

الأعلام (٦/ ٢٩٨)، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة لمجموعة من الباحثين من إصدارات مجلة الحكمة (٣/ ٢٢٨٩).

(١) سورة الحج: ٢٥.

(٢) سورة المؤمنون: ٢٠.

(٣) هذا البيت ذكره ابن جرير في تفسيره جامع البيان (١٦/ ٥٠٥)، ونسبه للأعشى، ولكن وجدت في ديوان الأعشى المطبوع ص ٨٧، هذا البيت:

ضَمِنْتَ لَنَا أَعْجَازُهُنَّ قَدُورَنَا وضروعهن لنا الصريح الأجردا.

وليس فيه شاهد على ما ذكره ابن كثير، ولم أجد في ديوان الأعشى المطبوع قافية مكسورة الدال.

(٤) الصريح الأجرد: هو اللبن الصافي الذي لا رغوّة فيه. انظر لسان العرب مادة (ج ر د).

(٥) هذا البيت للأحول الشكري، واسمه يعلى. ينظر لسان العرب مادة (ش ب ه).

والأجود أنه ضمن الفعل ههنا معنى "يهم" ولهذا عدّاه بالباء فقال: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ أي يهم فيه بأمر فطبع من المعاصي الكبار^(١).
ولا مزيد على توضيحه - رحمه الله - فضمّن الفعل فعلاً آخر مناسباً للسياق، ورجّحه على من قول من قال بالزيادة، فلا يوجد حرف في القرآن إلا وله معنى، ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٢).

(٣) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقول الله - عز وجل -: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾^(٣):

"﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي: هذا الذي مزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله، صرفاً بلا مزج، ويروون بها؛ ولهذا ضمن ﴿يَشْرَبُ﴾ معنى يروى، حتى عدّاه بالباء، ونصب ﴿عَيْنًا﴾ على التمييز^(٤).
ف"يشرب" عادة تُعدّى بـ"من"، ولا تُعدّى بـ"الباء"، ولذلك ضمّن الفعل بفعل مناسب، وهو "يروى".

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "قال تعالى: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ ولم يقل: "يشرب منها"؛ لأنه ضمّن قوله: "يشرب" معنى: يروى، فإن الشارب قد يشرب ولا يروى، فإذا قيل: يشربون منها لم يدل على الري، فإذا قيل: يشربون بها كان المعنى يروون بها"^(٥).

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٤١٠-٤١١).

(٢) سورة فصلت: جزء من الآية ٤٢.

(٣) سورة الإنسان: ٥ - ٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٢٨٧).

(٥) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٩٥.

وقال في موضع آخر: "وإذا ضمّن معنى الرّي فقيل: "يشرب بها" كان دليلاً على الشرب الذي يحصل به الرّي، وهذا شرب خاص دلّ عليه لفظ الباء"^{(١)(٢)}.

المبحث الرابع

أثر السياق القرآني في تحديد المعنى المراد من حروف المعاني

إن الكلام العربي ينقسم إلى:

١. اسم.

٢. فعل.

٣. حرف جاء لمعنى.

وهذه الحروف هي التي تربط بين أجزاء الجملة، وتدل على معان كثيرة، ولكن يتحدد كل معنى من معانيها من خلال السياق الواردة فيه، "فلا بيئة لحروف المعاني خارج السياق، فهي ذات افتقار متأصل إليه"^(٣).

يقول الحسن المرادي^(١) - رحمه الله - : " دلالة الحرف على معناه الإفرادي متوقفة على ذكر متعلقة، بخلاف الاسم والفعل، فإن دلالة كل منهما على معناه الإفرادي غير متوقفة

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/٤٧٤).

(٢) ينظر أمثلة أخرى في تفسير القرآن العظيم لابن كثير - رحمه الله -: (١٣٨/١) (الفاحة: ٦)، (١٨٤/١)

(البقرة: ١٤)، (٢١٥-٢١٦) (البقرة: ٢٩)، (٣٥٤/١) (البقرة: ١٠٢)، (٤٢٣/١)

(البقرة: ١٢٥)، (٣٧١/٢) (النساء: ٩١)، (٢٢٣/٣) (المائدة: ١١٠)، (٤٢٩/٣) (الأعراف: ٥٦)،

(٤٧٨/٣) (الأعراف: ١٥٤)، (٤١١/٤) (يوسف: ٩٩)، (٥٧١/٥) (المؤمنون: ٢٠)، (٢١٠/٦)

(النمل: ٧٢)، (١٩٠/٨) (القلم: ٦٥)، (٢٢٠/٨) (المعارج: ١)، (٤٦١/٨) (الزلزلة: ٥).

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان ص ١٢٧ بتصرف.

على ذكر متعلق، ألا ترى أنك إذا قلت الغلام فهم منه التعريف، ولو قلت "أل" مفردة لم يفهم منه معنى، فإذا قرن بالاسم أفاد التعريف، وكذلك باء الجر فإنها لا تدل على الإلصاق، حتى تضاف إلى الاسم الذي بعدها، لا إنه يتحصل منها مفردة، وكذلك القول في سائر الحروف" (٢).

وقال الزركشي - رحمه الله - مُبَيِّنًا دور السياق في تحديد معاني الحروف بعد أن ذكر أن حرف "كيف" للاستفهام عن حال الشيء لا عن ذاته: "هذا أصلها في الوضع، لكن قد تعرض لها معان تفهم من سياق الكلام، أو من قرينة الحال، مثل: معنى التنبيه والاعتبار وغيرهما" (٣).

ومن أمثلة تغاير معنى الحرف بتغير السياق:

"متى تدرس تنجح"،

"متى تدرس لكي تنجح؟".

=

(١) بدر الدين أبو محمد الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المولد، الأسفي المغربي المالكي، يعرف بابن أم قاسم، وهي جدته أم أبيه، واسمها زهراء، وكانت أول ما جاءت من المغرب عُرفت بالشيخة، فكانت شهرته تابعة لشهرتها، وهو مقررئ فقيه نحوي لغوي بارع، صنف وتفنن وأجاد، له: تفسير للقرآن في عشر مجلدات، وإعراب القرآن، وشرح الشاطبية، وشرح التسهيل، والجنى الداني في حروف المعاني، وغيرها. توفي سنة ٧٤٩ هـ.

غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١/٢٢٧)، الدرر الكامنة (٢/١٣٨)، بغية الوعاة (١/٥١٧)، طبقات المفسرين للداودي (١/١٤٢).

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني ص ٢٢.

(٣) البرهان (٤/٣٣٠).

فبالرغم من التباين البسيط جداً في السياق، وذلك بزيادة لكي في الجملة الثانية إلا أن المعنى تغير تماماً في "متى"، "ف" متى " الأولى شرطية، ولما تغير السياق في الجملة الثانية أصبحت استفهامية " حرف استفهام".

فمعاني الحروف مرتبطة بالسياق كارتباط الرأس بالجسد، والقرآن الكريم مليء بحروف المعاني، ولذلك اهتم المفسرون بهذا العلم، وفَصَّلُوا في المعاني المختلفة لكل حرف منها بحسب استعماله السياقي، حتى عُدَّ هذا العلم من فروع التفسير^(١).
ولأهميته في باب التفسير فقد ذكر الإمام الزركشي والسيوطي - رحمهما الله - احتياج المفسر له^(٢).

ويقول الإمام السيوطي - رحمه الله -: " اعلم أن معرفة ذلك^(٣) من المهمات المطلوبة لاختلاف مواقعها، ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها"^(٤).
وقد استعان الإمام ابن كثير - رحمه الله - بالسياق القرآني في تحديد معاني الحروف في مواضع ورودها، ومن النماذج التطبيقية في تفسيره على هذا الأمر:

(١) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة (٢/ ١٧٢٩)، وقد ألفت مؤلفات خاصة في بيان معاني الحروف، من أهمها:

١. معاني الحروف لأبي الحسن الرماني (ت: ٣٨٤ هـ).
 ٢. الجنى الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المرادي (ت: ٧٤٩ هـ).
 ٣. مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١ هـ)، وهو عمدة من أتى بعده.
- (٢) ينظر البرهان في علوم القرآن (٤/ ١٧٥)، والإتقان في علوم القرآن (٢/ ١٤٠).
- (٣) أي: الأدوات ويعني بها: الحروف وما شاكلها من الأسماء والأفعال والظروف كما قال. ينظر: الإتقان (٢/ ١٤٠).
- (٤) الإتقان في علوم القرآن (٢/ ١٤٠).

(١) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخِذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١):
 "... ﴿قُلْ أَتَّخِذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ أي: بذلك؟ فإن كان قد وقع عهد فهو لا يُخْلَفُ عهده. ولكن هذا ما جرى ولا كان. ولهذا أتى بـ"أم" التي بمعنى: بل، أي: بل تقولون على الله ما لا تعلمون من الكذب والافتراء عليه"^(٢).

فذهب ابن كثير - رحمه الله - إلى أن "أم" هنا في هذا السياق منقطعة، فهي بمعنى "بل"، وَعَلَّلَ ذلك بعدم وقوع المسؤول عنه أولاً: ﴿أَتَّخِذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾، ولذلك كان الجواب: "بل تقولون على الله ما لا تعلمون"، ولعله يرى أن الاستفهام إنكاري، والاستفهام الإنكاري لا معادل له، فذهب إلى انقطاع "أم" فتكون بمعنى "بل".
 وقد اختار هذا الوجه للحرف "أم" من بين معانيه بمعونة السياق، فـ"أم" تأتي على أربعة أوجه:

١. الاتصال: وتكون بعد همزة الطلب، وهمزة التسوية.
 ٢. الانقطاع: وتكون بعد الخبر المحض، والاستفهام بغير الهمزة، والهمزة التي لغير الاستفهام.
 ٣. أن تكون زائدة.
 ٤. التعريف عند بعض القبائل.
- ذكر هذا ابن هشام - رحمه الله - في مغني اللبيب^(٣).
 وقد ذكر الزمخشري في تفسيره احتمالها للاتصال والانقطاع، فقال:

(١) سورة البقرة: ٨٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/٣١٧).

(٣) (١/٢٦٥-٣٠٩).

"أم" إما أن تكون معادلة بمعنى أي الأمرين كائن على سبيل التقرير، لأن العلم واقع بكون أحدهما، ويجوز أن تكون منقطعة^(١).

ولكن إذا قيل: يشترط في كونها متصلة أن تقع بعد الهمزة التي لغير الاستفهام فإنها حينئذ تكون منقطعة كما قاله ابن كثير- رحمه الله -، وإن لم يُقل بهذا الشرط فتحتمل الأمرين، ولذلك لما ذكر ابن هشام- رحمه الله - هذا الاحتمال، ونقل كلام صاحب الكشاف تُعقَّب^(٢) بأن تسليمه للزخشي إجازة كون "أم" في الآية متصلة: اعتراف بأنه لا يلزم في الاستفهام بالهمزة السابقة عليها أن يكون حقيقياً، وهذا مخالف لما قرره ابن هشام فيما مضى^(٣).

وما يهمننا هنا هو أن اختيار ابن كثير- رحمه الله - لمعنى "أم" في هذه الآية كان من منظور سياقي، وأن للسياق القرآني أثر في تحديد معاني الحروف.

(٢) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا

سَتَعْجَلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغٌ فُهِلَّ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ
الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾^(٤):

" وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال، وأشهرها أنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وخاتم الأنبياء كلهم محمد ﷺ، قد نص الله على أسمائهم من بين الأنبياء في آيتين من سُورَتِي "الأحزاب"^(٥) و "الشورى"^(١)، وقد يحتمل أن يكون المراد بأولي العزم: جميع الرُّسُلِ، وتكون ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ لبيان الجنس، والله أعلم^(٢).

(١) الكشاف (١/٧٨).

(٢) المتعقب هو الدماميني - رحمه الله -.

(٣) أفدت هذا من شرح وتحقيق شيخي د. عبد اللطيف الخطيب لمغني اللبيب. (١/٣٠٠).

(٤) سورة الأحقاف: ٣٥.

(٥) يريد قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ

فمعنى كلامه - رحمه الله - أنه إن كان المراد بقوله: ﴿أُولُوا الْعَزْوِ﴾ الرسل الخمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ فإن "من" تكون تبعيضية، وإن كان المراد جميع الرسل فحينئذ تكون "من" لبيان الجنس، فبحسب المراد من السياق يتحدد المراد من الحرف، وهذا السياق بمعنييه لا يحتمل إلا هذين المعنيين لـ: "من" على ما سبق بيانه، وإن كان لـ: "من" خمسة عشر وجهاً ذكرها ابن هشام - رحمه الله - في مغني اللبيب^(٣).

وبنحو الذي قاله ابن كثير - رحمه الله - قاله الزمخشري - رحمه الله - في كشافه^(٤)، وأبو حيان في بحره^(٥).

والشاهد أنه من خلال السياق القرآني يتحدد المعنى المراد من الحروف.

(٣) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى عن أهل النار: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٦):

مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾

(١) يريد قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾^(١٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٧/٣٠٥).

(٣) (٤/١٣٦) وما بعدها.

(٤) (٣/٤٥١).

(٥) (٨/٦٨).

(٦) سورة السجدة: ١٤.

"﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: يقال لأهل النار على سبيل التقرير والتوبيخ: ذوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به، واستبعادكم وقوعه، وتناسيكم له؛ إذ عاملتموه معاملة من هو ناس له، ...

وقوله: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٤) أي: بسبب كفركم وتكذيبكم" (١).

فاختار - رحمه الله - من معاني حرف "الباء": السببية في الموضوعين، رغم أن لها ثلاثة عشر معنى آخر، ذكرها ابن هشام في مغني اللبيب (٢)، وذلك لمناسبة هذا المعنى للسياق القرآني الواردة فيه.

وقد ذهب إلى هذا القول كل من: أبو حيان الأندلسي (٣) والآلوسي (٤)

والشوكاني (٥) والطاهر بن عاشور (٦) وغيرهم.

وبهذا يتبين ما للسياق القرآني من أثر في تحديد المراد من حروف المعاني (١).

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/٣٦٢).

(٢) (١١٧/٢).

(٣) البحر المحيط (٧/١٩٧).

(٤) روح المعاني (٢١/١٢٩-١٣٠)، والآلوسي هو: شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسيني

الآلوسي، نسبة إلى آلوس جزيرة وسط نهر الفرات، ولد في بغداد سنة ١٢١٧هـ، وهو مفسر- محدث

أديب، ومن مصنفاته: تفسيره المسمى: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، وفيه تأويل

للصفات وشيء من التفسيرات الإشارية الصوفية، وله الفوائد السننية في علم آداب البحث، وحاشية

على شرح قطر الندى في النحو، وغيرها. توفي سنة ١٢٧٠هـ.

الأعلام (٧/١٧٦)

(٥) فتح القدير (٤/٢٣٢-٢٣٣).

(٦) التحرير والتنوير (٢١/١٥٨-١٥٩).

المبحث الخامس

أثر السياق القرآني في تحديد مرجع الضمير

إن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، يقول الله - عز وجل - ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾^(٢)، ومن عادة العرب في كلامهم: الاختصار، والاستغناء بالضمير عن تكرار الكلام، وإذا كان الضمير للغائب: فلا بد من تقديم مفسر له في السياق؛ لأنه كما قال أبو

=

(١) ينظر مواضع أخرى في تفسير القرآن العظيم لابن كثير - رحمه الله -: (١/٣٨٥) البقرة: ١٠٨، (١/٥٦١-٥٦٢) البقرة: ٢٠٠، (٢/٣٢٣) النساء: ٤٦، (٢/٤٨٠) النساء: ١٧١، (٣/٣٦٨) الأنعام: ١٥٤، (٣/٤١٦) الأعراف: ٤٣، (٣/٤٥٢) الأعراف: ١٠١، (٤/٢٤٩-٢٥٠) يونس: ٩، (٤/٥٧٧) النحل: ٥٥، (٤/٦٠٩) النحل: ١١٦، (٥/٩٧) الإسراء: ٦٩، (٥/٣٣٥) الأنبياء: ١١، (٥/٣٩٩) الحج: ٩، (٥/٤١٩) الحج: ٣٠، (٦/٢٢٢) القصص: ٨، (٦/٢٥١) القصص: ٦٨، (٦/٢٩٥) العنكبوت: ٦٦، (٧/٢٦) الصافات: ٩٦، (٧/٢٣٩) الزخرف: ٧٢، (٧/٢٥٠) الدخان: ١٣، (٧/٤٠٠) ق: ١٩، (٨/٣٢٢) عبس: ١٧، (٨/٤١١) الشمس: ٥، (٨/٥٠٧) الكافرون: ٥.

(٢) سورة يوسف: ٢.

حيان - رحمه الله :- "ضمير المتكلم وضمير المخاطب تفسرهما المشاهدة، وأما ضمير الغائب فعَارٍ عن المشاهدة، فاحتيج إلى ما يفسره"^(١).

وقد ذكر السيوطي - رحمه الله - الضمائر ومرجعها وما يتعلق بها ضمن القواعد المهمة التي يحتاج المفسر إلى معرفتها^(٢)، ولمرجع الضمير أحوال تراجع في مظانها^(٣). وما يهمننا هنا هو إبراز دور السياق في تحديد مرجع "مفسر" الضمير، ويتجلى ذلك من خلال تطبيقات العلماء في هذا الباب، ومن نماذج تطبيقات الإمام ابن كثير - رحمه الله - في هذا الباب:

(١) قال عند تفسير قول الله - عز وجل - ﴿وَشَرَّوْهُ بِشْمَنِ بَخِيسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾^(٤):

" قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك: إن الضمير في قوله: ﴿وَشَرَّوْهُ﴾ عائد على إخوة يوسف.

وقال قتادة: بل هو عائد على السيارة.

والأول أقوى؛ لأن قوله: ﴿وَشَرَّوْهُ﴾ عائد على إخوته، لا أولئك السيارة؛ لأن السيارة استبشروا به وأسروه بضاعة، ولو كانوا فيه زاهدين لما اشتروه، فيرجح من هذا أن الضمير في: ﴿وَشَرَّوْهُ﴾ إنما هو لإخوته"^(٥).

(١) التذيل والتكميل في شرح كتاب التسهيل (٢/ ٢٥٢)، وذكره السيوطي نفسه في همع الهوامع (١/ ٢٦٣) دون عزو لقائله.

(٢) الإتيان (٢/ ٢٨١)، وينظر البرهان (٤/ ٢٤).

(٣) انظر: البرهان (٤/ ٢٣)، الإتيان (٢/ ٢٨١).

(٤) سورة يوسف: ٢٠.

(٥) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٧٧).

رَجَّحَ ابن كثير - رحمه الله - مرجع الضمير لإخوة يوسف من خلال السياق، فاستدل بلحاق الآية على ذلك، فقوله: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ يدل على أن الضمير عائد على إخوة يوسف؛ لأن السيارة استبشروا به، وأخفى الواردون أمره، وأدَّعوا أنهم تَبَضَّعُوهُ أَي: اشتروه؛ لئلا يشركهم فيه بقية السيارة، قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً﴾^(١)، وهذا يدل على عدم زهدهم فيه، فترجَّح أن المراد بقوله: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾^(٢) أي: إخوة يوسف باعوه بثمن بخس دراهم معدودة، وكانوا فيه من الزاهدين. فكلمة اشترى من الأضداد وتعني: البيع وكذا الشراء^(٣).

هذا منظور ابن كثير - رحمه الله - لهذا السياق، ورجَّح ما ذهب إليه من خلاله.

وقد ذهب إلى هذا المذهب ابن جرير الطبري^(٣) - رحمه الله - وغيره.

(٢) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرْتِ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٤):

وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾: تقدم تفسير ابن إسحاق^(٥): أن المراد من ذلك: ما بُعث به به عيسى عليه السلام من: إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وغير ذلك من الأسقام. وفي هذا

(١) سورة يوسف: جزء من الآية ١٩.

(٢) ينظر: الأضداد للأنباري ص ٧٢.

(٣) جامع البيان (١٣/٥٩-٦٠).

(٤) سورة الزخرف: ٦١.

(٥) هو محمد بن إسحاق بن يسار القرشي المطلبي مولا هم المدني، أبو بكر، وقيل: أبو عبد الله، صاحب السيرة النبوية، إمام حافظ في المغازي والسير، ولد سنة ٨٠هـ، وهو أول من دون العلم بالمدينة، واختلف فيه علماء الجرح والتعديل في الحديث مع اتفاقهم على سعة علمه واطلاعه، قال الذهبي: "وكان في العلم بحراً عجاجاً، ولكنه ليس بالموجود كما ينبغي". أ.هـ.، توفي في بغداد سنة ١٥١هـ.

نظر. وأبعد منه: ما حكاه قتادة، عن الحسن البصري وسعيد بن جبير: أي الضمير في ﴿وَإِنَّهُ﴾
 ﴿عائد على القرآن، بل الصحيح: أنه عائد على عيسى ﷺ، فإن السياق في ذكره، ثم المراد
 بذلك نزوله قبل يوم القيامة" (١).

ف نجد أنه - رحمه الله - رجح ما ذهب إليه من خلال دلالة السياق، وقد أجاد في ذلك -
 رحمه الله -، فالسياق كله في الحديث عنه: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ
 يَصُدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَأَلْهَيْتَنَا خَيْرًا أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ
 هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ
 يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾﴾ (٢)، ثم يكمل السياق الحديث عنه: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمَتَّرْتِ بِهَا﴾

ثم يأتي اللحاق أيضاً مكماً الحديث عنه، ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ
 بِالْحِكْمَةِ وَبِالْبَيِّنَاتِ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
 هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْيَوْمِ
 ﴿٦٥﴾﴾ (٣).

وقد سبق في فصل القواعد: أن الأصل توحيد مرجع الضمائر؛ لثلاثا يتنافر النظم ويتشتت.
 وأما المعجزات أو القرآن فلم يجز لهما ذكر في هذا المقطع.

الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٢١ / ٧)، تاريخ بغداد (٢١٤ / ١)، معجم الأدباء (٢١٩ / ٥)، سير

أعلام النبلاء (٣٣ / ٧)

(١) تفسير القرآن العظيم (٢٣٦ / ٧).

(٢) سورة الزخرف: ٥٧-٦٠.

(٣) سورة الزخرف: ٦٣-٦٥.

وقد دَلَّلَ ابن كثير - رحمه الله - لكلامه بأدلة أخرى تؤيد صحة استدلاله بالسياق القرآني^(١).

وقد رجَّح ما ذهب إليه ابن كثير كل من: السمعاني^(٢)، والزمخشري^(٣)، والبيضاوي^(٤)، وأبي السعود^(٥)، والشوكاني^(١)، والألوسي^(٢)، والشنقيطي^(٣)، وغيرهم - رحم الله الجميع -.

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/٢٣٦).

(٢) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٥/١١٢)، والسمعاني هو: أبو المظفر منصور بن محمد عبد الجبار السمعاني التميمي المروزي الحنفي ثم الشافعي، ولد سنة ٤٢٦ هـ، مفسر محدث فقيه أصولي، صنف تفسير القرآن، والقواطع في أصول الفقه، والانتصار في الرد على المخالفين، والمنهاج لأهل السنة، والقدر، وغيرها. توفي بمرور سنة ٤٨٩ هـ
الأنساب للسمعاني (٣/٢٩٩)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/٣٣٥)، سير أعلام النبلاء (١٩/١١٤).

(٣) الكشف (٣/٤٢٤).

(٤) تفسير البيضاوي (٥/٩٤)، والبيضاوي هو: قاضي القضاة ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، إمام علامة، عارف بالتفسير والفقه والأصول والعربية والمنطق، صالح صاحب عبادة، ولي قضاء شيراز، صنف: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المشهور بتفسير البيضاوي، وهو مختصر لكشاف الزمخشري، والمنهاج في الأصول، والغاية القصوى في الفقه، وشرح كافية ابن الحاجب وغيرها. توفي سنة ٦٨٥ هـ، وقيل ٦٩١ هـ.

الوافي بالوفيات (١٧/٢٠٦)، طبقات الشافعية الكبرى (٨/١٥٧)، البداية والنهاية (١٣/٣٠٩)، طبقات المفسرين للداودي (١/٢٤٨).

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٨/٥٢)، وأبو السعود هو: القاضي محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، ولد سنة ٨٩٨ هـ، وقيل غير ذلك، إمام مفسر، ولي القضاء في برسة ثم القسطنطينية ثم العسكر، صنف التفسير المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، توفي سنة ٩٨٢ هـ.

(٣) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً﴾ ﴿٣٥﴾ فَعَلَّنَهُنَّ أَجْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرْبًا أْتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ﴿٤﴾:

" جرى الضمير على غير مذكور. لكن لما دَلَّ السياق - وهو ذكر الفُرُشِ - على النساء اللاتي يُضَاجَعْنَ فيها؛ اكتفى بذلك عن ذكرهن، وعاد الضمير عليهن، كما في قوله: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْإِجْيَادُ﴾ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ ﴿٥﴾ يعني: الشمس، على المشهور من قول المفسرين" ﴿٦﴾.

فمرجع الضمير - وإن لم يتقدم له ذكر - فهو واضح من السياق، دَلَّ عليه قوله: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٧﴾، وهي المضاجع التي يُضَاجَعُ عليها النساء. يقول الطاهر بن عاشور عن هذا التفسير لمرجع الضمير في هذه الآية: "وهذا أحسن وجه في تفسير الآية" ﴿٨﴾.

وبهذه الأمثلة يتبين ما للسياق القرآني من أهمية كبرى في تحديد مرجع الضمير ﴿٩﴾.

العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم لعلي بن بابي المعروف بمنق (ت/ ٩٩٢) ص ٤٣٩، شذرات الذهب (٣٩٨/٨)، طبقات المفسرين لأحمد الأذنه وي ص ٣٩٨.

(١) فتح القدير (٤/ ٧٣٤).

(٢) روح المعاني (٢٥/ ٩٥).

(٣) أضواء البيان (٧/ ٢٦٣).

(٤) سورة الواقعة: ٣٥-٣٨.

(٥) سورة ص: ٣١-٣٢.

(٦) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٥٣١).

(٧) سورة الواقعة: ٣٤.

(٨) التحرير والتنوير (٢٧/ ٢٧٦).

(٩) ينظر مواضع أخرى في تفسير القرآن العظيم لابن كثير - رحمه الله -: (١/ ٢٠٤) البقرة: ٢٤،

المبحث السادس

أثر السياق القرآني في بيان الحذف وتقديره

من شأن العرب في كلامهم الحذف للاختصار أو التفتيح أو لغيرها من الأسباب^(١)، ولكن بشروط^(٢)، وما يهمننا منها هو اشتراطهم أن يكون في الكلام المذكور دلالة على

=

(١/٢٤٦) البقرة: ٤١، (١/٢٥٦) البقرة: ٤٥، (١/٢٩٤) البقرة: ٦٦، (١/٣٦٨) البقرة: ١٠٢،
 (١/٤٣٠) البقرة: ١٢٦، (١/٤٥٠) البقرة: ١٣٢، (١/٤٩٠) البقرة: ١٧٧، (١/٦٣٣)
 البقرة: ٢٣٠، (٢/٤٧) آل عمران: ٥٥، (٣/١٦) المائدة: ٣، (٣/١٧٩) المائدة: ٩٠، (٣/٢٤٩)
 الأنعام: ٣١، (٣/٢٦٦) الأنعام: ٦٠، (٣/٢٩٧) الأنعام: ٨٤، (٣/٥٣٠) الأعراف: ١٩٨،
 (٤/٤٠٣) يوسف: ٧٧، (٤/٥٢٧) الحجر: ٩، (٥/٣٩٣) الحج: ٢، (٥/٤٨٢) المؤمنون: ٦٧،
 (٦/٥٨) النور: ٣٥، (٦/٧٣) النور: ٤٣، (٦/١٠٢) الفرقان: ٢٢، (٦/٥٣٨) فاطر: ١١،
 (٨/٢٦) الحديد: ٢٢، (٨/٢٨٨) الإنسان: ٨.

(١) ينظر: الإتيان (١٧٠/٣) وما بعدها.

(٢) ينظر: البرهان (١١١/٣) وما بعدها.

المحذوف، وهذه الدلالة إما مقالية أو حالية، وفي هذا يقول العز بن عبد السلام - رحمه الله: "والعرب لا يحذفون ما لا دلالة عليه، ولا وصلة إليه؛ لأن حذف ما لا دلالة عليه مناف لغرض وضع الكلام من الإفادة والإفهام"^(١).

ويقول الزركشي - رحمه الله -: "واعلم أن دلالة السياق قاطعة بهذه المحذوفات"^(٢). ويخصص الطاهر بن عاشور - رحمه الله - كلامه عن حذف القرآن فيقول: "إنك تجد في كثير من تراكيب القرآن حذفاً، ولكن لا تعثر على حذف يخلو الكلام من دليل عليه من لفظ أو سياق"^(٣).

وابن كثير - رحمه الله - يدرك أهمية السياق في بيان الحذف، وتقديره بما يناسب النظم، ويتجلى ذلك في تطبيقاته لهذا الأمر في تفسيره، ومنها:

(١) ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ قُلُوبُهُمْ قَدْ تَبْهَتُوا بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَطَّهِّرُ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زِينٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾^(٤)، حيث يقول:

"يقول تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي: حفيظ عليهم رقيب على كل نفس منفوسة، يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر، ولا يخفى عليه خافية، ... أفمن هو هكذا كالأصنام التي يعبدونها، لا تسمع ولا تبصر - ولا تعقل، ولا تملك نفعا لأنفسها ولا

(١) الإشارة إلى الإيجاز ص ٢.

(٢) البرهان (٣/١٢٩).

(٣) مقدمة التحرير والتنوير (١/١١٩).

(٤) سورة الرعد: ٣٣.

لعابديها، ولا كشف ضر عنها ولا عن عابديها؟ وحذف هذا الجواب اكتفاء بدلالة السياق عليه، وهو قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ أي: عبدوها معه، من أصنام وأنداد وأوثان^(١).

فهو - رحمه الله - استدل بسياق الآية على ما حذف منها، فقد حذف جملة معادل الهمزة، اكتفاء بدلالة قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾، وفي هذا يقول ابن جرير - رحمه الله -: "وَحَدَفَ الجواب في ذلك فلم يَقُلْ، وقد قيل: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾: ككذا وكذا، اكتفاءً بعلم السامع بما ذَكَرَ عَمَّا تَرَكَ ذِكْرَهُ. وذلك أنه لما قال جل ثناؤه: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾، عَلِمَ أن معنى الكلام: كشركائهم التي اتخذوها آلهة"^(٢).

والبعض من المفسرين يحمله على ما سبق من أن المحذوف معادل الهمزة، والأمر فيه ما قاله الطاهر بن عاشور - رحمه الله -: "وللمفسرين في تصوير نظم الآية محامل مختلفة، وكثير منها متقاربة، ومرجع المتجه منها إلى أن في النظم حذفاً يدل عليه ما هو مذكور فيه، أو يدل عليه السياق"^(٣).

(٢) قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير قول الله - عز وجل -: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرُ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾^(٤):

"يقول تعالى: واذكر يا محمد فيما تَقُصُّه عليهم وتُذَكِّرهم به ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يعني: الجن وأولياءهم {من الإنس} الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا، ويعوذون بهم

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٦٣).

(٢) جامع البيان (١٣/٥٤٥).

(٣) التحرير والتنوير (١٢/١٩١).

(٤) سورة الأنعام: ١٢٨.

ويطيعونهم، ويوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً. ﴿يَمَعَشَرُ الْجِنِّ قَدْ أَسْتَكْرَثْتُمْ مِنْ
الْإِنْسِ﴾ أي: ثم يقول: يا معشر الجن. وسياق الكلام يدل على المحذوف^(١).

فاستدل على المحذوف وقدره من خلال السياق، وقد ذهب إلى هذا أئمة التفسير ممن
سبق ابن كثير - رحمه الله - ومن لحقه.

يقول الإمام الطبري - رحمه الله -: " وحذف "يقول للجن" من الكلام، اكتفاءً بدلالة
ما ظهر من الكلام عليه منه"^(٢).

ويقول الإمام ابن عطية - رحمه الله -: " وفي الكلام فعل مضمر يدل عليه ظاهر
الكلام، تقديره: نقول: يا معشر الجن"^(٣).

ويقول الإمام الطاهر بن عاشور - رحمه الله -: " ولما أسند الحشر إلى ضمير الجلالة

تعيّن أنّ النداء في قوله: ﴿يَمَعَشَرُ الْجِنِّ﴾ من قبل الله تعالى، فتعيّن لذلك إضمار قول صادر
من المتكلم، أي نقول: يا معشر الجن، لأنّ النداء لا يكون إلا قولاً.

وجملة: ﴿يَمَعَشَرُ الْجِنِّ﴾ الخ مقول قول محذوف يدلّ عليه أسلوب الكلام،
والتقدير: نقول أو قائلين"^(٤).

٣) يقول ابن كثير - رحمه الله - عند تفسيره لقول الله - عز وجل -: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ﴾^(٥):

" ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أي: غير صراط المغضوب عليهم.

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٣٣٨).

(٢) جامع البيان (٩/٥٥٥).

(٣) المحرر الوجيز (٣/٤٦٠).

(٤) التحرير والتنوير (٧/٥٠).

(٥) سورة الفاتحة: جزء من الآية ٧.

واكتفى بالمضاف إليه عن ذكر المضاف، وقد دل عليه سياق الكلام، وهو قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ثم قال تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾^(١).

فاستدل - رحمه الله - من المذكور في السياق على المحذوف منه، وهو المضاف "صراط"

فيكون التقدير: "غير صراط المغضوب عليهم"، وناسب هذا التقدير سياق الآية ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾^(٢).

وبهذه الأمثلة يتضح أثر السياق في بيان المحذوف وتقديره تقديراً مناسباً^(٣).

المبحث السابع

أثر السياق القرآني في القول بالتقديم و التأخير.

الأصل في كلام العرب: الإتيان به على الترتيب، ولكن قد يجيد العرب عن هذا الأصل، فيقدمون ويؤخرون تفنناً أو لأسباب تقتضي ذلك^(٤)، وهذا يدل "على تمكنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام، وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق"^(٥).

(١) تفسير القرآن العظيم (١/١٤٢).

(٢) سورة الفاتحة: الآية ٦، وجزء من الآية ٧.

(٣) انظر: أمثلة أخرى في تفسير القرآن العظيم لابن كثير - رحمه الله -: (١/١٤٨) الفاتحة: ٢، (١/١٥٩)

البقرة: ١، (١/٣٢٣) البقرة: ٨٥، (١/٣٣٤-٣٣٥) البقرة: ٩٣، (١/٤٣١) البقرة: ١٢٧،

(١/٤٨١) البقرة: ١٦٥، (١/٦٧٢) البقرة: ٢٤٩، (٣/٢٨٠) الأنعام: ٧١، (٣/٣٦٠)

الأنعام: ١٥١، (٣/٤١٦) الأعراف: ٤٤، (٤/٣٩٢) يوسف: ٤٥-٤٦، (٤/٥٦٧) النحل: ٢٨،

(٥/٢١٤) مريم: ٦-٧، (٥/٣٤٣) الأنبياء: ٣٩، (٥/٣٨١) الأنبياء: ١٠٣، (٦/٥٦٤) يس: ٨،

(٦/٥٨٠) يس: ٤٥، (٧/٣٩٥) ق: ١، (٨/٣٤٦) المطففين: ٣.

(٤) ينظر البرهان في علوم القرآن (٣/٢٣٨-٢٧٥)، فقد ذكر خمسة وعشرين سبباً.

(٥) البرهان (٣/٢٣٣).

ولأهمية هذا الباب فسّر- ابن عباس - رضي الله عنهما - قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(١): بالمعرفة بالقرآن: ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومُقدّمه ومؤخّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله^(٢).

وباب التقديم والتأخير ينقسم إلى قسمين^(٣):

(١) مقدم والمعنى عليه: كتقديم ما حقّه التأخير لإفادة الحصر، مثل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى

اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٤)

(٢) مقدم وهو في المعنى مؤخر أو العكس. وقد عبّر عنه السيوطي بقوله: "ما أشكل

معناه بحسب الظاهر، فلما عرف أنه من باب التقديم والتأخير اتضح"^(٥).

وما يهمننا في هذا المبحث هو القسم الثاني: المقدم الذي معناه المؤخر أو العكس.

يقول الإمام السيوطي - رحمه الله - مبيناً أهميته: "وهو جدير أن يفرد بالتصنيف"^(٦).

أما القسم الأول فواضح ولا إشكال فيه ولا خلاف.

والحكم بالتقديم والتأخير في المعنى لا يلجأ إليه إلا إذا تعذر الحمل على أصل

الترتيب، كأن يترتب إشكال على ذلك، كما مر معنا في فصل قواعد السياق^(٧)، وهذا لا

يعرف إلا من خلال السياق، فيُنظر هل في المعنى على ظاهر السياق إشكال أم لا؟

وبعد هذه التوطئة رأيت أن أقسم هذا المبحث إلى مطلبين:

(١) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٦٩.

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره جامع البيان (٩/٥)، وذكره ابن كثير في تفسيره (١/٧٠٤).

(٣) ينظر البرهان (٣/٢٣٣) وما بعدها.

(٤) سورة المائدة: جزء من الآية ٢٣.

(٥) الإتيان في علوم القرآن (٣/٣٣).

(٦) الإتيان في علوم القرآن (٣/٣٣).

(٧) ينظر: ص ١٤٧ من هذه الرسالة.

المطلب الأول: أثر السياق القرآني في القول بالتقديم والتأخير.
المطلب الثاني: أثر السياق القرآني في رد القول بالتقديم والتأخير.

المطلب الأول

أثر السياق القرآني في القول بالتقديم والتأخير.

السياق القرآني قد يقتضي التقديم والتأخير أحياناً، فلا يستقيم فهم المعنى إلا من خلاله.

ومن أمثلة ذلك في تفسير ابن كثير - رحمه الله -:

(١) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ

مُسَمًّى ﴿١٣٩﴾ (١):

(١) سورة طه: ١٢٩.

"أي: لولا الكلمة السابقة من الله، وهو أنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه، والأجل المسمى الذي ضربه الله تعالى لهؤلاء المكذبين إلى مدة معينة؛ لجاءهم العذاب بغتة"^(١).

فقد قال - رحمه الله - بالتقديم والتأخير في هذه الآية لاقتضاء السياق ذلك، فلا يمكن حمله على غير ذلك.

وإليه ذهب ابن جرير الطبري^(٢)، وأبو المظفر السمعاني^(٣)، والبغوي^(٤)، وابن عطية^(٥)، والنسفي^(٦)، وأبو حيان^(٧)، وغيرهم - رحم الله الجميع -.

وعلل ابن عطية^(٨) - رحمه الله - هذا التقديم والتأخير بمراعاة الفواصل ورؤوس الآي، وقد وافقه في ذلك أبو حيان الأندلسي^(٩)، وابن جزى الكلبي^(١٠) وغيرهما.

(٢) قال - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَّعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾^(١١):

"أي: وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم، لو تعلمون عظمته لعظمت المقسم به عليه"^(١).

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/٣٢٥).

(٢) جامع البيان (١٦/٢٠٧).

(٣) تفسير السمعاني (٣/٣٦٣).

(٤) معالم التنزيل (٣/١٤٦).

(٥) المحرر الوجيز (٦/١٤٤).

(٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/١٠٦)، والنسفي هو أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود الحنفي، مفسر فقيه أصولي، من مصنفاته: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، والمنار في أصول الفقه، توفي سنة ٧١٠هـ.

الدرر الكامنة (٣/١٧)، طبقات المفسرين للأدنه وي ص ٢٦٣.

(٧) البحر المحيط (٦/٢٦٨).

(٨) المحرر الوجيز (٦/١٤٤).

(٩) البحر المحيط (٦/٢٦٨).

(١٠) التسهيل لعلوم التنزيل (٣/٢١).

(١١) سورة الواقعة: ٧٦.

ويقال في هذا التطبيق ما قيل في سابقه، ولم يَحْكِ ابن الجوزي - رحمه الله - في تفسيره زاد المسير^(٢) غير هذا القول في معنى الآية.

ومن خلال هذه الأمثلة يتبين أثر السياق القرآني في القول بالتقديم والتأخير في معاني الآيات.

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/٥٤٤).

(٢) زاد المسير (٨/١٥١)، وابن الجوزي هو: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي، من ذرية أبي بكر الصديق، الشهير بابن الجوزي، لجوزة كانت في دار جده بواسط، ولم يكن بها جوزة سواها، ولد سنة ٥٠٨ هـ تقريباً، إمام متفمن في العلوم، مكثراً جداً من التصنيف، فمن مصنفاته: زاد المسير في التفسير، والمغني في علوم القرآن، والتحقيق في مسائل الخلاف، والموضوعات، وتلبس إبليس، وصيد الخاطر، وغيرها. توفي سنة ٥٩٧ هـ.

الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/٤٥٨)، وفيات الأعيان (٣/١٤٠)، سير أعلام النبلاء (٢١/٣٦٥).

المطلب الثاني

أثر السياق القرآني في ردّ القول بالتقديم والتأخير.

السياق القرآني هو الفيصل في باب التقديم والتأخير، فإن أمكن حمل معناه على وفق ترتيبه، فلا يقال بالتقديم والتأخير، وإن تعذر قيل به.

ومن نماذج رد القول بالتقديم والتأخير بسبب السياق في تفسير ابن كثير - رحمه الله -:

(١) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلَنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَّمَ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَمَارَأَى آيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾^(١):

"... وقال وهب بن منبه^(٢): إنما ضحكت لما بشرت بإسحاق. وهذا مخالف لهذا

السياق، فإن البشارة صريحة مرتبة على ضحكها"^(٣).

(١) سورة هود: ٦٩-٧١.

(٢) هو أبو عبد الله وهب بن منبه بن كامل الصنعاني اليماني، العلامة الإخباري القصصي، أخو الإمام همام بن منبه، ولد سنة ٣٤هـ، تابعي ثقة في الحديث، ولكن روايته للمسند قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات، ومن صحائف أهل الكتاب، قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره (١٩٨/٦) عنه وعن كعب الأخبار: "سأحها الله فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من: الأوابد والغرائب والعجائب، مما كان وما لم يكن، ومما حُرِّفَ وبدِّلَ ونُسِخَ. وقد أغنانا الله - سبحانه - عن ذلك بما هو أصحُّ منه وأنفع وأوضح وأبلغ. والله الحمد والمنة". توفي وهب سنة ١١٤هـ.

الطبقات الكبرى (٥/٥٤٣)، معجم الأدباء (٥/٥٧٦)، سير أعلام النبلاء (٤/٥٤٤)

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/٣٣٤).

فرد - رحمه الله - قول وهب بن منبه - رحمه الله - لمخالفته لأصل ترتيب السياق؛ لأن قوله يقتضي القول بأن الآية من المقدم الذي معناه المؤخر، فيكون معنى الكلام: وامرأته قائمة فبشرناها بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فضحكت وقالت: يا ويلتا أألد وأنا عجوز... الخ.

ووجه ردّ هذا القول: هو مخالفته أصل الترتيب مع إمكان حمل المعنى عليه، وقد مرّ في فصل "قواعد في السياق القرآني"^(١): أنه لا يقال بالتقديم والتأخير إلا إذا تعذر حمل المعنى على أصل الترتيب.

وهنا في هذه الآية يُمكنُ الحملُ على أصل ترتيب الآية، فالبشارة في هذه الآية مترتبة على الضحك لا العكس؛ لأن البشارة عطفت على الضحك بالفاء العاطفة التي تقتضي - الترتيب والتعقيب. ولذلك ضعف هذا القول الإمام ابن كثير - رحمه الله - وقد أجاد.

(٢) قال - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(٢):

" وقوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال الحسن البصري: بزكاتها، والنفقة منها في سبيل الله.

وقال قتادة: هذا من المقدم والمؤخر، تقديره: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة.

واختار ابن جرير^(٣) قول الحسن، وهو القول القوي الحسن^(٤).

(١) ص ١٤٩ من هذه الرسالة

(٢) سورة التوبة: ٥٥.

(٣) جامع البيان (١١/٥٠١).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٤/١٦٣).

فرجح - رحمه الله - قول الحسن على قول قتادة؛ لأنه لا يلجأ إلى التقديم والتأخير إلا إذا تعذر حمل معنى السياق على ترتيبه، وهذا غير متعذر هنا، فحمله - رحمه الله - على قول الحسن الذي يوافق ترتيب الآية.

وإن كان يُشكل عليه أنه يقتضي إرجاع الضمير في "بها" إلى الأموال دون الأولاد! وهنا تظهر قوة قول ابن زيد الذي حمل معنى السياق على ترتيبه، وأرجع الضمير إلى الأموال والأول، فقال: ليعذبهم بها في الدنيا بالمصائب بالأموال والأولاد، فهي لهم عذاب وللمؤمنين أجر^(١).

قلت: وهذا يشمل قول الحسن، حيث إن زكاة أموال المنافقين وإنفاقها في سبيل الله تعتبر من المصائب بالنسبة لهم، بل من أكبرها، وما يهمننا هنا في هذا المثال هو عدم ارتضاء ابن كثير - رحمه الله - للقول بالتقديم والتأخير مع إمكان حمل معنى السياق على ترتيبه.

(٣) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾^(٢):

"وقد أشكل قوله: ﴿ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ﴾ على كثير من المفسرين، فقال بعضهم: هذا من المقدم والمؤخر، ومعنى الكلام: { وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ - إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ } وَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ، ورفعها على العرش.

وقد ردَّ ابن جرير هذا. وأجاد في ذلك. ثم اختار ما حكاه عن السُّدي: أن يوسف أوى إليه أبويه لما تلقاهما، ثم لما وصلوا باب البلد قال: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ وفي هذا نظر أيضا؛ لأن الإيواء إنما يكون في المنزل، كقوله: ﴿ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾،

(١) رواه ابن جرير في جامع البيان (١١/٥٠١).

(٢) سورة يوسف: ٩٩.

وفي الحديث: "من أوى محدثاً"^(١)، وما المانع أن يكون قال لهم بعدما دخلوا عليه وآواهم إليه: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ﴾ وضمَّنه: اسكنوا مصر ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ أي: مما كنتم فيه من الجهد والقحط"^(٢).

فوجد أن ابن كثير وافق ابن جرير -رحمها الله- في ردِّه القول بالتقديم والتأخير في هذه الآية، وجوِّد ردَّه، حيث يقول ابن جرير -رحمه الله-: "ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه أو تأخيره عن مكانه إلا بحجة واضحة"^(٣)، وقد ذكر أنه لا حجة عندهم.

ولكن ابن كثير -رحمه الله- استدرك على ابن جرير ترجيحه معللاً بأن الإيواء إنما يكون في المنزل، واستدل بقوله تعالى: ﴿ءَأْوَيْتَ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾، وقول النبي ﷺ: "من أوى محدثاً".

واستدراكه -رحمه الله- هو المستدرك، فإيواء كل شخص بحسبه، فإيواء الحاكم مثلاً يشمل إيواءه في المدينة، ويشمل إيواءه في المنزل، وإيواء من لا يملك إلا منزله، لا يكون إلا في المنزل، واستدل له -رحمه الله- بالحديث فيه نظر، فإذا أوى الحاكم المحدث في بلده دون بيته يدخل في هذا الوعيد، ويلزم من قول ابن كثير -رحمه الله- أنه لا يدخل فيه، وهو ما لا يقوله أحد، حتى ابن كثير نفسه -رحمه الله-، ويوسف -عليه السلام- كان عزيز مصر، فله أن يؤوي من يشاء في بلده.

(١) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله، برقم (١٩٧٨)، عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- مرفوعاً، وتمام الحديث: "لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من أوى محدثاً، ولعن الله من غير منار الأرض"، ورواه أيضاً بلفظ: "لعن الله من لعن والديه...".

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/٤١١).

(٣) جامع البيان (١٣/٣٥١).

فأقول: إن الآية تحتمل كلا القولين، ما رجحه ابن جرير، وما رجحه ابن كثير -رحمهما الله- دون تضعيف لأحدهما، والمهم هنا من إيراد هذا المثال هو ردهم للقول بالتقديم والتأخير لمخالفته السياق بدون حجة. وهذه الأمثلة التطبيقية يتبين أثر السياق القرآني في ردّ بعض الأقوال بالتقديم والتأخير في بعض الآيات^(١).

(١) ينظر أمثلة أخرى في تفسير القرآن العظيم لابن كثير -رحمه الله-: (٥٤٤/٦) فاطر: ٢٧، (٦٣/٧) ص: ٢٦.

الفصل الرابع

أثر السياق في بعض

العلوم المتعلقة بالتفسير

في تفسير ابن كثير

المبحث الأول

أثر السياق القرآني في أسباب النزول

إن القرآن الكريم أنزله الله - عز وجل - لهداية المكلفين إلى الطريق المستقيم، فهذا سبب نزوله العام، إلا أن هناك آيات نزلت لأسباب خاصة مرتبطة بها وحدها دون غيرها، وهذه الأسباب الخاصة تندرج تحت السبب العام وهو الهداية.

إذاً نستطيع أن نقسم أسباب النزول إلى قسمين:

القسم الأول: ما نزل من الله - عز وجل - ابتداءً من غير ارتباط بسبب خاص، وهذا الأكثر في آيات القرآن الكريم.

القسم الثاني: ما نزل من الله - عز وجل - مرتبطاً بأسباب خاصة، وهذا القسم هو الأقل في القرآن الكريم، ولذلك كان محل بحث العلماء والتصنيف فيه، وهو ما يسميه العلماء بسبب نزول الآية^(١).

ولمعرفة أسباب نزول الآيات فوائد كثيرة منها: فهم المراد من الآية، وتفسيرها تفسيراً صحيحاً.

ذكر الإمام الواحدي^(٢) - رحمه الله - أنه يمتنع "معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"^(٣).

(١) ينظر: مناهل العرفان للزرقاني (١/١٠٦)، والمدخل لدراسة القرآن الكريم للدكتور محمد أبو شهبه ص (١٣٢)، ودراسات في علوم القرآن للدكتور فهد الرومي ص (١٤٨).

(٢) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري الشافعي، الإمام المفسر النحوي اللغوي الأديب، لازم الثعلبي المفسر وأكثر عنه، صنف التفاسير الثلاثة: البسيط و الوسيط والوجيز، وأسباب النزول، والإعراب في علم الإعراب، وشرح ديوان المتنبي، وغيرها. توفي في نيسابور سنة ٤٦٨ هـ.
معجم الأدباء (٣/٥٥٦)، وفيات الأعيان (٣/٣٠٣)، سير أعلام النبلاء (١٨/٣٣٩).

(٣) أسباب النزول ص ٥.

ويقول الإمام ابن دقيق العيد - رحمه الله -: "بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز"^(١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"^(٢).

وللسياق القرآني أثر في ترجيح سبب على سبب عند اختلاف الأقوال في ذلك، وله أثر أيضاً في تضعيف بعض الأسباب - ما لم تكن مرفوعة للنبي ﷺ أو لها حكم الرفع -.
ولذلك سأذكر نماذج تطبيقية لابن كثير - رحمه الله - في بيان أثر السياق القرآني في أسباب النزول.

وستكون على النحو التالي:

- المطلب الأول: أثر السياق القرآني في ترجيح بعض أسباب النزول في تفسير ابن كثير.
المطلب الثاني: أثر السياق القرآني في تضعيف بعض أسباب النزول في تفسير ابن كثير.

(١) إحكام الأحكام (٤/١٤٧).

(٢) مقدمة في أصول التفسير ص ٤٧، وهو في مجموع الفتاوى (١٣/٣٣٩).

المطلب الأول

أثر السياق في ترجيح بعض أسباب النزول في تفسير ابن كثير.

استخدم الإمام ابن كثير دلالة السياق القرآني في ترجيح بعض أسباب النزول، ومن الأمثلة على هذا الأمر:

(١) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ لِيَجْعَلُوهُ نَزْلًا لِّقَارِطِيسَ يَبْدُونَهَا﴾^(١) وَيُخْفُونَ^(٢) كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ

" يقول تعالى: وما عظموا الله حق تعظيمه، إذ كذبوا رسله إليهم، قال ابن عباس، ومجاهد، وعبد الله بن كثير^(٣): نزلت في قريش. واختاره ابن جرير^(٤)، وقيل: نزلت في طائفة من اليهود، وقيل: في فنحاص رجل منهم، وقيل: في مالك بن الصيف.

(١) (يجعلونه، يبدونها، يخفون) فسرهما - رحمه الله - على هذه القراءة، وهي لابن كثير وأبي عمرو - رحمهما الله - ينظر: التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص ١٠٥، والنشر - في القراءات العشر - لابن الجزري (٢/١٩٥).

(٢) سورة الأنعام: ٩١.

(٣) عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله الكناني مولا هم الداري المكي، أبو معبد، وقيل: يكنى أبا عباد، وقيل: أبا بكر، فارسي الأصل، وهو إمام علم، مقرئ مكة، أحد القراء السبعة، قرأ القرآن على مجاهد ودرباس مولى ابن عباس، وهو ثقة قليل الحديث، توفي سنة ١٢٠ هـ.

تهذيب الكمال (١٥/٤٦٨)، سير أعلام النبلاء (٥/٣١٨).

(٤) جامع البيان (٩/٣٩٧).

﴿قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾^(١) والأول هو الأظهر؛ لأن الآية مكية، واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء، وقريش -والعرب قاطبة- كانوا يبعدون إرسال رسول من البشر، كما قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾^(١٤) قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَّمشُونَ مُطْمَئِنِينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًَا رَسُولًا﴾^(١٥)، وقال هاهنا: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾^(٣).

فرَجَّحَ - رحمه الله - القول الأول: أنها نزلت في قريش لما قالت: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾، واستظهره على القول الثاني، معللاً ذلك بأمرين:

١. الأول: مكية الآية. فسياق الآيات يدل على مكيتها، وفي هذا يقول ابن جرير - رحمه الله -: " وكان الخبر من أول السورة ومبتدئها إلى هذا الموضع خبراً عن المشركين من عبدة الأوثان، وكان قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، موصولاً بذلك غير مفصول منه، لم يجوز لنا أن ندعي أن ذلك مصروف عما هو به موصول، إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل"^(٤).

٢. أن السياق يدل على إنكارهم إنزال الكتب من السماء، وهذا مستمد من قوله: ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾، واليهود لا ينكرون ذلك، بل يؤمنون بأن الله أنزل التوراة على موسى، والذي ينكرهم العرب، ثم دُلِّلَ على ذلك بآيات قرآنية

(١) سورة يونس: جزء من الآية ٢.

(٢) سورة الإسراء: ٩٤-٩٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/٣٠٠).

(٤) جامع البيان (٩/٣٩٧).

أخرى.

قلت: هذا على لفظ الغيبة: " (يجعلونه... تبدونها... يخفون) أما على قراءة لفظ الخطاب^(١): (تجعلونه... تبدونها... تخفون) فيختلف السياق، فالأظهر أن المراد بهم اليهود؛ لأن الخطاب موجه للذين يجعلون التوراة قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً، والذي يفعل هذا هم اليهود.

يقول القرطبي - رحمه الله -: " والوجه على قراءة التاء أن يكون كله^(٢) لليهود"^(٣).
وبذلك يكون المعنى على كل قراءة مغاير للآخر، رغم أن الآية واحدة، والرسم واحد، وهذا مظهر من مظاهر إعجاز القرآن الكريم.
والمهم في هذا التطبيق بيان أثر السياق في ترجيح سبب على آخر للنزول، وهذا واضح.

(٢) ذكر - رحمه الله - الخلاف في سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾^(٤).

(١) وهي قراءة السبعة عدا ابن كثير وأبي عمرو. انظر التيسير للداني ص ١٠٥، والنشر - لابن الجزري (٢/١٩٥).

(٢) أي: سياق الآية.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٨/٤٥٦).

(٤) سورة البقرة: ٢٦-٢٧.

فذكر ما رواه السدي بسنده عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة: لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين، يعني قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾^(١)، وقوله ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾^(٢) الآيات الثلاث، قال المنافقون: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله هذه الآية إلى قوله: ﴿هُمُ الْخَسِرُونَ﴾.

وذكر ما روي عن قتادة: إن الله حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت، قال أهل الضلالة: ما بال العنكبوت والذباب يذكران؟ فأنزل الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾.

وذكر ما روي عن الربيع بن أنس^(٣) أن هذا مثل ضربه الله للدينا؛ إذ البعوضة تحيا ما جاعت، فإذا سممت ماتت. وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب لهم هذا المثل في القرآن، إذا امتلئوا من الدنيا رياءً أخذهم الله عند ذلك، ثم تلا ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٤).

ثم قال بعد ذلك: "فهذا اختلافهم في سبب النزول، وقد اختار ابن جرير^(٥) ما حكاه السدي؛ لأنه أمس بالسورة، وهو مناسب، ومعنى الآية: أنه تعالى أخبر أنه لا يستحيي، أي: لا

(١) سورة البقرة: جزء من الآية ١٧.

(٢) سورة البقرة: جزء من الآية ١٩.

(٣) الربيع بن أنس بن زياد البكري البصري ثم الخرساني المروزي، من صغار التابعين، صدوق وكان عالم مروفي زمانه، وذكر ابن حبان أن كل ما في أخباره من مناكير إنما هي من جهة أبي جعفر الرازي، توفي سنة ١٣٩ هـ، وقيل غير ذلك.

طبقات ابن سعد (٣٦٩/٧)، مشاهير علماء الأمصار ص ١٢٦، تهذيب الكمال (٦٠/٩)، سير أعلام النبلاء (١٦٩/٦).

(٤) سورة الأنعام: جزء من الآية ٤٤.

(٥) جامع البيان (٤٢٥/١).

يستنكف، وقيل: لا يخشى أن يضرب مثلاً ما، أي: أيّ مثل كان، بأي شيء كان، صغيراً كان أو كبيراً^(١).

فقد ذكّر - رحمه الله - ترجيح ابن جرير - رحمه الله - لما روي عن ابن عباس وابن مسعود - رضي الله عنهما -؛ لأنه الأتمسّ بسياق الآيات قبل هذه الآية من بقية الأقوال الأخرى، واستحسنه بقوله: "وهو مناسب".

ويوضّح هذه المناسبة ابن جرير - رحمه الله - فيقول: "أولى ذلك بالصواب وأشبهه بالحقّ، ما ذكرنا من قول ابن مسعود وابن عباس؛ وذلك أنّ الله أخبر عباده أنه لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضةً فما فوقها، عقيب أمثالٍ قد تقدمت في هذه السورة، ضربها للمنافقين، دون الأمثال التي ضربها في سائر السور غيرها. فلأن يكون هذا القول - أعني قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ - جواباً لنكير الكفار والمنافقين ما ضرب لهم من الأمثال في هذه السورة، أحقّ وأولى من أن يكون ذلك جواباً لنكيرهم ما ضرب الله لهم من الأمثال في غيرها من السور."^(٢)

وكفى بتوضيح الطبري - رحمه الله - توضيحاً.

(٣) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَتُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾^(٣):

"... قيل: نزلت في قريش. وقيل: في نفر من اليهود. والأول أشبه؛ لأن الآية مكية، وكانوا يسألون عن وقت الساعة، استبعاداً لوقوعها، وتكذيباً بوجودها؛ كما قال تعالى:

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٢٠٨-٢٠٩).

(٢) جامع البيان (١/٤٢٥).

(٣) سورة الأعراف: ١٨٧.

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣٨) ^(١)، وقال تعالى: ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُسْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يِمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ (١٨) ^{(٢) ١١١ (٣)}.

فرجّح - رحمه الله - أن سبب نزولها: سؤال قريش للنبي ﷺ عن الساعة استبعاداً لوقوعها، وعلل ذلك بمكية سياق الآية، فالتكلم عنهم فيها هم مشركي قريش، وقد قيل: بمكية السورة كلها، وقيل: بمكيتها عدا آيتين أو بضع آيات نزلت بالمدينة - ليست هذه منها - . ومما يدل على أن هذا السؤال من قريش: أنه ورد نفس السؤال بسورة مكية بالاتفاق، وهي النازعات ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ (٤٢) ^(٤).

ثم السياق يؤيد ذلك:

فالسباق: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٢) وَأَمْ لِي لَهُمْ آيَةٌ كِيدِي مَتِينٌ ^(١٨٣) أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ^(١٨٤) ^(٥)، والذين اتهموا النبي ﷺ بالجنون - حاشاه - هم مشركوا قريش.

واللحاق: ﴿ فَلَمَّا ءَاتَهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ

^(١١٠) أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ^(١١١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ^(١١٢) وَإِن نَّدَعُوهُمْ إِلَىٰ الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَاحِبُونَ ^(١١٣) إِنْ الَّذِينَ نَدَعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ^(١١٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ

(١) سورة الأنبياء: ٣٨.

(٢) سورة الشورى: ١٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/٥١٨).

(٤) سورة النازعات: ٤٢.

(٥) سورة الأعراف: ١٨٢-١٨٤.

يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١١٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١١٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرْتَدُّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١١٨﴾ ﴿١﴾.

فكلها في وصف المشركين وأهنتهم وإبطال عبادتها.

وبهذه الأمثلة التطبيقية يتبين أثر السياق القرآني في ترجيح بعض أسباب النزول.

المطلب الثاني

أثر السياق القرآني في تضعيف بعض أسباب النزول في تفسير ابن كثير.

استخدم الإمام ابن كثير - رحمه الله - دلالة السياق القرآني في تضعيف بعض الأقوال المحكية في سبب نزول بعض الآيات. ومن الأمثلة على هذا ما يلي:

(١) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ ٦١ ﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِبَصَرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾^(١):

"... وقال مجاهد: نزلت في بني قريظة. وهذا فيه نظر؛ لأن السياق كله في وقعة بدر، وذكرها مكتنف لهذا كله"^(٢).

فَضَعَّفَ قول مجاهد - رحمه الله - بسبب السياق، فسياق السورة في غزوة بدر، وهذه الآية واقعة في سياق ذكر الغزوة، فسباقها يتحدث عنها؛ لأن سبب نزول السورة هي غزوة بدر، ولحاقها يكمل الحديث عنها مباشرة ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٦٤ ﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرِصَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبَرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ٦٥ أَلَنْ خَفَّ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ٦٦ مَا كَانَتْ لِي أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٦٧ لَوْلَا كُنْتُ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٦٨ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

(١) سورة الأنفال: ٦١-٦٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٨٣-٨٤).

عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾^(١)، وهذه الآية تُلحِقُ بها، فيكون المخاطب بها: مشركي مكة، وسبب نزولها هو سبب نزول السورة عامة، وهي غزوة بدر، وإن كان مجاهد - رحمه الله - ومن وافقه خالفوا ابن كثير - رحمه الله - إلا أن عمدتهم واحدة، وهي دلالة السياق، ولكن اختلفت أنظارهم فيه، وليس المقام هنا مقام تفصيل في أسباب النزول والترجيح بينها، بقدر ما هو مقام بيان لأثر السياق القرآني في تضعيف بعض أسباب النزول.

(٢) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِيِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(٢):
 "... وقد روى محمد بن إسحاق...، عن ابن عباس: أن هذه الآية نزلت في نفر من

اليهود، جاءوا رسول الله ﷺ فقالوا له: إنا نأتيك بمثل ما جئتنا به، فأنزل الله هذه الآية. وفي هذا نظر؛ لأن هذه السورة مكية، وسياقها كله مع قريش، واليهود إنما اجتمعوا به في المدينة. فالله أعلم"^(٣).

فلم يَرْتَضِ - رحمه الله - هذا القول؛ لأن سياق السورة من بدايتها إلى نهايتها مع قريش، إذاً هذه السورة مكية، واليهود اجتمعوا بالنبي ﷺ في المدينة، فكيف يكونون هم سبب نزول الآية؟!

(١) سورة الأنفال: ٦٤-٧١.

(٢) سورة الإسراء: ٨٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٥/١١٧).

(٣) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٦٥) (١):

"... وقد روي عن سعيد بن المسيب^(٢)، وسعيد بن جبير: أن هذه الآية نزلت حين أسلم عمر بن الخطاب، وكمل به الأربعون.

وفي هذا نظر؛ لأن هذه الآية مدنية، وإسلام عمر كان بمكة بعد الهجرة إلى أرض الحبشة وقبل الهجرة إلى المدينة، والله أعلم"^(٣).

فَضَعَفَ - رحمه الله - هذا القول؛ لأن هذه الآية بل السورة بكاملها نزلت في المدينة النبوية؛ فسياقها كله في وقعة بدر كما ذكر ابن كثير - رحمه الله - ذلك^(٤)، وعمر بن الخطاب ﷺ أسلم بمكة المكرمة قبل الهجرة للمدينة النبوية، وهو أحد أبطال غزوة بدر التي نزلت السورة بشأنها.

ومن خلال هذه النماذج التطبيقية يتبين أثر السياق القرآني في ردِّ بعض الأقوال الواردة في أسباب نزول الآيات.

(١) سورة الأنفال: ٦٥.

(٢) أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي القرشي، سيد التابعين في زمانه، ولد في خلافة عمر بن الخطاب، إمام علم، عالم أهل المدينة، كان يفتي في حياة الصحابة، لم تفته صلاة الجماعة أكثر من أربعين سنة، وفضائله يصعب حصرها، توفي سنة ٩٣.

طبقات ابن سعد (٥/١١٩)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/١٦١)، صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/٤٣٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/٨٧).

(٤) المصدر السابق (٤/٨٤).

المبحث الثاني

أثر السياق القرآني في إظهار المناسبة بين آيات القرآن الكريم

في تفسير ابن كثير.

علم المناسبات -الذي هو: بيان وجه الارتباط بين آيات القرآن الكريم- علم عظيم، فهو يربط المعاني، وينسق المباني، ويجعل الكلام يأخذ بعضه بأعناق بعض، فينتظم محكماً لأداء رسالة عظيمة، ومعان جليلة.

يقول الإمام ابن العربي -رحمه الله-: "ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني: علم عظيم"^(١).

بل يُعَدُّ الإمام الفخر الرازي -رحمه الله- تناسب القرآن نوع من أنواع إعجازه، فيقول: "القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه، ونظم آياته، ولعلَّ الذين قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك"^(٢).

وبيّن -رحمه الله- في موضع آخر مكانة هذا العلم فيقول: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"^(٣).

ولعلم المناسبات فوائد، منها:

١. إظهار إعجاز القرآن البياني، فهو يربط الكلام ببعضه البعض، فيصير النظم محكماً، مترابط الأجزاء، متناسق المعاني، فكل كلمة تناسب موضعها في القرآن الكريم. يقول عبد القاهر الجرجاني -رحمه الله- مبيناً عجز العرب أنهم: "تأملوه

(١) البرهان (٣٦/١)، نقله عن كتابه سراج المريدين.

(٢) تفسير الرازي (١٢٨/٧).

(٣) تفسير الرازي (١٤٠/١٠).

سورة سورة، وعُشراً عُشراً، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبوا بها مكانها، ولفظة يُنكر شأنها، أو يُرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبهه أو أخلق" (١).

٢. استنباط بعض الأحكام الشرعية ومثاله قوله تعالى - في المحاربين -: ﴿إِلَّا

الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢)

فقد استنبط بعض العلماء سقوط الحد عن المحارب التائب لمناسبة ختم الآية بوصف الله بالمغفرة والرحمة.

٣. الإعانة على فهم المعنى المراد من الآيات، فعندما ترتبط الآيات، وتلتحم مع بعضها، يُؤدَّى المعنى بوضوح.

ولذلك كان هذا العلم محط أنظار العلماء للتصنيف فيه، ومن هؤلاء العلماء:

١. الإمام ابن الزبير الغرناطي (٣)، ألف كتابه: "البرهان في تناسب سور القرآن".

٢. الإمام برهان الدين البقاعي (٤)، ألف كتابه: "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور".

(١) دلائل الإعجاز ص ٣٢.

(٢) سورة المائدة: ٣٤.

(٣) أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، ولد سنة ٦٢٧هـ، مقرر مفسر - محدث نحوي لغوي مؤرخ، وكان صالحاً كثير الصدقة، أماراً بالمعروف، نهياً عن المنكر، ومن مصنفاته: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، والبرهان في تناسب سور القرآن، وشرح الإشارة للباقي الأصول، وغيرها. توفي سنة ٧٠٨هـ.

تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ١٤٨٤)، الديباج المذهب لابن فرحون ص ٤٢، الدرر الكامنة (١/ ٨٤)، طبقات المفسرين للداودي (١/ ٢٧).

(٤) برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط البقاعي، نسبة إلى بقاع في الشام، نزيل القاهرة ثم دمشق، ولد تقريباً سنة ٨٠٩هـ، صنف نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ومن أمعن النظر فيه علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء، الجامعين بين علمي المعقول والمنقول كما قال

٣. الإمام جلال الدين السيوطي، ألف ثلاثة كتب في هذا الفن:

أ) قطف الأزهار وكشف الأسرار.

ب) لخص منه ما يتعلق بتناسب السور في كتابه "تناسق الدرر في تناسب السور".

ج) مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع.

والمناسبات في القرآن الكريم أنواع، منها:

١) المناسبة في اختيار الكلمة الواحدة.

٢) المناسبة بين الجمل في الآية الواحدة.

٣) مناسبة اختيار الفاصلة للآية.

٤) مناسبة الآية للآية المجاورة لها.

٥) مناسبة المقطع للمقطع المجاور له.

والمرحلة الأولى من مراحل التوصل للمناسبة: هي النظر في السياق وفهم معناه أولاً،

ثم البحث عن الرابط، ووجه المناسبة، سواء للكلمة في السياق، أو تتابع الجمل في الآية،

أو مناسبة الفاصلة للآية، أو الآية للآية، أو المقطع للمقطع... الخ، فهنا يكمن دور

السياق.

وسأورد - بإذن الله - تطبيقات الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره من خلال المطالب

الآية:

المطلب الأول: أثر السياق القرآني في إبراز المناسبة في الآية الواحدة.

وفيه ثلاثة مقاصد:

=

الشوكاني، وقال السيوطي عن تفسيره: إنه مؤلف لم يسبقه إليه أحد، جمع فيه من أسرار القرآن العظيم

ما تتحير منه العقول، توفي سنة ٨٨٥هـ.

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ص ٤٠ ، طبقات المفسرين للأذنه وي ص ٣٤٧.

المقصد الأول: أثر السياق القرآني في إبراز المناسبة في اختيار الكلمة في الآية.

المقصد الثاني: أثر السياق القرآني في إبراز المناسبة بين الجمل في الآية.

المقصد الثالث: أثر السياق القرآني في إبراز مناسبة خاتمة الآية لسياقها.

المطلب الثاني: أثر السياق القرآني في إبراز المناسبة بين الآيات المتتابة.

وفيه مقصدان:

المقصد الأول: أثر السياق القرآني في إبراز مناسبة الآية للآية المجاورة لها.

المقصد الثاني: أثر السياق القرآني في إبراز مناسبة المقطع للمقطع المجاور له.

المطلب الأول

أثر السياق القرآني في إبراز المناسبة في الآية الواحدة

المقصد الأول: أثر السياق القرآني في إبراز المناسبة في اختيار الكلمة في الآية.

إن كل كلمة في الآية القرآنية متناسبة مع جاراتها الكلمات، وملائمة للسياق الواردة فيه، يقول ابن عطية - رحمه الله - عن إعجاز القرآن البياني: "لو نُزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد"^(١).

وللسياق القرآني أثر في إبراز هذه المناسبة، ومن النماذج التطبيقية في هذا الباب عند ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره:

(١) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِيَّاكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمْ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْنُصُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾^(٢):

"... وفي قوله هاهنا: ﴿إِلَى بَارِيكُمْ﴾ تنبيه على عظم جرمهم، أي: فتوبوا إلى الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره"^(٣).

فورود هذه الكلمة: ﴿بَارِيكُمْ﴾ في هذا السياق مناسب جداً، ففيه تقرير لهم لإعراضهم عن عبادة الذي خلقهم إلى عبادة من لا ينفع ولا يضر في نفسه.

(١) المحرر الوجيز (٤٥ / ١).

(٢) سورة البقرة: ٥٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢٦٥ / ١).

وبيّن الزمخشري - رحمه الله - هذه المناسبة فيقول: "فإن قلت: من أين اختص هذا الموضوع بذكر البارئ؟ قلت: البارئ هو الذي خلق الخلق بريئاً من التفاوت ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ﴾^(١)، و متميزاً بعضه من بعض بالأشكال المختلفة، والصور المتباينة، فكان فيه تقريع بما كان منهم: من ترك عبادة العالم الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الأشكال المختلفة أبرياء من التفاوت والتنافر، إلى عبادة البقرة التي هي مثلٌ في الغباوة والبلادة في أمثال العرب: "أبلد من ثور"، حتى عرضوا أنفسهم لسخط الله، ونزول أمره بأن يفك ما ركبهُ من خلقهم، وينثر ما نظم من صورهم وأشكالهم، حين لم يشكروا النعمة في ذلك، وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها"^(٢).

(٢) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَيْرُونَ﴾^(١٠) فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِّمِينَ ﴿١١﴾^(٣):

"يخبر تعالى عن شدة كفر قوم شعيب وتمردهم وعتوهم، وما هم فيه من الضلال، وما جبلت عليه قلوبهم من المخالفة للحق، ولهذا أقسموا وقالوا: ﴿لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَيْرُونَ﴾^(١٠)، فلهذا عقب ذلك بقوله: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِّمِينَ﴾^(١١)، أخبر تعالى ها هنا أنهم أخذتهم الرجفة كما أرجفوا شعيباً وأصحابه وتوعدوهم بالجلاء، كما أخبر عنهم في سورة "هود" فقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِّمِينَ﴾^(١٤)، والمناسبة في ذلك

(١) سورة الملك: جزء من الآية ٣.

(٢) الكشاف (١/٦٩)، وينظر تفسير الرازي (٣/٨٠)، والنسفي (١/٩٠)، والنيسابوري (١/٢٨٩)، وأبي السعود (١/١٠٢).

(٣) سورة الأعراف: ٩٠-٩١.

(٤) سورة هود: ٩٤.

-والله أعلم -أنهم لما تهكموا بنبي الله شعيب في قولهم: ﴿أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (١٨٧)، فجاءت الصيحة فأسكتتهم.

وقال تعالى إخباراً عنهم في سورة الشعراء: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٨٩)، وما ذاك إلا لأنهم قالوا له في سياق القصة: ﴿فَأَسْقَطَ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١٨٧)، فأخبر أنه أصابهم عذاب يوم الظلة، وقد اجتمع عليهم ذلك كله: أصابهم عذاب يوم الظلة، وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار وهب ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم، فزهقت الأرواح، وفاضت النفوس وخمدت الأجساد، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِّيمِينَ﴾ (١١) (٤).

فبين -رحمه الله- أنه اجتمعت عليهم هذه الصنوف من العذاب، ولكن ذكر في كل موطن نوع منه بما يناسب السياق الوارد فيه.

وهذا واضح ولا مزيد على توضيحه -رحمه الله-، وإن كان هذا المثال في باب المتشابه اللفظي إلا أن الأصل فيه هو مناسبة اللفظ أو الكلمة للسياق.

(١) سورة هود: جزء من الآية ٨٧.

(٢) سورة الشعراء: ١٨٩

(٣) سورة الشعراء: ١٨٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم (٣/٤٤٨-٤٤٩).

المقصد الثاني

أثر السياق القرآني في إبراز المناسبة بين الجمل في الآية.

إن الجمل القرآنية تترابط وتتعانق من خلال المناسبة بينها، لتؤدي المعنى بوضوح، والذي يدل على هذه المناسبة هو السياق القرآني.

ومن الأمثلة التطبيقية على هذا الباب في تفسير ابن كثير - رحمه الله - .:

(١) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٨٣) (١):

"... ناسب أن يأمرهم بأن يقولوا للناس حسناً، بعد ما أمرهم بالإحسان إليهم بالفعل، فجمع بين طرفي الإحسان الفعلي والقولي" (٢).

ولا مزيد على توضيحه - رحمه الله -.

(٢) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٨٩) (٣):

"... ووجه اقتران قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ مع قوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا

عَلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾ أن المراد - والله أعلم -: إن الذي فرض عليك تبليغ الكتاب الذي أنزله عليك،

(١) سورة البقرة: ٨٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٢١)

(٣) سورة النحل: ٨٩.

سأثلك عن ذلك يوم القيامة" (١).

هكذا وَجَّهَ المناسبة - رحمه الله - بين الجملتين في الآية بحسب منظوره السياقي، بينما نجد أنَّ الفخر الرازي - رحمه الله - يخالفه من منظور سياقي أيضاً فيقول: "وجه تعلق هذا الكلام بما قبله" (٢): أنه تعالى لما قال: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾، بيَّن أنه أزاح عِلَّتَهُمْ فيما كلفوا، فلا حُجَّةَ لهم ولا معذرة" (٣).

ولعلَّ توجيه الفخر الرازي - رحمه الله - أنسب للسياق، ولكن العبرة بأثر السياق في إظهار التناسب في الآية، وهذا يختلف باختلاف تدبر المفسر للسياق، وإعمال فكره للربط بين أجزائه.

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٥٩٥).

(٢) أي قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾.

(٣) التفسير الكبير (٢٠/٩٩)، وينظر: البحر المحيط لأبي حيان (٥/٥١١).

المقصد الثالث

أثر السياق القرآني في إبراز مناسبة خاتمة الآية لسياقها.

إن الآية القرآنية تُختم وتُذيل بما يناسب سياقها، وفي هذا يقول الزركشي - رحمه الله - :
 "اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة: مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء
 فيها بما يشاكله، فلا بُدَّ أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً، وإلا خرج بعض الكلام عن
 بعض" (١).

ثم قال: "وهذا الباب يُطْلَعُكَ على سرِّ عظيم من أسرار القرآن، فاشدد يدك به" (٢).

ومن النماذج التطبيقية لابن كثير - رحمه الله - في هذا الباب:

(١) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَمْحُوقُ اللَّهُ الرَّبَّوَاتِ وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ

كفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٧٦﴾ (٣):

"... ولا بد من مناسبة في ختم هذه الآية بهذه الصفة، وهي أن المرابي لا يرضى بما قسم
 الله له من الحلال، ولا يكتفي بما شرع له من التكسب المباح، فهو يسعى في أكل أموال الناس
 بالباطل، بأنواع المكاسب الخبيثة، فهو جحودٌ لما عليه من النعمة، ظلومٌ آثمٌ بأكل أموال الناس
 بالباطل" (٤).

فربط - رحمه الله - بين الدافع للمرابي في ربه، وهو عدم الرضا بما أعطاه الله من

الكسب الحلال، فيجحد بذلك نعمة الله عليه، ويظلم الناس بأكل أموالهم بالباطل.

(١) البرهان (١/٧٨).

(٢) نفس المرجع (١/٧٩).

(٣) سورة البقرة: ٢٧٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم (١/٧١٩-٧٢٠).

ونجد أن الطاهر بن عاشور - رحمه الله - يُعَبِّرُ بطريقة أخرى، ومن منظور سياقي أيضاً، فيقول: "جملة ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ معترضة بين أحكام الربا، ولما كان شأن الاعتراض لا يخلو من مناسبة بينه وبين سياق الكلام، كان الإخبار بأن الله لا يحب جميع الكافرين مؤذناً بأن الربا من شعار أهل الكفر، وأنهم الذين استباحوه فقالوا: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾، فكان هذا تعريضاً بأن المرابي مُتَّسِمٌ بخلال أهل الشرك" (١).

والشاهد هنا أن للسياق أثر في ختم الآية، وإن اختلفت تعبيرات المفسرين، أو حتى تحديد المناسبة بحسب اختلافهم في تدبر السياق، والربط بن أجزاءه.

(٢) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٣٠) (٢):

"... ثم قال تعالى مؤكداً ومهدداً ومتوعداً: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ أي: يخوفكم عقابه، ثم قال مُرجياً لعباده لئلا ييأسوا من رحمته، ويقنطوا من لطفه: ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾" (٣).

فذكر - رحمه الله - أن المناسبة في هذا: لكي لا ييأس العبد من رحمة الله؛ لقوة التهديد والتوعد في قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، وليجمع بين الخوف والرجاء، الخوف الباعث على ترك المعاصي، والرجاء الباعث على العمل الصالح، فيستقيم للمرء عندئذ دينه.

(١) التحرير والتنوير (٥٥٨/٢)، وينظر البحر المحيط لأبي حيان (٣٥٠/٢).

(٢) سورة آل عمران: ٣٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣١/٢). وينظر: تفسير ابن عطية (١٩٦/٢)، وأبي حيان (٤٤٨/٢).

المطلب الثاني

أثر السياق القرآني في إبراز المناسبة بين الآيات المتتابعة.

كما أن للسياق القرآني أثر في إظهار المناسبة في الآية الواحدة، فإن له أثر في إظهار المناسبة بين الآيات المتتابعة.

وسيتم ذكر نماذج على ذلك من خلال تفسير ابن كثير - رحمه الله - في المقاصد التالية:

المقصد الأول: أثر السياق القرآني في إبراز مناسبة الآية للآية المجاورة لها.

المقصد الثاني: أثر السياق القرآني في إبراز مناسبة المقطع للمقطع المجاور له.

المقصد الأول

أثر السياق القرآني في إبراز مناسبة الآية للآية المجاورة لها.

يُبرز ابن كثير - رحمه الله - التناسب بين الآيات المتتابعة من خلال تأمله وتدبره للسياق، فمن ذلك:

(١) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُهُ وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(١):

" يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ تَفْرُدِهِ بِالْإِلَهِيَّةِ، وَأَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا عَدِيلَ لَهُ، بَلْ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ... ثُمَّ ذَكَرَ الدَّلِيلَ عَلَى تَفْرُدِهِ بِالْإِلَهِيَّةِ بِتَفْرُدِهِ بِخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِمَّا ذَرَأَ وَبَرَأَ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْقُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^{(٢) (٣)}.

فبيّن - رحمه الله - أن مناسبة الآية الثانية: هي التدليل على موضوع الآية الأولى الذي

هو انفراد الله - عز وجل - بالألوهية، واستحقاقه لها، وحده لا شريك له^(٤).

وهذا يتضح عند تدبر سياق الآيتين، ثمّ النظر في وجه الربط المناسب.

(١) سورة البقرة: ١٦٣.

(٢) سورة البقرة: ١٦٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/٤٧٨).

(٤) ينظر: البحر المحيط (١/٦٣٨)، فتح القدير (١/٣٠٤)، التحرير والتنوير (٢/٧٥).

(٢) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَىٰكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾^(١):

"... والحكمة في ذكر عجلة الإنسان هاهنا: أنه لما ذكر المستهزئين بالرسول - صلوات

الله وسلامه عليه - وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم واستعجلت، فقال الله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾؛ لأنه تعالى يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، يؤجل ثم يعجل، ويُنظر ثم لا يؤخر؛ ولهذا قال: ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾ أي: نقيمي وحكمي واقتداري على من عصاني، ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾^(٢).

ويؤيد الطاهر بن عاشور ابن كثير - رحمهما الله - حيث يقول:

"جملة: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ معترضة بين جملة: ﴿وَإِذَا رَأَىٰكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وبين جملة: ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾، جعلت مقدمة لجملة: ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾. أما جملة: ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾ فهي معترضة بين جملة: ﴿وَإِذَا رَأَىٰكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ و﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾، وبين جملة: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾^(٣)؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَىٰكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ يثير في نفوس المسلمين تساؤلاً عن مدى إمهال المشركين، فكان قوله تعالى: ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ استئنافاً بيانياً جاء معترضاً بين الجمل التي تحكي أقوال المشركين وما تفرع عليها، فالخطاب إلى المسلمين الذين كانوا يستبطنون حلول الوعيد الذي توعد الله تعالى به المكذبين.

(١) سورة الأنبياء: ٣٦-٣٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥/٣٤٣).

(٣) سورة الأنبياء: جزء من الآية ٣٨.

ومناسبة موقع الجملتين: أن ذكر استهزاء المشركين بالنبي -عليه الصلاة والسلام- يبيح حنق المسلمين عليهم، فيؤدُّوا أن ينزل بالمكذبين الوعيد عاجلاً، فخطبوا بالتريث، وأن لا يستعجلوا ربهم؛ لأنه أعلم بمقتضى الحكمة في توقيت حلول الوعيد، وما في تأخير نزوله من المصالح للدين، وأهمها: مصلحة إمهال القوم حتى يدخل منهم كثير في الإسلام^(١).

وإن كان غيرهما يخالفهما^(٢)، لأنه نظر للسياق بمنظور آخر: فربط الآية بما بعدها، وهو

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣٨).

بينما ابن كثير والطاهر بن عاشور -رحمهما الله- ربطاها بما قبلها: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ

كَفَرُوا إِنْ يَخِذُّونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾.

وبقطع النظر عن الراجح من القولين، ما يهمننا هو أن طريقة هؤلاء الأئمة في إبراز

المناسبة بين الآيات هي: النظر في السياق القرآني، مما يؤكد على أثر السياق القرآني في إبراز

المناسبة بين آيات القرآن الكريم.

(١) التحرير والتنوير (١٧/٤٩-٥٠).

(٢) ينظر: الكشاف (٣/١١)، والمحزر الوجيز لابن عطية (٦/١٦٧، ١٦٩-١٧٠).

(٣) سورة الأنبياء: ٣٨.

المقصد الثاني

أثر السياق القرآني في إبراز مناسبة المقطع للمقطع المجاور له.

إنَّ المقاطع المتجاورة ترتبط بروابط ووشائج متناسبة لتؤدي الغرض العام للسورة،
وإنَّ السياق القرآني له أثر بالغ في الكشف عن الرابط المناسب بين هذه المقاطع.

ومن تطبيقات الإمام ابن كثير - رحمه الله - في هذا الباب:

(١) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقصة مريم في قوله تعالى: ﴿وَأُذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ
مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ (١٦) الآيات (١):

" لما ذكر تعالى قصة زكريا - عليه السلام -، وأنه أوجد منه في حال كبره وعقم زوجته
ولداً زكياً طاهراً مباركاً، عطف بذكر قصة مريم في إيجاده ولدها عيسى - عليهما السلام - منها
من غير أب، فإنَّ بين القصتين مناسبة ومشابهة؛ ولهذا ذكرهما في آل عمران وهاهنا وفي سورة
الأنبياء، يقرن بين القصتين لتقارب ما بينهما في المعنى، ليُدلَّ عباده على قدرته وعظمة سلطانه،
وأنه على ما يشاء قادر" (٢).

وقال - رحمه الله - في موطن آخر: "هكذا قرن تعالى قصة مريم وابنها عيسى - عليه
السلام - بقصة زكريا وابنه يحيى - عليهما السلام -، فيذكر أولاً قصة زكريا، ثم يتبعها بقصة
مريم؛ لأن تلك موطئة لهذه، فإنها إيجاد ولد من شيخ كبير قد طعن في السن، ومن امرأة عجوز
عاقرة لم تكن تلد في حال شبابها، ثم يذكر قصة مريم - وهي أعجب -، فإنها إيجاد ولد من أنثى
بلا ذكر" (٣).

(١) سورة مريم: ١٦-٣٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥/٢١٨-٢١٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٥/٣٧١)، وينظر البحر المحيط لأبي حيان (٦/١٦٩)، ونظم الدرر للبقاعي

(١٢/١٨١-١٨٢).

فقد استخلص - رحمه الله - هذه المناسبة من خلال النظر في سياق القصتين وتدبره، وتأمل وجه الربط بينهما، فكانت هذه النتيجة وما أحسنها من نتيجة، فرحمه الله ورضي عنه.

(٢) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ (٤١) الآيات^(١):
" لما ذكر تعالى حال أصحاب اليمين: عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال، فقال:

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ (٤١) " (٢).

والتناسب هنا واضح، فقد ذكر تعالى الضدين، وكثيراً ما يقرن بين وصف نعيم أهل الجنة؛ ليرغب فيها فيُسلك سبيلها، ووصف عذاب أهل النار؛ ليحذر منها فيُجتنب سبيلها. وبهذا يتضح أثر السياق القرآني في إبراز المناسبة بين المقاطع في السورة القرآنية.

(١) سورة الواقعة: ٤١-٥٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٧/٥٣٧).

المبحث الثالث

أثر السياق القرآني في توجيه التشابه اللفظي

في تفسير ابن كثير

إن للقرآن الكريم دقائق في أسلوبه البياني، فألفاظه وتراكيبه اختيرت بعناية لتناسب مع سياقها الواردة فيه، فقد تأتي بعض الآيات متحدة المعاني، متشابهة المباني، كأن تأتي بفواصل شتى، وأساليب مختلفة، زيادة ونقصاً، أو تقديماً وتأخيراً، أو ذكراً و حذفاً، أو إفراداً وجمعاً، أو تعريفاً وتنكيراً، أو تذكيراً وتأنيثاً، أو إيجازاً وإطناباً، أو إبدال حرف مكان حرف، أو كلمة بكلمة أخرى... الخ^(١).

والسياق هو السبب الرئيس لهذا الاختلاف في المبنى؛ لتناسب الألفاظ مع الجمل الواردة فيها، والغرض العام للسورة، فالألفاظ خادمة لأغراض السورة، يقول الإمام البقاعي - رحمه الله -: " إن كل سورة أعيدت فيها قصة؛ فلمعنى ادّعي في تلك السورة، استدل عليه بتلك القصة، غير المعنى الذي سيقت له في السورة السابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض، وتغيرت النظم بالتأخير والتقديم، والإيجاز والتطويل، مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت عليه القصة"^(٢)، وهذا مظهر من مظاهر الإعجاز.

ولما كان السياق هو المهيمن على اختيار الألفاظ والأساليب؛ كان هو نفسه المهيمن على توجيه هذا التشابه اللفظي، ولذلك كل من كتب في توجيه التشابه اللفظي في القرآن الكريم اعتمد اعتماداً كبيراً على السياق في ذلك، سواء كان سياق المقطع أو سياق السورة، كالخطيب

(١) ينظر: مقدمة محقق درة التأويل (١/ ٥٥).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/ ١٤).

الإسكافي^(١)، والكرماني^(٢)، وابن الزبير الغرناطي، وابن جماعة^(٣)، وأبي يحيى الأنصاري^(٤)، وغيرهم.

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني الرازي، المعروف بالخطيب الاسكافي، الخطيب لأنه تولى الخطابة في الري، والاسكافي نسبة إلى حرفة الاسكاف وتعني صانع الأحذية ومصالحها، وقيل الخفاف، وقيل غير ذلك، وهو أديب لغوي وصاحب تصانيف حسنة، منها: غلط كتاب العين، وشواهد كتاب سيبويه، "ودرة التنزيل وغرة التأويل" في الآيات المتشابهة، وغيرها. توفي سنة ٤٢٠هـ.

معجم الأدباء (٣٥٢ / ٥)، الوافي بالوفيات للصفدي (٢٧١ / ٣)، بغية الوعاة (١٤٩ / ١).

(٢) هو تاج القراء أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، إمام مفسر- مقرئ نحوي، دقيق الفهم وحسن الاستنباط، صنّف: لباب التفسير، والبرهان في متشابه القرآن، والإيجاز في النحو، وغيرها. توفي بعد سنة ٥٠٠هـ.

معجم الأدباء (٤٨٨ / ٥)، غاية النهاية لابن الجزري (٢٩١ / ٢)، طبقات المفسرين للداودي (٣١٢ / ٢)

(٣) هو القاضي بدر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، ولد سنة ٦٣٩هـ، اشتغل بالعلم فحصل علوماً متعدّدة، وتقدّم وساد الأقران، وولي قضاء بيت المقدس مدّة ثم مصر ثم دمشق، صنّف: كشف المعاني في المتشابه المثاني، وعلوم الحديث، ومناسك الحج، وغيرها. توفي سنة ٧٣٣هـ.

فوات الوفيات للكتبي (٢٩١ / ٢)، الدرر الكامنة (٤ / ٥)، طبقات المفسرين للداودي (٥٣ / ٢).

(٤) هو القاضي زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الزين الأنصاري السنيكي القاهري الأزهري الشافعي، ولد في سنة ٨٢٦هـ، مفسر محدث فقيه، أكثر من التصنيف، ومن مصنفاته: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن، وتحفة الباري على صحيح البخاري، وشرح ألفية العراقي في مصطلح الحديث، وغيرها. توفي سنة ٩٢٦هـ.

الضوء اللامع (٢٣٤ / ٣)، طبقات المفسرين للأدنه وي ص ٣٦٢، الأعلام للزركلي (٤٦ / ٣).

ومن أمثلة استخدام الإمام ابن كثير - رحمه الله - للسياق القرآني في توجيهه المتشابه اللفظي:

(١) ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (٤٩)^(١)، حيث يقول:

"وهنا فسر - العذاب بذبح الأبناء، وفي سورة إبراهيم عطف عليه، كما قال: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ (٢)،... وإنما قال ههنا: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ ليكون ذلك تفسيراً للنعمة عليهم في قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾، ثم فسره بهذا لقوله ههنا: ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾، وأما في سورة إبراهيم فلما قال: ﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا اللَّهُ﴾ (٣) أي بأياديه ونعمه عليهم، فناسب أن يقول هناك: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾، فعطف عليه الذبح ليدل على تعدد النعم والأيادي" (٤).

فابن كثير - رحمه الله - نظر إلى السياق واستخلص هذا التوجيه، وهو أن الله - عز وجل - يخاطب بني إسرائيل ويذكرهم بنعمته: ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾، ثم بين النعم التي من جملتها إنجائهم من سوء عذاب آل فرعون، وفسر هذا العذاب بقوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾، وأما في سورة إبراهيم فالله - عز وجل - أمر موسى - عليه السلام - بتذكيرهم بنعم الله وأياديه فقال له: ﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا اللَّهُ﴾، فامتثل - عليه السلام - وأخذ

(١) سورة البقرة: ٤٩.

(٢) سورة إبراهيم: جزء من الآية ٦.

(٣) سورة إبراهيم: جزء من الآية ٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٦١-٢٦٢).

يذكرهم بنعم الله عليهم، فقال: ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أُنجَاكُمْ مِنْ عَائِلِ فِرْعَوْنَ يُسْؤِمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدْحِجُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾، فغاير بين العذاب والذبح، إذ الواو تقتضي المغايرة، فجعل سوء العذاب إشارة إلى جملة ما امتحنوا به من فرعون وقومه: من إذلالهم وتعذيبهم واستخدامهم في الخدمة وغير ذلك، وَخَصَّ إِنْجَاءَهُمْ مِنَ الذَّبْحِ فَعَطَفَ عَلَيْهِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ نَوْعٌ آخَرَ مِنَ النِّعَمِ، وَهُوَ أَنْ يُنْجَاَهُمْ مِنَ التَّدْبِيحِ غَيْرِ إِنْجَاءِهِمْ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ، وَهَذَا مِنْ كَلَامِ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- امْتِثَالاً لِأَمْرِ بِتَعْدَادِ النِّعَمِ عَلَيْهِمْ.

ويوافق ابن كثير في ذلك الكرمانى، وابن جماعة، والأنصارى، ممن كتب في توجيه المتشابه اللفظي -رحم الله الجميع-.

فيقول الكرمانى -رحمه الله -: "قوله: ﴿يُدْحِجُونَ﴾ بغير واو هنا على البدل من ﴿يُسْؤِمُونَكُمْ﴾، وفي الأعراف: ﴿يَقْتُلُونَ﴾، وفي إبراهيم: ﴿وَيُدْحِجُونَ﴾ بالواو؛ لأن ما في هذه السورة والأعراف^(١) من كلام الله تعالى، فلم يرد تعداد المحن عليهم، والذي في إبراهيم من كلام موسى فعدد عليهم، وكان مأموراً بذلك في قوله: ﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا اللَّهُ﴾^(٢).
وينحوه قال ابن جماعة^(٣) والأنصارى^(٤).

(١) في الأعراف: ﴿وَإِذْ أُنجَاكُمْ مِنْ عَائِلِ فِرْعَوْنَ يُسْؤِمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (الأعراف: ١٤١) الشاهد فيها: ترك العطف في: ﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾.

(٢) البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ص ٧٢.

(٣) كشف المعاني في المتشابه المثاني ص ١٠١.

(٤) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن ص ٢٤-٢٥.

وأما ابن الزبير الغرناطي - رحمه الله - فقد نظر بمنظور آخر، وهو النظر إلى سياق السورة وطريقتها في عرض القصص والغرض منها، فقال: "إن هذه السورة مبنية على الإجمال والإيجاز فيما تضمنته من قصص الرسل وغير ذلك، ولم يُقصد فيها بسط قصة كما ورد غيرها مما بني على الاستيفاء، وكلا المرتكبين مقصود معتمد للعرب:

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء^(١)

وعلى ذلك جرى خطابهم في الكتاب العزيز،... فلما كان مبنى سورة إبراهيم - عليه السلام - على الإيجاز فيما تضمنت من هذه القصص افتتاحاً واختتاماً؛ لقوله تعالى: ﴿يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾^(٢) وما بعد هذا من الآي، وإنه انضم في هذه السورة إلى قصد الإيجاز: تغليظ الوعيد، فلبنائها على هذين الغرضين ورد فيها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدَّبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾، فأشار قوله سبحانه: ﴿يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ إلى جملة ما امتحنوا به من فرعون وآله: من استخدامهم وإذلالهم بالأعمال الشاقة وامتهانهم، واستحياء نسائهم لذلك، وذبح الذكور، فلما وقعت الإشارة إلى هذه الجملة مما كانوا يمتحنونهم به، جرد منها وعين بالذكر أشدها وأعظمها، فجيء به معطوفاً كما أنه مغاير لما تقدمه، فقيل: ﴿وَيَدَّبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾. فعُيِّن من الجملة هذا، وُخِّصَّ بالذكر تعريفاً بمكانه وشدة الأمر فيه، وهو مما أجمل أولاً وشمله الكلام المتقدم.

(١) البيت لأبي داود بن جرير الأبادي. انظر العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (٢/ ٢٧٥) و (٤/ ٥٥).

(٢) سورة إبراهيم: جزء من الآية ٩.

كما ورد في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ﴾^(١) ثم قال: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾^(١)، فخصَّهما بالذكر والتعيين إعلماً بمكانهما في الملائكة بعد أن شملهم قوله: ﴿وَمَلَائِكَتِهِ﴾، فالوارد في سورة إبراهيم من هذا القبيل، وقد تبين وجهه، واتضح مناسبتة، والله أعلم بما أراد.

وأما إعراب آية البقرة: فيمكن في قوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ أن يحمل على البدل، وعلى الاستئناف وهو الأولى، وكأن قد قيل: وما ذاك؟ فقيل: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾، ولا إشكال في الأخرى^(٢).

وفي الآية متشابهات لفظية أخرى لم يذكرها ابن كثير - رحمه الله - ففي سورة البقرة: ﴿نَجِّنَاكُمْ﴾، وفي الأعراف: ﴿أُنَجِّنَاكُمْ﴾، وفي إبراهيم: ﴿أُنَجِّنَاكُمْ﴾، وفي سورة البقرة وإبراهيم: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ وفي الأعراف: ﴿يُقْتَلُونَ﴾، وأحيل في توجيهها إلى كتب توجيهه المتشابه اللفظي رغبة في عدم الإطالة^(٣).

(٢) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(٤)، قال:

"... ثم ذكر أن البيت إنما أُسِّسَ لمن يعبد الله وحده لا شريك له: إما بطواف أو صلاة، فذكر في سورة الحج أجزاءها الثلاثة: قيامها وركوعها وسجودها، ولم يذكر العاكفين؛ لأنه تقدم ﴿سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾^(٥)، وفي هذه الآية الكريمة: ذكر الطائفين والعاكفين واجتراً

(١) سورة البقرة: جزء من الآية ٩٨.

(٢) ملاك التأويل (١/ ٢٠٠-٢٠٢).

(٣) ينظر المصادر السابقة من كتب توجيه المتشابه اللفظي بنفس المواضع.

(٤) سورة البقرة: ١٢٥.

(٥) سورة الحج: جزء من الآية ٢٥.

بذكر الركوع والسجود عن القيام؛ لأنه قد عَلِمَ أنه لا يكون ركوع ولا سجود إلا بعد قيام^(١).

فاستند - رحمه الله - إلى السياق، فَعَلَّلَ عدم ذكر القيام في سورة البقرة؛ بذكر أهم أركانها: الركوع والسجود، وَعَلَّلَ عدم ذكر العكوف في سورة الحج بتقدم ذكرها في قوله: ﴿سَوَاءٌ أَلْعَكِفُ فِيهِ وَالْبَادُ﴾.

وَيُفَصِّلُ في هذا ابن الزبير الغرناطي، فيقول: "للسائل أن يسأل عن تخصيص سورة البقرة بقوله: ﴿وَالْعَكِيفِينَ﴾، وتخصيص سورة الحج بقوله: ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾، مع اتحاد الأمر بتطهير البيت لمن ذكر في الموضعين؟!

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن المراد بالقائمين هنا: ذوو الإقامة والملازمة على صفة مخصوصة، وإذا أُريد بالقائمين هذا، فهو والعكوف مما يصح أن يُعَبَّرَ بأحدهما عن الآخر، مع أن لفظ العكوف أخص بالمقصود، فيكون خصوص آية الحج بقوله: ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾؛ لتقدم ذكر العكوف في قوله قبل الآية: ﴿سَوَاءٌ أَلْعَكِفُ فِيهِ وَالْبَادُ﴾.

فلما تقدم ذكر العكوف متصلاً بالآية؛ وقع الاكتفاء بذلك، وعدل عن التكرار الذي من شأن العرب العدول عنه، إلا حيث يراد تعظيم أو تهويل، نحو قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ﴾ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وشبه ذلك.

ولما لم يقع ذكر العكوف قبل آية البقرة ولا بعدها وهو مراد لكونه أخص بالمقصود، لم يكن بدُّ من الإفصاح، وكأن قد قيل في آية الحج: والقائمين معتكفين، فأغنى ذكرهم متقدماً عن الإتيان به حالاً مبنية، وأغنى قوله في آية البقرة: ﴿وَالْعَكِيفِينَ﴾ عن قوله:

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٢٥).

(٢) سورة الحاقة: الآيتين ١-٢.

﴿وَالْقَائِمِينَ﴾؛ لأن العكوف: الملازمة، وهو المراد بالقيام، فورد كل على ما يجب ويناسب، وقوله: ﴿وَالرُّكْعَ السُّجُودَ﴾ يراد به: المصلون.

ومن قال: إن المراد بقوله: ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾: المصلون^(١)، فوجهه أن ذكر العكوف قد حصل فيما تقدم فاكتفى به، ولم يكن قد وقع قبل آية البقرة ولا بعدها، فلم يكن بد من ذكره، وعبر عن المصلين بالركع والسجود، وتحصل أنه المقصود في الآيتين، ووردتا على ما يجب ويلائم، والله أعلم بما أراد^(٢).

(٣) ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾^(٣)، حيث يقول:

" وقوله تعالى: ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ قال ابن عباس وقتادة والسدي: هو الفقر، أي: ولا تقتلوه من فقركم الحاصل، وقال في سورة سبحان^(٤): ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾^(٥) أي: خشية حصول فقر في الأجل، ولهذا قال هناك: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾^(٥)، فبدأ برزقهم للاهتمام بهم، أي: لا تحافوا من فقركم بسببهم، فرزقهم على الله، وأمّا في هذه الآية: فلما كان الفقر حاصلًا قال: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾؛ لأنه الأهم هاهنا والله أعلم^(٦).

(١) وهذا ما ذهب إليه ابن كثير - رحمه الله -.

(٢) ملاك التأويل (١/ ٢٣٢-٢٣٣).

(٣) سورة الأنعام: ١٥١.

(٤) أي: سورة الإسراء، فمن أسماها سورة سبحان لابتدائها بالتسبيح: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾.

(٥) سورة الإسراء: جزء من الآية ٣١.

(٦) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٦٢)، وقد ذكره مختصراً في تفسير آية الإسراء (٥/ ٧٢).

فَعَلَّلَ - رحمه الله - التشابه في قوله: ﴿تَحْنُ نَزْرُقُكُمْ وَإِيَاهُمْ﴾ في سورة الأنعام، وقوله: ﴿تَحْنُ نَزْرُقُهُمْ وَإِيَاكُمْ﴾ في سورة الإسراء؛ بسياق كل منهما. فسياق سورة الأنعام كان سبب قتل الأولاد فيه هو: الفقر الحاصل للآباء قبل ولادة الأبناء، فَهِيَ اللهُ عَنْ قَتْلِهِمْ، وَوَعَدَ بِرِزْقِهِمْ أَي: الآباء، وَمِنْ ثَمَّ رِزْقُ الْأَبْنَاءِ، فَقَدَّمَ رِزْقَ الْآبَاءِ؛ لِأَنَّ هَذَا أَيْ -فقرهم- هو الباعث على قتل الأولاد، بينما في سورة الإسراء كان السياق يدلُّ على أن سبب قتل الأبناء هو: خوف الآباء من الفقر في الآجل بسببهم، فنهاهم الله عن ذلك، ووعدهم برزق الأبناء أولاً ليزول هذا الخوف الباعث على قتلهم.

ويوافق الخطيبُ الإسكافي - رحمه الله - الحافظُ ابن كثير - رحمه الله - على هذا التوجيه، ويُقدِّمُ أولاً بمقدمة يُقول فيها: "ليس الضميران إذا اتصلا بالفعل كالضميرين إذا انفصل أحدهما وعطف على الآخر؛ لأن قوله: أكرمته وإياك مثل قوله: أكرمتك وإياه، في أن كل واحد منهما مختار في مكانه الذي يوجب تقديم ما قُدِّمَ وتأخير ما أُخِّرَ، بخلاف ما يختار إذا اتصلا بالفعل في مثل أعطيتكه" (١).

فهو يُبيِّن أن: ﴿تَحْنُ نَزْرُقُكُمْ وَإِيَاهُمْ﴾ مثل: ﴿تَحْنُ نَزْرُقُهُمْ وَإِيَاكُمْ﴾، ولكن للتقديم والتأخير في الموضوعين مناسبة في السياق تستدعي ذلك.

ويأتي ابن الزبير الغرناطي - رحمه الله - فيجلي هذا التوجيه، ويستخلص فائدة من سياق النص، فيقول: "المخاطبين بآية الأنعام إنَّما كان فعلهم ذلك من أجل الفقر الحاصل حين فعلهم ذلك، فالحاصل لهم على قتلهم قد كان حاصلًا حال قتلهم، فقيل: ﴿مَنْ إِمْلَقِي﴾، أي: من أجل الإملاق الحاصل، ثم قيل لهم: ﴿تَحْنُ نَزْرُقُكُمْ وَإِيَاهُمْ﴾ فقدَّم رزقه -تعالى- لهم لحصول فقرهم في الحال ليكون أَمْنَعُ لهم، وكأنَّ السياق يشعر بتشفيع الأولاد في رفع فقر

(١) درة التنزيل وغرة التأويل (٢/ ٥٦١-٥٦٢).

الآباء القتالين، فكأنَّ قد قيل لهم: إنما ترزقون بهم فلا تقتلوهم، فتأكَّد تقديم ضمير الآباء لهذا الغرض.

وأما في الآية الأخرى فقصد بها كفار العرب، وكان وأدهم البنات خشية الفقر المتوقع، والعجز عن مؤنتهن فيما يتوقعونه مستقبلاً^(١)، فقيل: ﴿خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ﴾، فجعلت الخشية هي العلة في فعلهم، فانصب على ذلك، والمعلول الذي هو: الإملاق لم يقع بعد، وضمن تعالى لهم رزقهم ورزق أولادهم، ودفع ذلك المتوقع ليرفع خشيتهم، فلهذا قدَّم هنا ضمير الأولاد ثم عطف عليه ضمير الآباء، وكان الأهم هنا فقدم، وجاء كلُّ في الموضعين على ما يجب ويناسب، والله أعلم^(٢).

فمن خلال هذه النماذج التطبيقية يتضح جلياً أثر السياق القرآني في توجيه المشابه اللفظي، وأنه لا يتم ذلك بمعزل عن النظر في السياق وتدبره^(٣).

(١) قلت: وفي الآية الأولى كذلك قصد بها كفار العرب؛ لأنهم المخاطبون بذلك، فمن مجموع الآيتين: نخلص إلى أن من الناس من يقتل أولاده بسبب فقره الحاصل، ومنهم من يقتلهم خشية الفقر بسببهم، فنهى كلا الفريقين عن ذلك، والله أعلم.

(٢) ملاك التأويل (١/٤٧٩-٤٨٠).

(٣) يُنظر بقية الأمثلة في تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير - رحمه الله -: (١/٢٨٣) البقرة: ٦١، (١/٤٢٩) البقرة: ١٢٦، (٢/٤٤) آل عمران: ٤٧، (٤/٢٣٤-٢٣٥) التوبة: ١٢٢، (٧/١٨١)

المبحث الرابع

أثر السياق القرآني في دفع إيهام الإشكال في القرآن الكريم

في تفسير ابن كثير

إن الله قد وصف كتابه بأنه نور مبين، وبيان للناس، وفرقان بين الحق والباطل، وذكر أنه أنزله تبياناً لكل شيء، وهدى وموعظة للمتقين.

وهذا يقتضي ألا يكون في النصوص ما هو مشكل بحسب الواقع، بحيث لا يمكن لأحد من الأمة معرفة معناها، ولكن قد يشكل على البعض شيء من القرآن دون البعض الآخر بحسب ما عندهم من العلم والفهم، فيكون بذلك متشابه نسبي، أي: بالنسبة إليهم، وبالنسبة للبعض الآخر محكم^(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "قد يشكل على كثير من الناس نصوص لا يفهمونها، فتكون مُشكِّلةً بالنسبة إليهم لعجز فهمهم عن معانيها، ولا يجوز أن يكون في القرآن ما يخالف صريح العقل والحس إلا وفي القرآن بيان معناه، فإن القرآن جعله الله شفاءً لما في الصدور وبياناً للناس، فلا يجوز أن يكون بخلاف ذلك"^(٢).

ويقول الإمام الشاطبي - رحمه الله -: "لا تضاد بين آيات القرآن، ولا بين الأخبار النبوية، ولا بين أحدهما مع الآخر، بل الجميع جارٍ على مهيع واحد، ومنتظم إلى معنى واحد، فإذا أداه بادىء الرأي إلى ظاهر اختلاف فواجب عليه أن يعتقد انتفاء الاختلاف؛ لأن الله تعالى قد شهد له أن لا اختلاف فيه"^(٣).

(١) ينظر: شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين ص: ٣٣.

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/٣٠٧).

(٣) الإعتصام (٣/٣٨٢).

وتوهم الإشكال في القرآن الكريم أنواع، وله أسباب وطرق لدفعه، ليس هنا موضع بسطها خشية الإطالة^(١)، ولكن ما يهمننا في هذا المبحث هو بيان دور السياق في دفع الإشكال، وبيان توافق النصوص الشرعية وعدم تعارضها، فنسلط الضوء على تطبيقات الإمام ابن كثير - رحمه الله - في توظيف السياق القرآني لدفع الإشكال بين النصوص الشرعية، فمن ذلك:

(١) ما جاء في تفسير قوله تعالى - عن قوم شعيب -: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِن

أَتَبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَيْرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾^(٢)، حيث يقول:

" يخبر تعالى عن شدة كفر قوم شعيب وتمردهم وعتوهم، وما هم فيه من الضلال، وما جُبلت عليه قلوبهم من المخالفة للحق، ولهذا أقسموا وقالوا: ﴿ لَئِن أَتَبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَيْرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾، فلهذا عقب ذلك بقوله: ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ ﴾. أخبر تعالى ها هنا أنهم أخذتهم الرجفة كما أرجفوا شعيباً وأصحابه، وتوعدوهم بالجلاء، كما أخبر عنهم في سورة "هود" فقال: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثِيمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾^(٣)، والمناسبة في ذلك - والله أعلم - : أنهم لما تهكموا بنبي الله شعيب في قولهم: ﴿ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾^(٤)، فجاءت الصيحة فأسكتتهم.

(١) ينظر في هذا كتاب: "مشكل القرآن" لعبد الله المنصور. نشر دار ابن الجوزي - الدمام، وأصله رسالة

ماجستير قدمها لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

(٢) سورة الأعراف: ٩٠-٩١.

(٣) سورة هود: ٩٤.

(٤) سورة هود: ٨٧.

وقال تعالى إخباراً عنهم في سورة الشعراء: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٨٩) ﴿١﴾، وما ذاك إلا لأنهم قالوا له في سياق القصة: ﴿فَأَسْقَطَ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١٨٧) ﴿٢﴾، فأخبر أنه أصابهم عذاب يوم الظلة، وقد اجتمع عليهم ذلك كله: أصابهم عذاب يوم الظلة، وهي سحابة أظلمت فيها شرر من نار وهب ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم، فزهقت الأرواح، وفاضت النفوس، وخمدت الأجساد، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾ (٣) ﴿٣﴾. فنجده - رحمه الله - يُصرِّح بدور السياق في دفع الإشكال المتوهم في هذه الآيات، كما في تفسيره للآية (٩٤) من سورة هود، والآية (١٨٩) من سورة الشعراء.

فيقول في تفسير سورة الشعراء: "وقد ذكر الله تعالى صفة إهلاكهم في ثلاثة مواطن، كل موطن بصفة تناسب ذلك السياق، ففي الأعراف ذكر أنهم: أخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين؛ وذلك لأنهم قالوا: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرِينِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ (٤) ﴿٤﴾، فأرجفوا بنبي الله ومن اتبعه، فأخذتهم الرجفة. وفي سورة هود قال: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ (٥) ﴿٥﴾؛ وذلك لأنهم استهزؤوا بنبي الله في قولهم: ﴿أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (٦) ﴿٦﴾، قالوا ذلك على سبيل التهكم والازدراء، فناسب أن

(١) سورة الشعراء: ١٨٩.

(٢) سورة الشعراء: ١٨٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/٤٨٨-٤٤٩).

(٤) سورة الأعراف: جزء من الآية ٨٨.

(٥) سورة هود: جزء من الآية ٩٤.

(٦) سورة هود: جزء من الآية ٨٧.

تأتيهم صيحة تسكتهم، فقال: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ﴾، وهاهنا قالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ

السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١٧٧) ﴿١﴾ على وجه التعنت والعناد، فناسب أن يحق عليهم ما

استبعدوا وقوعه. ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٨٩) ﴿٢﴾ (٣).

وأخيراً نبه - رحمه الله - إلى أن " هذا من الأسرار الغريبة الدقيقة " (٤).

فوجد أنه - رحمه الله - مؤمن بدور السياق في دفع ما يوهم الإشكال، فلذلك أبرز دوره

في دفعه، ولا مزيد توضيح على توضيحه.

(٢) ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا

نُزْرٌ وَازِرَةٌ ۗ وَزَّرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٥) ﴿٥﴾، حيث يقول - رحمه الله - :

" ﴿وَلَا نُزْرٌ وَازِرَةٌ ۗ وَزَّرَ أُخْرَىٰ ۗ﴾ أي: لا يحمل أحد ذنب أحد، ولا يجني جانٍ إلا على

نفسه، كما قال تعالى: ﴿وَلِإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ (٦).

ولا منافاة بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ (٧)، وقوله

وقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ

عِلْمٍ﴾ (٨)، فإن الدعاة عليهم إثم ضلالهم في أنفسهم، وإثم آخر بسبب ما أضلوا من أضلوا،

(١) سورة الشعراء: ١٨٧.

(٢) سورة الشعراء: جزء من الآية ١٨٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٦/١٦١)، وبنحو ذلك ذكره في سورة هود: ٩٤، (٤/٣٤٧).

(٤) المصدر السابق (٤/٣٤٧) عند تفسيره للآية ٩٤ من سورة هود.

(٥) سورة الإسراء: ١٥.

(٦) سورة فاطر: جزء من الآية ١٨.

(٧) سورة العنكبوت: جزء من الآية ١٣.

(٨) سورة النحل: جزء من الآية ٢٥.

من غير أن ينقص من أوزار أولئك، ولا يحملوا عنهم شيئاً. وهذا من عدل الله ورحمته بعباده. (١)

فهو - رحمه الله - يبيّن أنه لا تعارض ولا إشكال بين هذه الآيات، وذلك من خلال توجيه سياق الآيات، وبيان اختصاص كل سياق بمعنى مستقل ومغاير عن الآخر، وفي تفسيره لآية سورة النحل وآية سورة العنكبوت يقوي هذا التوجيه بالأحاديث النبوية، فيقول بعد دفعه لإيهام التعارض بنحو ما سبق:

" وفي الصحيح: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ اتَّبَعَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً) (٢)، وفي الصحيح: (مَا قُتِلَتْ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ) (٣) (٤)

يقول الإمام الشنقيطي بعد أن أورد هذا الإشكال، ووجّهه بنفس توجيه ابن كثير - رحمه الله - واستدل بحديث: (من دعا إلى هدى ...) وأورد له طرقاتاً:

" هذه النصوص الصحيحة تدل على رفع الإشكال بين الآيات (٥).

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/٥٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، عن أبي هريرة برقم (٢٦٧٤)، ولكن لفظه: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، لا ينقص من أجورهم شيئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ اتَّبَعَهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً".

(٣) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذريته برقم (٣٣٣٥)، ومسلم في كتاب الحدود، باب بيان إثم من سنّ القتل، برقم (١٦٧٧)، كلاهما عن عبد الله بن مسعود بلفظ: "لا تقتل نفس ظلماً...". الحديث.

(٤) تفسير القرآن العظيم (٦/٢٦٦-٢٧٦). وقد أورد الحديث الأول دون الثاني عند آية النحل.

(٥) أضواء البيان (٣/٢٥٦)، وينظر تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٣/١٦٦).

وقد يكون طرفي إيهام الإشكال آية كريمة وحديث شريف، ومن أمثلة دفع الإشكال

بينهما في تفسير الحافظ ابن كثير - رحمه الله - :

(١) ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ

نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

يَكُلُّ شَيْءًا عَلِيمًا ﴿٣٢﴾^(١)، حيث يقول:

"... وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: قوله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ

بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ قال: ولا يتمنى الرجل فيقول: "ليت لو أن لي مال فلان وأهله!" فنهى

الله عن ذلك، ولكن يسأل الله من فضله.

وكذا قال محمد بن سيرين^(٢) والحسن والضحاك وعطاء^(٣) نحو ذلك، وهو الظاهر من

الآية.

ولا يرد على هذا ما ثبت في الصحيح: "لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رجل آتاه الله مالا

فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلْكَتِهِ فِي الْحَقِّ، فيقول رجل: لو أن لي مثل ما لفلان لَعَمِلْتُ مثله. فهما في الأجر

(١) سورة النساء: ٣٢.

(٢) هو أبو بكر محمد بن سيرين الأنصاري مولاهم البصري، كان أبوه مولىً لأنس بن مالك - رضي الله

عنه - فكاتبه، ولد محمد لستين بقتينا من خلافة عثمان - رضي الله عنه -، وهو إمام علامة، مفسر -

محدث ثقة ثبت، وكان لا يرى الرواية بالمعنى، فقيه كبير القدر، توفي ١١٠ هـ.

الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/١٩٣)، تاريخ بغداد (٥/٣٣١)، سير أعلام النبلاء (٤/٦٠٦).

(٣) هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم القرشي مولاهم المكي، الإمام شيخ الإسلام، مفتي الحرم، من

أوعية العلم، ولد في أثناء خلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، وحدث عن جمع من الصحابة، توفي

سنة ١١٥ هـ، وقيل غير ذلك.

الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/٤٦٧)، وفيات الأعيان (٣/٢٦١)، سير أعلام النبلاء (٥/٧٨).

سواء" (١) ، فإن هذا شيء غير ما نهت الآية عنه، وذلك أن الحديث حَصَّ على تمني مثل نعمة هذا، والآية نهت عن تمني عين نعمة هذا" (٢).

ف نجد أنه - رحمه الله - دفع الإشكال المتوهم بتوجيه سياق كل من الآية الكريمة والحديث النبوي الشريف، فخلص إلى النتيجة وهي أن ما نهت عنه الآية الكريمة مغاير لما حث عليه الحديث الشريف.

وبهذا التوجيه يُفصّل الإمام أبو جعفر الطحاوي (٣) - رحمه الله - فيقول :

(١) داخل ابن كثير - رحمه الله - بين حديثين:

الأول: حديث لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه علىهلكته في الحق، وتماه "ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها" رواه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود، في كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، برقم (٧٣)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب فضل من يقوم بالقرآن ويُعلّمه، وفضل من تعلّم حكمة من فقه أو غيره فعلم بها وعلمها، برقم (٨١٥).

الحديث الثاني: ما رواه أحمد في مسنده (٢٣٠ / ٤) عن أبي كبشة الأنصاري قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَثَلُ أَرْبَعَةِ نَجْرٍ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَعْمَلُ بِهِ فِي مَالِهِ فَيُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا فَهُوَ يَقُولُ لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ مَا هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ». قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا فَهُوَ يَحْبِطُ فِيهِ يُنْفِقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ لَوْ كَانَ لِي مَالٌ مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ». قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ». وَجَوَّدَ إِسْنَادَهُ الْعِرَاقِيُّ فِي الْمَغْنِيِّ عَنِ حَمَلِ الْأَسْفَارِ فِي الْأَسْفَارِ (١١٦٧ / ٢)، وبنحوه رواه الترمذي في جامعه، في أبواب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، برقم (٢٣٢٥) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢ / ٢٨٧).

(٣) هو أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأزدي الحَجْرِيُّ المِصْرِيُّ الطحاوي الحنفي، ولد سنة ٢٣٩ هـ، إمام عالم مفسر - محدث فقيه، صنّف: أحكام القرآن، وشرح مشكل الآثار، والعقيدة، والمختصر الكبير، والمختصر الصغير، وغيرها. توفي ٣٢١ هـ.

وفيات الأعيان (١ / ٧١)، سير أعلام النبلاء (١٥ / ٢٧)، طبقات المفسرين للداودي (١ / ٧٤).

" الْحَسَدُ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: فَقِسْمٌ مِنْهُمَا حَسَدٌ لِمَنْ أُوتِيَ شَيْئًا عَلَى مَا أُوتِيَهُ مِنْهُ، وَتَمَنٌّ مِنْ الْحَاسِدِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الشَّيْءُ لَهُ دُونَ الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، فَذَلِكَ مَا هُوَ مَذْمُومٌ مِمَّنْ يَكُونُ مِنْهُ، وَقِسْمٌ مِنْهُمَا حَسَدٌ لِمَنْ آتَاهُ اللَّهُ شَيْئًا وَتَمَنٌّ مِنَ الْحَاسِدِ أَنْ يُؤْتَى مِثْلَ ذَلِكَ الشَّيْءِ لَا أَنْ يُنْقَلَ ذَلِكَ الشَّيْءُ بِعَيْنِهِ مِنَ الْمُحْسُودِ حَتَّى يَخْلُوَ مِنْهُ، وَيَكُونُ لِلَّذِي حَسَدَهُ دُونَهُ، وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى هَذَيْنِ الْمُعْنَيْنِ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أَي: حَتَّى يُؤْتِيَكُمْ مِثْلَهُ، وَيَبْقَى مَنْ حَسَدْتُمُوهُ مَعَهُ مَا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ غَيْرَ مُسْتَنْفَصٍ مِنْهُ شَيْئًا، فَكَانَ الْحَسَدُ الَّذِي فِيهِ تَمَنِّي نَقْلِ الشَّيْءِ مِنَ الْمُحْسُودِ عَلَيْهِ عَمَّنْ آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ إِلَى حَاسِدِهِ عَلَيْهِ مَذْمُومًا، وَالْحَسَدُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ ذَلِكَ التَّمَنِّي وَإِنَّمَا فِيهِ حَسَدُ الْحَاسِدِ مِنَ الْمُحْسُودِ عَلَى مَا آتَاهُ اللَّهُ حَتَّى يُؤْتِيَهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ مِثْلَهُ لَيْسَ بِمَذْمُومٍ" (١).

فخلاصة توجيه العلماء: أن النصوص التي تحت على الحسد يراد بها: الغبطة، أي: تمني الشيء مع عدم زواله عن صاحبه، والنصوص التي تدم الحسد يراد بها: حقيقة الحسد، أي: تمني الشيء مع تمني زواله عن صاحبه.

(٢) ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِي الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٥٨)، حيث يقول:

"فإن قيل: فما الجمع بين هذه الآية، وبين ما ثبت في الصحيحين... عن عائشة؛ أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: "لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل ابن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، عليه السلام،

(١) شرح مشكل الآثار (١/٤٠٢).

(٢) سورة الأنعام: ٥٨.

فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم". قال: "فناداني ملك الجبال وسَلَّمَ عَلَيَّ، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وقد بعثني ربك إليك، لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين"، فقال رسول الله ﷺ: "بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله، لا يشرك به شيئاً"، وهذا لفظ مسلم^(١).

فقد عرض عليه عذابهم واستئصالهم، فاستأنى بهم، وسأل لهم التأخير، لعلَّ الله أن يخرج من أصلابهم من لا يشرك به شيئاً.

فما الجمع بين هذا، وبين قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا

تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ ؟

فالجواب - والله أعلم -: أن هذه الآية دلَّت على أنه لو كان إليه وقوع العذاب الذي يطلبونه حال طلبهم له: لأوقعه بهم، وأما الحديث: فليس فيه أنهم سألوه وقوع العذاب بهم، بل عرض عليه ملك الجبال أنه إن شاء أطبق عليهم الأخشبين - وهما جبال مكة اللذان يكتنفانها جنوباً وشمالاً - فلماذا استأنى بهم، وسأل الرفق لهم^(٢).

فوجه - رحمه الله - كل من الآية والحديث بحسب سياقه، وبذلك انتفى الإشكال

المتوهم، وتبيّن تغاير موضوع الآية الكريمة عن موضوع الحديث الشريف.

(١) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة - صلوات الله وسلامه عليهم -، برقم (٣٢٣١)، ومسلم في كتاب المغازي، باب ما لقي النبي - صلى الله عليه وسلم - من أذى المشركين والمنافقين، برقم (١٧٩٥)، واللفظ له، كما قال ابن كثير - رحمه الله -.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٦٤).

وبالنظر إلى الأمثلة السابقة وتوجيه الحافظ ابن كثير - رحمه الله - لها من خلال سياقها، نخلص إلى أن للسياق القرآني أثر مهم و بارز في دفع الإشكالات المتوهمة بين نصوص الكتاب والسنة^(١).

(١) انظر أمثلة أخرى في تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٢٨٨/١) البقرة: ٦٢، (٦٨٧/١) البقرة: ٢٥٦، (٧٢٧/١) البقرة: ٢٨٢، (١٨/٢) آل عمران: ١٣، (١٩/٢) آل عمران: ١٤، (١١٢-١١٣) آل عمران: ١٢٥، (٣٠٧/٣) الأنعام: ١٠٠، (٧٠/٤)، الأنفال: ٤٤، (٢٠٤/٤) التوبة: ١٠١، (٢١٤/٤) التوبة: ١٠٨، (٥٤٧/٤) الحجر: ٨٧، (٥٩٨/٤) النحل: ٩١، (٨٧/٥) الإسراء: ٥٥، (٣٨١/٥) الأنبياء: ١٠٤، (٢٣٥/٧) الزخرف: ٥٨، (١٢٦-١٢٧) الفرقان: ٧٠، (٢٧٢/٦) العنكبوت: ٢٦، (١٤٦-١٤٧) غافر: ٤٦، (٤٩٢/٧) الرحمن: ١٧، (٤٩٩/٧) الرحمن: ٣٩.

المبحث الخامس

أثر السياق القرآني في إثبات النسخ أو عدمه في تفسير ابن كثير.

إن علم النسخ والمنسوخ علم عظيم الشأن - رغم أنه "طويل الذيل، كثير التفاريع، متشعب المسالك" (١).

يقول الإمام مجد الدين الفيروز آبادي (٢): "اعلم أن معرفة النَّاسخ والمنسوخ باب عظيم من علوم القرآن، ومن أراد أن يخوض في بحر التفسير ففرض عليه الشروع في طلب معرفته، والاطلاع على أسرارها، ليسلم من الأغلاط، والخطأ الفاحش، والتأويلات المكروهة" (٣).

وقد فسّر- الحبرُ ابن عباس - رضي الله عنهما - الحكمة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (٤): بمعرفة القرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله (٥).

(١) مناهل العرفان (٢/ ١٧٣).

(٢) القاضي مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروز آبادي الشافعي، ولد بشيراز في فارس سنة ٧٢٩ هـ، إمام فقيه مفسر لغوي أديب، ولي القضاء بزبيد في اليمن، صنّف الكثير ومنها: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، وعمدة الحكام في شرح عمدة الحكام، والقاموس المحيط في اللغة، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، وغيرها. توفي باليمن سنة ٨١٧ هـ. طبقات الشافعية لابن قاضي شبة (٤/ ٦٣)، والضوء اللامع (١٠/ ٧٩)، وبغية الوعاة (١/ ٢٧٣)، وطبقات المفسرين للدواودي (٢/ ٢٧٥).

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ١١٧).

(٤) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٦٩.

(٥) رواه ابن جرير في جامع البيان (٥/ ٩)، وذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ٧٠٤).

"وَرُوي أن علياً عليه السلام مرَّ على قاصٍّ، فقال له: أتعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال: لا، فقال: هلكت وأهلكت، -يريد أنه عرض نفسه وعرض الناس للهلاك، مادام لا يعرف الناسخ والمنسوخ-"^(١).

وللنسخ أنواع وشروط وحكم وأحكام تذكر في مظانها^(٢)، ولأهميته فقد صنّف فيه كثير من أهل العلم^(٣).

وما يهمننا هنا هو إبراز أثر السياق في إثبات النسخ أو عدمه، فدور السياق في هذا المبحث كدور الشريان في القلب، ويكمن في اشتراط العلماء لثبوت النسخ: وجود التعارض بين الدليلين.

يقول الإمام الطبري -رحمه الله-: "الناسخ لا يكون إلا ما نفى حكم المنسوخ من كل وجه. فأما ما كان بخلاف ذلك، فغير كائن ناسخاً"^(٤).

ويقول الإمام ابن الجوزي -رحمه الله- في كتابه "نواسخ القرآن"^(٥): "الشروط المعتمدة في ثبوت النسخ خمسة:

أحدها: أن يكون الحكم في الناسخ والمنسوخ متناقضاً، بحيث لا يمكن العمل بهما جميعاً، فإن كان ممكناً لم يكن أحدهما ناسخاً للآخر...".

(١) مناهل العرفان (٢/١٧٥).

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن (١/٢٨-٤٤)، الإتيقان في علوم القرآن (٣/٥٩-٧٧)، بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/١١٧-١٢٧)، ومناهل العرفان في علوم القرآن (٢/١٧٣-٢٥٤).

(٣) كقتادة بن دعامة السدوسي، وأبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي داود السجستاني، وابن حزم، وأبي جعفر النحاس، وهبة الله بن سلامة الضرير، وابن العربي، وابن الجوزي، وابن الأباري، ومكي بن أبي طالب، وغيرهم.

(٤) جامع البيان (١١/٢٥٤).

(٥) (١/١٣٥).

وهذا التعارض من عدمه لا يمكن إثباته إلا من خلال السياق، فالسياق هو الفيصل في هذا الموضوع، ولذلك حَكَّمَهُ الإمام ابن كثير - رحمه الله - في دعاوى النسخ، فقرَّر بعضها و رَدَّ البعض الآخر، وهذا ما سيتبين من خلال المطالبين الآتين:

المطلب الأول: أثر السياق القرآني في إثبات النسخ في تفسير ابن كثير.

المطلب الثاني: أثر السياق القرآني في رَدِّ دعاوى النسخ في تفسير ابن كثير.

المطلب الأول

أثر السياق القرآني في إثبات النسخ في تفسير ابن كثير.

(١) قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره بعد أن فسّر - قول الله - عز وجل - ﴿ وَذَكَرَ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٠٩) ﴿١﴾:

"... وقوله: ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ ﴾ مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَسَّمَعْتُمْ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصَابَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (١٨٦) ﴿٢﴾.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ ﴾: نسخ ذلك قوله: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ (٣)، وقوله: ﴿ فَاقْتُلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (٤)، فنسخ هذا عفوهم عن المشركين. وكذا قال أبو العالية (٥)، والربيع بن أنس، وقتادة، والسدي: إنها منسوخة

(١) سورة البقرة: ١٠٩.

(٢) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٨٦.

(٣) سورة التوبة: جزء من الآية ٥.

(٤) سورة التوبة: ٢٩.

(٥) هو رُفيع بن مهران الرياحي مولاهم البصري، من كبار التابعين، أدرك زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - هو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -، وهو إمام مفسر مقرئ فقيه،

بآية السيف، ويرشد إلى ذلك أيضاً قوله: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾^(١).

فوجد أنه -رحمه الله- أيد القول بالنسخ؛ لأنه بين الآيتين تعارض: فالأولى تأمر بالكف عن القتال، والثانية تأمر بالقتال، وبين -رحمه الله- أن في السياق ما يرشد إلى هذا، وهو قوله: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ أي: أن هذا الحكم مؤقت إلى أن يأتي الله بأمره فيغير الحكم، ثم أتى الله بأمره ونسخ الحكم بوجوب القتال كما في آيات سورة التوبة.

وإلى هذا ذهب قتادة بن دعامة السدوسي^(٢)، والطبري^(٣)، وهبة الله بن سلامة^(٤)، ومكي بن أبي طالب^(٥)، وابن حزم^(٦)، وغيرهم -رحم الله الجميع-.

وذهب بعض أهل العلم كابن الجوزي -رحمه الله- إلى أنها غير منسوخة، مُعللاً ذلك بأن الله: "لم يأمر بالعفو مطلقاً، وإنما أمر به إلى غاية، وبين الغاية بقوله: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ

قرأ القرآن على علي بن أبي طالب وأبي بن كعب -رضي الله عنهما-، وله تفسير للقرآن الكريم، توفي سنة ٩٣هـ، وقيل غير ذلك.

الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/١١٢)، سير أعلام النبلاء (٤/٢٠٧)، غاية النهاية في طبقات القراء (١/٢٨٤).

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٣٨٧).

(٢) الناسخ والمنسوخ في كتاب الله (١/٣٣).

(٣) جامع البيان (٢/٤٢٣-٤٢٥).

(٤) الناسخ والمنسوخ ص ٣٣، وهبة الله هو أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر- بن علي الضرير البغدادي، مفسر مقرئ نحوي، قال ياقوت الحموي: كان من أحفظ الناس لتفسير القرآن والنحو والعربية أ.هـ.، صنف: التفسير، والناسخ والمنسوخ، والمسائل المنشورة في النحو، توفي في بغداد سنة ٤١٠هـ.

معجم الأدباء (٥/٥٨٨)، طبقات القراء لابن الجزري (٢/٣٥١)، وطبقات المفسرين للدودي (٢/٣٤٨).

(٥) الإيضاح في ناسخ القرآن ومنسوخه (١٠٨).

(٦) الناسخ والمنسوخ (١/٢١).

بِأَمْرِهِ ﷺ ، وما بعد الغاية يكون حكمه مخالفاً لما قبلها، وما هذا سبيله لا يكون أحدهما ناسخاً للآخر، بل يكون الأول قد انقضت مدته بغايته، والآخر محتاجاً إلى حكم آخر^(١).

وردَّ الإمام مكي بن أبي طالب - رحمه الله - على من ذهب إلى هذا المذهب في هذه الآية فقال: "والقول بأنها منسوخة أئبن؛ لأن الوقت الذي تعلق به الأمر بالعفو والصفح غير معلوم حدُّه وأمدُّه، ولو حدَّ الوقت وبيَّنهُ فقال: إلى وقت كذا: لكان كون الآية غير منسوخة أئبن، وكلا القولين حسن، إن شاء الله"^(٢).

وقال في موضع آخر: "... ولو قال: (فاعفوا واصفحوا إلى وقت كذا)، وذكر الأمد لكان النسخ غير جائز فيه، ولكنه أجهل الوقت، ولم يحده، فالنسخ فيه جائز، وعلى ذلك أكثر العلماء"^(٣).

وبهذا يتبيّن أثر السياق في إثبات دعوى النسخ في الآيات القرآنية.

(١) نواسخ القرآن لابن الجوزي (١/١٩٤).

(٢) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ١٠٨.

(٣) نفس المصدر ص ٩٥.

المطلب الثاني

أثر السياق القرآني في ردّ دعوى النسخ في تفسير ابن كثير.

(١) قال ابن كثير - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦١) ﴿١﴾:

"... وقول ابن عباس، ومجاهد، وزيد بن أسلم، وعطاء الخراساني^(٢)، وعكرمة، والحسن، وقتادة: إن هذه الآية منسوخة بآية السيف في "براءة": ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآية^(٣): فيه نظر أيضاً؛ لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إذا كان العدو كثيفاً، فإنه تجوز مهادنتهم، كما دلّت عليه هذه الآية الكريمة، وكما فعل النبي ﷺ يوم الحديبية، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص، والله أعلم"^(٤).

فابن كثير - رحمه الله - ينفي المعارضة بين الآيات من خلال السياق، فيؤجّه كل آية بحسب سياقها، وبالتالي ينتفي التعارض، فيتتفي النسخ، فيرى - رحمه الله - أن المراد من هذه الآية التي في سورة الأنفال: جواز المهادنة إذا جنح لها العدو، وكان للمسلمين مصلحة في ذلك كأن يكونوا في وضع ضعف وعدد المشركين كبير، واستمدّ هذا المعنى من سياق الآيات،

(١) سورة الأنفال: ٦١.

(٢) أبو عثمان عطاء بن أبي مسلم الخراساني، واسم أبيه قيل: ميسرة، وقيل عبد الله، المفسر المحدث الواعظ، قيل مولده سنة ٥٠ هـ، لم يسمع من ابن عباس، وإنما يرسل عنه، صنف التفسير، وتنزيل القرآن، والناسخ والمنسوخ، توفي سنة ١٣٥ هـ.

تهذيب الكمال (١٠٦/٢٠)، سير أعلام النبلاء (٦/١٤٠).

(٣) سورة التوبة: ٢٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم (٤/٨٤).

فسياقها: ﴿ وَإِمَّا تَخَافُكُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَأَنْذِرْ لَهُمْ عَلَىٰ سِوَاءِ إِنْ أَلَّهِ لَا يُحِبُّ الْفَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِرُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ * وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ (١).

ولذلك قال: " يقول تعالى: إذا خفت من قوم خيانة فانبد إليهم عهدهم على سواء، فإن استمروا على حربك ومناذتك فقاتلهم، ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا ﴾ أي: مالوا ﴿ لِلسَّلَامِ ﴾ أي: المسالمة والمصالحة والمهادنة، ﴿ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ أي: فمِلْ إليها، واقبل منهم ذلك؛ ولهذا لما طلب المشركون عام الحديبية الصلح ووضع الحرب بينهم وبين رسول الله ﷺ تسع سنين، أجاهم إلى ذلك مع ما اشترطوا من الشروط الأخر" (٢).

وابن جرير- رحمه الله- يرى أن المقصود بآية الأنفال: هم اليهود من بني قريظة، والمقصود بآية التوبة: هم مشركوا العرب، فلا تنافي بينهم، وبالتالي لا نسخ (٣).
ولكن الإمام ابن كثير- رحمه الله- يأبى هذا، وبسبب السياق أيضاً، فيقول متعباً لمجاهد في قوله عن آية الأنفال: إنها نزلت في بني قريظة: " وفي هذا نظر؛ لأن السياق كله في وقعة بدر، وذكرها (٤) مكتنفٌ لهذا كله" (٥).

وأما الإمام ابن العربي- رحمه الله- فيوافق الإمام ابن كثير- رحمه الله- في عدم نسخ الآية، ويرى أنه: " إذا كان المسلمون على عزة وفي قوة ومنعة ومقانب عديدة، وعدة شديدة:

(١) سورة الأنفال: ٥٨-٦١.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/٨٣).

(٣) انظر: جامع البيان (١١/٢٥٣-٢٥٤).

(٤) أي الآية.

(٥) تفسير القرآن العظيم (٤/٨٤).

فلا صلح حتى تطعن الخيل بالقنا وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم. وإن كان للمسلمين مصلحة في الصلح لانتفاع يجلب به، أو ضرر يندفع بسببه؛ فلا بأس أن يتدئ المسلمون به إذا احتاجوا إليه، وأن يجيبوا إذا دعوا إليه، وقد صالح النبي ﷺ أهل خيبر على شروط نقضوها فنقض صلحهم، وقد وادع الضمري، وقد صالح أكيدر دومة، وأهل نجران، وقد هادن قريشاً لعشرة أعوام حتى نقضوا عهده، وما زالت الخلفاء والصحابة على هذه السبيل التي شرعناها سالكة، وبالوجوه التي شرحناها عاملة" (١).

وكذا الزمخشري - رحمه الله - يقول: "والصحيح أن الأمر موقوف على ما يرى فيه الإمام صلاح الإسلام وأهله: من حرب أو سلم، وليس بحتم أن يقاتلوا أبداً، أو يجابوا إلى الهدنة أبداً" (٢).

(٢) قال ابن كثير - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَتِدَّكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ (٣):

"... ومما يدل على أنها محكمة لم تُنسخ: قوله: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ﴾ (٤).

قلت: زُوي عن سعيد بن المسيب أنه قال بنسخها، ولم يذكر ما نسخها! (٥) وابن كثير -

- رحمه الله - يرد هذا القول من خلال سياق الآية، فخاتمتها: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ

(١) أحكام القرآن (٢/ ٨٧٦).

(٢) الكشاف (٢/ ١٣٣).

(٣) سورة النور: ٥٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٨٣).

(٥) ينظر الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ٣١٩.

عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ -عز وجل- أَوْجِبَ هَذَا الْحُكْمَ بِعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، فَهُوَ مُحْكَمٌ غَيْرُ مَنْسُوخٍ.

وبهذه الأمثلة التطبيقية يتبين أثر السياق القرآني في ردّ دعوى النسخ

المبحث السادس

أثر السياق القرآني في معرفة المكّي والمدني

في تفسير ابن كثير

من المعلوم أن القرآن الكريم نزل على الرسول ﷺ منذ بداية الدعوة للإسلام في مكة المكرمة حتى كمالها في المدينة المنورة قبيل وفاة النبي ﷺ، ولقد اعتنى المسلمون ابتداءً من الصحابة رضي الله عنهم بكتاب ربهم - جل وعلا -، وتَقَصَّى - زمان ومكان نزوله، فضلاً عن تلاوته وحفظه والعمل به.

يقول علي رضي الله عنه: " والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت، وأين أنزلت، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً سؤولاً"^(١).

ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: " والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيما أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه"^(٢).

وقد اشتهر عند العلماء اصطلاح المكّي على ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها، سواء كان في المدينة أو خارجها كمكة أو الجحفة أو غيرها^(٣).

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/٦٧-٦٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل الأعمال، باب القراء من أصحاب رسول الله ﷺ، برقم (٥٠٠٢) واللفظ له، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأُمّه - رضي الله عنهما -، برقم (٢٤٦٣).

(٣) ينظر: البرهان (١/١٨٧)، الإتيقان (١/٢٣).

وتكمن أهمية هذا العلم في معرفة المتقدم والمتأخر، وبالتالي معرفة الناسخ من المنسوخ عند تعارض الأدلة، إذ معرفة المتقدم من المتأخر من شروط ثبوت النسخ.

يقول الإمام مكّي بن أبي طالب -رحمه الله-: "ويجب أن تعلم المكّي من السور من المدني؛ فذلك ممّا يقوي ويفهم معرفة الناسخ من المنسوخ"^(١).

ولذلك حرّم العلماء على من يجهل هذا العلم: خوض غمار التفسير؛ لأنه يترتب عليه الجهل بالناسخ والمنسوخ، وبالتالي الخطأ في التفسير^(٢).

ويختلف القرآن المكّي عن القرآن المدني في أسلوبه وطريقته وموضوعه، فعندما "كان القرآن ينزل في مكة أول البعثة كان المسلمون قلة، وكان المشركون كثرة، وللحديث مع الكفار أسلوبه، ولمخاطبة المسلمين طريقته.

فالقرآن في مكة يدافع عن القلة من المسلمين، ويرفق بهم، وينافح عنهم، وسط هذه البيئة من الأعداء المشركين، وهم بحاجة إلى من يأخذ بأيديهم، ويثبت قلوبهم.

والقرآن في مكة يقارع الخصوم، ويحطّم معتقداتهم الزائفة بالحجة والدليل، ويدفع الشبهات، ويبطل الخرافات، ويكشف الأباطيل والثّرات، وهم أهل لجّاج وعناد وإصرار واستكبار، وظل القرآن ينافح حتى أقام الحجة عليهم، وأنشأ جماعة إسلامية كانت نواة الدولة الإسلامية.

وهاجر الرسول ﷺ بهذه الجماعة، والتقى بجماعة أخرى من المسلمين في المدينة، وآخى بين الجماعتين، ومزج بينهما مزجاً كان نتاجه نشأة الدولة الإسلامية الصالحة والمؤهلة لتلقي ما بقي من قواعد الإسلام وأحكام التشريع.

(١) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ٩٩.

(٢) ينظر: البرهان (١/١٩٢).

ونزل القرآن على المسلمين في المدينة يبسط أحكام الدين، ويرسي قواعده، ويبني المجتمع الإسلامي، ويؤسس صرح الدولة^(١)، ويجادل الأعداء الجدد: المنافقين وأهل الكتاب، ويدحض شبهاتهم، ويكشف مفترياتهم.

ولمعرفة القرآن المكي من المدني طريقان^(٢):

الأول: سماعي، وهو ما يُعرف عن طريق الرواية عن الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنهم حضروا التنزيل، ولم يُنقل عن النبي صلى الله عليه وسلم بيان ذلك للصحابة لعدم حاجتهم إليه، فكيف يخبرهم عن شيء شاهدوه؟!!

الثاني: قياسي، وهو ما وضعه العلماء من ضوابط وخصائص لما لم يرد فيه نقل قياساً على ما ورد فيه نقل.

مثل: كل سورة فيها "كلا" فهي مكية، وكل سورة فيها قسم فهي مكية، وكل سورة فيها حد أو فريضة فهي مدنية، وكل سورة فيها "يا أيها الذين آمنوا" فهي مدنية، ونحو هذا^(٣).

وهذا النوع الثاني: "القياسي" لا سبيل لمعرفته إلا من خلال السياق.

فمن هنا يتضح دور السياق القرآني وأثره في بيان المكي والمدني.

ومن أمثلة استخدام الإمام ابن كثير - رحمه الله - للسياق في معرفة مكان النزول:

ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ

لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ

(١) دراسات في علوم القرآن. د. فهد الرومي (١٣٤-١٣٥).

(٢) ينظر: البرهان (١/١٨٩)، الإتيان (١/٤٧).

(٣) ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ٩٩، والبرهان (١/١٨٨-١٩١)، والإتيان (١/٤٧-٤٩)،

ودراسات في علوم القرآن (١٤٢-١٤٦).

بِعِضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنِ
يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ (١)، حيث قال:

" قال العوفي عن ابن عباس: نزلت في محمد وأصحابه حين أخرجوا من مكة.

وقال غير واحد من السلف: هذه أول آية نزلت في الجهاد، واستدل بهذه الآية بعضهم:

على أن السورة مدنية، وقاله مجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد" (٢).

قلت: اختلف العلماء في مدنية سورة الحج من مكيتها، فذهب بعضهم: إلى أنها مكية إلا
آيات مستثناة، وذهب بعضهم: إلى أنها مدنية إلا آيات مستثناة، وذهب بعضهم: إلى أنها مدنية،
وذهب بعضهم: إلى أنها مختلطة فمنها مكِّي ومنها مدني (٣).

ويرى ابن كثير - رحمه الله - أن سياق هذه الآية يؤيد القول بمدنيتها؛ لأن فيه تشريع
القتال للذين ظلموا، ومعلوم أن القتال إنما شرع بالمدينة، فكل آية فيها تشريع القتال أو ذكره
فهي من القرآن المدني.

ويؤكد ابن كثير - رحمه الله - على مدنية السورة في موضع آخر في تفسيره، مستدلاً على
ذلك بالسياق أيضاً، فيقول في تفسير قول الله - عز وجل -: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ
بِالْحَكَاكِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِن عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ ﴿٤٥﴾ (٤):

" وفي هذه الآية دليل على أنها مدنية، كما قال في سورة البقرة: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ

قِتَالٍ فِيهِ ۗ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ ۗ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ ۗ مِنْهُ

(١) سورة الحج: ٣٩-٤٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥/٤٣٣).

(٣) ينظر تفسير القرطبي (١٤/٣٠٦).

(٤) سورة الحج: ٢٥.

أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ﴿١﴾، وقال هاهنا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ﴾، أي: ومن صفتهم أنهم مع كفرهم يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام، أي:
 ويصدون عن المسجد الحرام من أراده من المؤمنين الذين هم أحق الناس به في نفس الأمر" (٢).
 فهو - رحمه الله - يقيسُ سياق هذه الآية على سياق سورة البقرة المدنية، ويرى أن بينهما
 تشابهاً، فكلتيهما تتحدث عن الكفر بالله والصد عن سبيله وعن مسجده الحرام، ولذلك حكم
 بمدنيتها، وهو وإن كان رَجَّحَ هذا في ابتداء تفسيره للسورة حيث يقول كما ورد في إحدى
 النسخ الخطية: "وهي مكية والراجع أنها مدنية" (٣)، إلا أنه في هذين الموضعين السابقين يُدَلِّلُ
 على ترجيحه من خلال دلالة السياق القرآني.

(١) سورة البقرة: جزء من الآية ٢١٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤٠٩/٥).

(٣) (٣٨٩/٥)، وهي نسخة محفوظة بمكتبة ولي الدين جار الله بتركيا، وناسخها: علي بن يعقوب الشهرير

بابن المخلص، وتاريخ نسخها ٧٩٩ هـ. ينظر مقدمة المحقق في ذكر تفاصيلها (٤٨/١).

المبحث السابع

أثر السياق القرآني في الوقف والابتداء

في تفسير ابن كثير

لعلم الوقف والابتداء أهمية كبيرة في كيفية أداء القرآن لإبراز معاني الآيات بعيداً عن اللبس والخطأ.

يقول عنه الزركشي - رحمه الله -: " وهو فن جليل، وبه يعرف كيف أداء القرآن، ويترتب على ذلك: فوائد كثيرة، واستنباطات غزيرة، وبه تبيّن معاني الآيات، ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات" (١).

وبالرغم من أهميته، إلا أنه خطير أيضاً، قال النكزاوي (٢) - رحمه الله -: " باب الوقف عظيم القدر، جليل الخطر؛ لأنه لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن، ولا استنباط الأدلة الشرعية منه، إلا بمعرفة الفواصل" (٣).

ومكمنُ خطره في عدم إجادته، فبالإخلال فيه يقع القارئ في اللبس والخطأ، فيبرز معانٍ غير مرادة من الآية، بل قد تكون مناقضة لمعنى الآية، وأدعّم هذا القول بمثال يبيّن خطورة

(١) البرهان في علوم القرآن (١/٣٤٢).

(٢) هو معين الدين أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله النكزاوي الإسكندراني، ولد سنة ٦١٤ هـ، وهو مقررٍ نحوي، صنّف: الشامل في القراءات السبع، والاقتداء في معرفة الوقف والابتداء. توفي سنة ٦٨٣ هـ.

معرفة القراء الكبار (٢/٦٨٢)، غاية النهاية في طبقات القراء (١/٤٥٢).

(٣) نقله عنه السيوطي في كتابه الإتقان (١/٢٣٠)، وكتاب النكزاوي اسمه: الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء، وقد حُقِّق في رسالة دكتوراه مقدمة لكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية عام ١٤١٣ هـ، ولم تطبع حتى الآن.

ذلك، فمثلاً لو وقف القارئ على قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا﴾^(١)، ثم ابتداء بعد ذلك بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾^(٢) أو: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾^(٣) - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - لأبرز معنى مستحيلاً يناقض المراد من الآية تماماً، بل من تعمد هذا وقصد معناه كفر^(٤).

فسياق الآية يُكفّر من ادعى أن الله هو المسيح أو أنه ثالث ثلاثة - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً - والسياق المنطوق خطأً في وقفه وابتدائه، يُعطي معنى مغايراً ومضاداً لها. ومن هنا يبرز دور السياق في الوقف والابتداء الصحيحين لإبراز المعنى المراد من الآية، فيحتاج القارئ للسياق في مرحلتين.

المرحلة الأولى: فهم الآية من خلال سياقها.

المرحلة الثانية: النطق بالآية نطقاً سياقياً صحيحاً، مراعيّاً فيه الوقف والابتداء ليعطي معنى موافقاً لسياقها الحقيقي.

قال الإمام أبو بكر ابن مجاهد^(٥) - رحمه الله - : "لا يقوم بالتمام إلا نحوي علم بالقراءات، عالم بالتفسير، عالم بالقصص وتلخيص بعضها من بعض، عالم باللغة التي نزل فيها القرآن"^(٦).

(١) سورة المائدة: جزء من الآية ١٧، وجزء من الآية ٧٣.

(٢) سورة المائدة: جزء من الآية ١٧.

(٣) سورة المائدة: جزء من الآية ٧٣.

(٤) انظر: البرهان (١/٣٥٣).

(٥) هو الحافظ أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي الشافعي، شيخ المقرئين، وأول من سبع السبعة، ولد في بغداد سنة ٢٤٥هـ، وهو إمام مقرئ محدث نحوي، صنّف كتاب السبعة في القراءات، توفي ٣٢٤هـ.

تاريخ بغداد (٥/١٤٤)، معرفة القراء الكبار للذهبي (١/٢٦٩)، طبقات الشافعية الكبرى (٣/٥٧).

(٦) ذكره أبو جعفر النحاس في القطع والائتناف (١/١٨).

ما يهمننا من كلام ابن مجاهد - رحمه الله - في هذا الباب قوله: "عالم بالتفسير"، ولا تُفسر - الآية تفسيراً صحيحاً إلا من خلال سياقها، فيلزم أن يعرف تفسير الآية في ضوء سياقها أولاً، ثم يُبرز معناها من خلال نطقها بتمام الوقف والابتداء؛ لأنه قد ينطقها نطقاً سليم المبنى، لكن يُجِلُّ بالوقف والابتداء، فيختل بذلك المعنى، فيخرج بتفسير مغاير لتفسيرها الصحيح، ولذلك نَبَّه - رحمه الله - على مسألة العلم بالتفسير.

وبعد هذه التوطئة المختصرة أنتقل إلى النماذج التطبيقية لابن كثير - رحمه الله - في هذا

الباب:

(١) عند تفسيره لقول الله - عز وجل - ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ۗ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٧) ذكر اختلاف العلماء في الوقف والابتداء عند قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، ثم قال: "ومن العلماء من فَصَّلَ في هذا المقام، فقال: التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان: أحدهما: التأويل بمعنى حقيقة الشيء، وما يؤول أمره إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبْوَابِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِ مِمَّنْ قَدْ جَعَلَهَا رِيًّا حَقًّا﴾ (٢)، وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۗ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ (٣) أي: حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد، فإن أريد بالتأويل هذا: فالوقف على الجلالة؛ لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية إلا الله - عز وجل -، ويكون قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ مبتدأ، و﴿يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ۗ﴾: خبره، وأمّا إن أريد بالتأويل المعنى الآخر: وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء، كقوله تعالى ﴿نَبِّئْنَا

(١) سورة آل عمران: ٧.

(٢) سورة يوسف: جزء من الآية ١٠٠.

(٣) سورة الأعراف: جزء من الآية ٥٣.

بِتَأْوِيلِهِ^ط ﴿١﴾ أي: بتفسيره، فإن أريد به هذا المعنى: فالوقف على ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ؛ لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا علماً بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه، وعلى هذا يكون قوله: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾: حالاً منهم، وساغ هذا وهو أن يكون من المعطوف دون المعطوف عليه، كقوله ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ إلى قوله ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ الآية^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾^(٣) أي: وجاءت الملائكة صفوفاً صفوفاً^(٤).

فمعنى كلامه - رحمه الله - في نقله عن بعض العلماء: أنه في هذه الآية يتحدد الوقف والابتداء بحسب معنى السياق، فإذا كان المراد بقوله في هذا السياق: "تأويله" حقيقته وكنهه، فيكون الوقف على لفظ الجلالة؛ لأنه لا يعلم حقائق الأمور وكنهها إلا الله - سبحانه وتعالى -، ويكون إعراب الآية كما ذكره - رحمه الله -، وإن كان المراد بقوله: "تأويله" في هذا السياق بيانه وتفسيره، فيكون الوقف على قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾؛ لأن الراسخين في العلم يعلمون تفسيره وبيانه بما علمهم الله، ويكون الإعراب كما ذكره - رحمه الله - أيضاً.

وهذا القول وإن كان من منقول ابن كثير - رحمه الله - إلا أنه يبيّن مدى أهمية اعتبار السياق القرآني في الوقف والابتداء.

(١) سورة يوسف: جزء من الآية ٣٦.

(٢) سورة الحشر: ٨-١٠.

(٣) سورة الفجر: ٢٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم (٢/١١-١٢)، وينظر: القطع والائتلاف (١/١٢٤-١٢٦).

(٢) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى

لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴿١﴾:

"... ومعنى الكلام هنا أن هذا الكتاب - وهو القرآن - لا شك فيه أنه نزل من عند الله،

كما قال تعالى في السجدة: ﴿الْم ١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ (٢) ،
، وقال بعضهم: هذا خبر ومعناه النهي، أي: لا ترتابوا فيه.

ومن القراء من يقف على قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ﴾ ، ويتدئ بقوله تعالى: ﴿فِيهِ هُدًى

لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ، والوقف على قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أولى للآية التي ذكرناها؛ ولأنه يصير قوله
تعالى: ﴿هُدًى﴾ صفة للقرآن، وذلك أبلغ من كون فيه هدى" (٣).

فهو - رحمه الله - يرى جواز الوقف على الموضعين: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ، و﴿لَا رَيْبَ﴾ ،

ولكن رجح أولوية الوقف على: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ، والابتداء بقوله: ﴿هُدًى﴾ لتوافق بذلك

نظيرتها في سورة السجدة، ولأن السياق بذلك يعطي معنى أبلغ، لكون ﴿هُدًى﴾ صفة

للقرآن، فكله هدى، وهذا ما لا تعطيه دلالة ﴿فِيهِ هُدًى﴾.

(٣) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا

أَسْمُهُمْ يُسَبَّحُ لَهُ، فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا نُلْحَمُهُمْ تِجْرَةً وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَابِ الصَّلَاةِ

وَإِنَاءِ الزَّكَاةِ لَا يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ (٤):

(١) سورة البقرة: ٢.

(٢) سورة السجدة: ١-٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/١٦٣).

(٤) سورة النور: ٣٦-٣٧.

"ومن قرأ من القراءة: ﴿يُسَبِّحُ^(١) لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ - بفتح الباء من { يسبح } على أنه مبني لما لم يُسَمَّ فاعله: وقف على قوله: ﴿وَالْآصَالِ﴾ وقفاً تاماً، وابتدأ بقوله: ﴿رِجَالٌ لَا لِيَهُمْ تِجْرَةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾، وكأنه مفسر للفاعل المحذوف، كما قال الشاعر:

لِيَبْكُ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِحُصُومَةٍ وَخُتْبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ.^(٢)

كأنه قال: من يبكيه؟ قال هذا يبكيه، وكأنه قيل: من يسبح له فيها؟ قال: رجال.

وأما على قراءة من قرأ: ﴿يُسَبِّحُ﴾ - بكسر الباء - فجعله فعلاً، وفاعله: ﴿رِجَالٌ﴾، فلا يحسن الوقف إلا على الفاعل؛ لأنه تمام الكلام"^(٣).

فنجد أنه بتغير معنى السياق: تغير موضع الوقف والابتداء، إذا فالوقف والابتداء يتوقف على معطيات السياق من المعاني.

وفي هذا المثال: لما كان السياق على قراءة "يُسَبِّحُ" - بفتح الباء - مبني لما لم يسم فاعله: كان الوقف على ﴿وَالْآصَالِ﴾ وقفاً تاماً؛ لأنه تمت الجملة وتم معناها، ويكون قوله: ﴿رِجَالٌ﴾ تفسير للفاعل المحذوف.

وعلى قراءة: ﴿يُسَبِّحُ﴾ - بكسر الباء - أصبح فعلاً، ويحتاج إلى فاعل، فبالوقف على ما قبل الفاعل تكون الجملة غير تامة، فلذلك كان الوقف على: ﴿رِجَالٌ﴾ لتتم بذلك الجملة، وبناء عليه يتم المعنى.

(١) هذه القراءة لابن عامر، وهي رواية لشعبة عن عاصم. ينظر التيسير لأبي عمرو الداني ص ١٦٢.

(٢) يُنسب البيت للشاعر نهشل بن حري ولغيره، وهو من شواهد الكتاب لسيبويه (١/١٤٥)، والمقتضب للمبرد (٣/٣٨٢)، ومغني اللبيب لابن هشام الشاهد رقم (١٠٤٨) ١. هـ. مستفاد من حاشية طبعة الشعب لتفسير ابن كثير - رحمه الله -.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٦/٦٧).

وبهذه الأمثلة التطبيقية يتبيّن مدى أهمية السياق القرآني واعتباره في الوقف والابتداء^(١).

(١) انظر: أمثلة أخرى في تفسير القرآن العظيم لابن كثير - رحمه الله -: (١/١٧٧) البقرة: ٧، (٥/١٦٠) الكهف: ٤٣-٤٤.

الفصل الخامس

أثر السياق القرآني في

الترجيح والتنضيف

بين الأقوال

في تفسير ابن كثير

الفصل الخامس

أثر السياق القرآني في الترجيح والتضعيف بين الأقوال

في تفسير ابن كثير.

لدلالة السياق القرآني أثر كبير في الترجيح والتضعيف بين أقوال المفسرين، بل يكاد يكون هذا الأثر هو أهم آثار دلالة السياق القرآني وأوضحها، وقد يُقال لماذا في الترجيح وفي التضعيف؟! أليس أحدهما لازم للآخر؟

فأقول: ليس على الإطلاق يلزم أحدهما من الآخر، فإن الاختلاف في التفسير ينقسم إلى قسمين:

- (١) اختلاف تضاد: يطلق على الأقوال المتنافية التي لا يمكن حمل الآية إلا على أحدها.
- (٢) اختلاف تنوع: وهذا القسم ينقسم إلى قسمين أيضاً:
- (أ) أن تكون الأقوال متفقة المعنى، ولكن مختلفة العبارة.
- (ب) أن تكون الأقوال متغايرة المعاني، لكن غير متنافية، ويصح حمل الآية عليها كلها، وإن لم يكن أحدها في معنى الآخر.

فالقسم الأول -اختلاف التضاد- إذا رُجِّح فيه قول بسبب السياق القرآني أو غيره يلزم منه تضعيف الأقوال الأخرى، وإذا ضُعِفَ فيه قول لا يلزم منه ترجيح القول الآخر. والقسم الثاني -اختلاف التنوع- إذا رُجِّح فيه قول فلا يلزم منه تضعيف القول الآخر، ولكن يكون أولى ما يدخل في معنى الآية مع احتمالها لجميع المعاني.

وقد أطبق المفسرون -رحمهم الله- على استخدام دلالة السياق القرآني في الترجيح والتضعيف بين الأقوال، ومنهم الإمام ابن كثير -رحمه الله-، وسأذكر بعض تطبيقاته في هذا الباب في المباحث التالية:

- المبحث الأول: أثر السياق القرآني في الترجيح بين الأقوال في تفسير ابن كثير.
- المبحث الثاني: أثر السياق القرآني في تضعيف بعض الأقوال في تفسير ابن كثير.

المبحث الأول

أثر السياق القرآني في الترجيح بين الأقوال في تفسير ابن كثير.

استخدم الإمام ابن كثير - رحمه الله - السياق القرآني كثيراً في الترجيح بين الأقوال في تفسيره.

ومن النماذج التطبيقية في هذا الباب من تفسيره:

(١) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَنِيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفِّحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصِيرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(١)، ذكر الخلاف في قوله: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَ﴾ بين قولين لأهل العلم:

أحدهما: أن المراد بالإحصان الإسلام.

وثانيهما: أن المراد به التزويج.

ونسب الأقوال لقائلها، وقال بعد ذلك:

" والأظهر - والله أعلم - أن المراد بالإحصان هاهنا: التزويج؛ لأن سياق الآية يدلُّ

عليه، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ

الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَنِيَاتِكُمْ﴾ والله أعلم، والآية

الكريمة سياقها كلها في الفتيات المؤمنات، فتعيّن أن المراد بقوله: ﴿فَإِذَا أَحْصَى﴾ أي: تزوجن، كما فسره ابن عباس ومن تبعه^(١).

فرجّح - رحمه الله - هذا القول بمعونة السياق القرآني، فسياق الآية من بدايته يتكلم عن الفتيات المؤمنات: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَنِيَتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾، فكيف يقول بعد ذلك: "فإذا أسلمن" بعد وُصِفِهِنَّ بِالْإِيْمَانِ؟! فتعيّن المعنى الثاني أن المراد بالإحصان: التزويج، فيستقيم بذلك نظم الكلام.

(٢) قال - رحمه الله - عند تفسيره لقول الله - عز وجل - في ذكر قصة يوسف - عليه السلام - والحوار بين الملك والنسوة: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنِ نَفْسِهِ ۗ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلَّمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سَوْءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ ائْتِنَا حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ۗ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخٰٓئِنِيْنَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوْءِ ۗ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيْمٌ ﴿٥٣﴾﴾^(٢).

"﴿أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِيْنَ﴾ أي: في قوله: ﴿هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنِ نَفْسِي﴾، ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ تقول: إنما اعترفت بهذا على نفسي، ذلك ليعلم زوجي أن لم أخنه في نفس الأمر، ولا وقع المحذور الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع؛ فلهذا اعترفت ليعلم أنني بريئة، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخٰٓئِنِيْنَ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي﴾ تقول المرأة: ولست أبرئ نفسي، فإن النفس تتحدث وتتمنى؛ ولهذا راودته؛ لأنها أمارة بالسوء، ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ أي: إلا من عصمه الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيْمٌ﴾ ﴿٥٣﴾.

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٦٢).

(٢) سورة يوسف: ٥١-٥٣.

وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام، وقد حكاه الماوردي في تفسيره، وانتدب لنصره الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية - رحمه الله -، فأفرده بتصنيف على حدة^(١).

وقد قيل: إن ذلك من كلام يوسف - عليه السلام - من قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾ في زوجته ﴿بِالْغَيْبِ﴾ الآيتين، أي: إنما رددت الرسول ليعلم الملك براءتي، وليعلم العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾ في زوجته ﴿بِالْغَيْبِ﴾، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِيَّ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ الآية.

وهذا القول هو الذي لم يحك ابن جرير ولا ابن أبي حاتم سواه.

وقال ابن جرير^(٢): حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما جمع الملك النسوة فسألهن: هل راودتن يوسف عن نفسه؟ ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾، قال يوسف: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ قال: فقال له جبريل - عليه السلام -: ولا يوم هممت بما هممت به؟ فقال: ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِيَّ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾.

وهكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وابن أبي الهذيل، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي.

والقول الأول أقوى وأظهر؛ لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك، ولم يكن يوسف - عليه السلام - عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك^(٣).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٥٨/١٠).

(٢) جامع البيان (٢١٠/١٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣٩٥-٣٩٤/٤).

فَرَجَّحَ - رحمه الله - بعد استعراضه للأقوال: القول الأول الذي يقول إن هذا الكلام من امرأة العزيز، مستنداً على ذلك بالسياق القرآني، حيث إنه يدل على أن الكلام كله من امرأة العزيز إجابة لسؤال الملك، ويوسف - عليه السلام - لم يكن موجوداً عندهم، بل أحضره الملك بعد ذلك، كما يدل عليه لحاق الآية: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهَذَا اسْتَخِصَّهُ لِنَفْسِي﴾^(١)، فهذا يدلُّ على أنه قبل هذا الأمر لم يكن موجوداً عندهم، والحوار بين الملك وامرأة العزيز كان قبل ذلك.

وقد وافق ابن كثير - رحمه الله - على هذا الترجيح وَوَجَّهَهُ شَيْخُهُ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ وَأَبُو حِيَانَ الأندلسي - رحمهما الله - وغيرهما، ومن المعاصرين ابن عاشور - رحمه الله - وغيره. قال ابن تيمية - بعد أن رجح قوله ودلَّ عليه بالسياق بمثل ما دلَّ عليه ابن كثير رحمه الله - : "وقد قال كثير من المفسرين إن هذا من كلام يوسف، ومنهم من لم يذكر إلا هذا القول، وهو في غاية الفساد ولا دليل عليه، بل الأدلة تدل على نقيضه"^(٢).

ويقول أبو حيان الأندلسي - رحمه الله - : "الظاهر أن هذا من كلام امرأة العزيز، وهو داخل تحت قوله : قالت ... ومن ذهب إلى أن قوله : ذلك ليعلم إلى آخره من كلام يوسف يحتاج إلى تكلف ربط بينه وبين ما قبله ، ولا دليل يدل على أنه من كلام يوسف"^(٣).

(٣) قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٤):

"اختلف الناس: هل كان الإسراء ببدنه عليه السلام وروحه؟ أو بروحه فقط؟ على قولين:

فالأكثر من العلماء على أنه أسري ببدنه وروحه يقظة لا مناماً، ولا يُنكر أن يكون رسول الله

(١) سورة يوسف: جزء من الآية ٥٤.

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٢٩٨).

(٣) البحر المحيط (٥/٣١٦).

(٤) سورة الإسراء: ١.

﴿رَأَى قَبْلَ ذَلِكَ مَنَامًا﴾، ثم رآه بعده يقظة؛ لأنه ﷺ كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح؛ والدليل على هذا قوله -عز وجل-: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾، فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، ولو كان منامًا لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظمًا، ولما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه، ولما ارتدت جماعة ممن كان قد أسلم، وأيضًا فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد، وقد قال عز شأنه: ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾^(١).

ثم أخذ يؤيد هذا القول بسياقات قرآنية أخرى، ودلائل أحوال أخرى.

ثم حكى القول الثاني: أنه أُسْرِيَ بروحه لا بجسده، وذكّر من قال به... الخ.

فوجد أنه -رحمه الله- مال إلى القول الأول، وأيده بأدلة كثيرة: منها سياق الآية نفسه، ومنها سياق آيات أخر، ومنها أحاديث نبوية، ومنها قرائن أحوال، لكن ما يهمننا هنا في هذا النموذج التطبيقي: هو ترجيحه لهذا القول من سياق الآية نفسها.

فما يدل عليه من سياق الآية هو قوله: "سبحان"، وقوله: "عبده"، فالتسبيح لا يكون إلا للأمر العظيم، ورؤيا النوم غير مستعظمة، ولا شيء كبير فيها، بينما الإسراء بالروح والبدن جميعاً هي العظمة.

وقوله: "عبده" يدل على ذلك، فالعبد هو مجموع الروح والجسد، فأسرى الله -عز وجل- بعبده بمجموع روحه وجسده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم في نفس سياق السورة قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾^(٢)، والافتتان يقع برؤية الروح والجسد، وأما رؤية الروح فلا فتنة فيها.

فهذه أدلة من نفس سياق الآية وسياق السورة كافية في ترجيح هذا القول دون بقية

الأدلة الأخرى.

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/٤٣-٤٤).

(٢) سورة الإسراء: جزء من الآية ٦٠.

وبهذه النماذج التطبيقية يتبين أثر السياق القرآني في الترجيح بين الأقوال^(١).

- (١) يُنظر أمثلة أخرى في تفسير القرآن العظيم لابن كثير - رحمه الله -: (١٧٢/١) البقرة: ٤، (١٧٤/١) البقرة: ٦، (٢٣٥/١) البقرة: ٣٤، (٢٨٥/١) البقرة: ٦١، (٣٩٢/١) البقرة: ١١٤، (٤١٤/١) البقرة: ١٢٤، (٤٤٦/١) البقرة: ١٢٨، (٤٨٤/١) البقرة: ١٧١، (٥٦٥/١) البقرة: ٢٠٣، (١٧٥/٢) آل عمران: ١٨٠، (٢٢٢/٢) النساء: ٩، (٣٠٣/٢) النساء: ٣٧، (٣١٣/٢) النساء: ٤٣، (٤٥٥/٢) النساء: ١٥٩، (٩٠/٣) المائدة: ٢٧، (١٣٠/٣) المائدة: ٤٨، (١٧٣/٣) المائدة: ٨٩، (٢١٧/٣) المائدة: ١٦٠، (٣٣١-٣٣٠/٣) المائدة: ١١٥، (٢٣٢/٣) المائدة: ١١٦، (٢٨٠/٣) الأنعام: ٧١، (٣٥٠/٣) الأنعام: ١٤١، (٣٧١-٣٧٠/٣) الأنعام: ١٥٧، (٤١٠/٣) الأعراف: ٣٧، (٤٤٧/٣) الأعراف: ٨٦، (٤٧١/٣) الأعراف: ١٤٣، (١٦/٤) الأنفال: ٦، (١١٠-١١١/٤) التوبة: ٥، (١٩٨/٤) التوبة: ٩٠، (٢١٢/٤) التوبة: ١٠٨، (٢٩٧/٤) يونس: ٩٨، (٣٢١/٤) هود: ٤٠، (٣٣٢/٤) هود: ٦٩، (٣٦٣/٤) هود: ١٢٠، (٣٧٧/٤) يوسف: ٢٠، (٤١١/٤) يوسف: ٤١٢، (٤٢٩/٤) الرعد: ٢، (٤٨١/٤) إبراهيم: ٩، (٥٦٠/٤) النحل: ٩، (٩٨-٩٩) الإسراء: ٧١، (١٧٠/٥) الكهف: ٥٢، (١٨٥/٥) الكهف: ٨٢، (٣٧٠/٥) الأنبياء: ٩٠، (٣٧٢/٥) الأنبياء: ٩٥، (٤٠١/٥) الحج: ١٣، (٤٠٢/٥) الحج: ١٥، (٤١٦/٥) الحج: ٢٨، (٤٤٧-٤٤٦/٥) الحج: ٥٥، (٤٥٤/٥) الحج: ٧٣، (٤٥٦/٥) الحج: ٧٨، (٥٨/٦) النور: ٣٥، (٨٩/٦) النور: ٦٣، (١٢٦/٦) الفرقان: ٦٨، (١٣١/٦) الفرقان: ٧٢، (٢٥٥/٦) القصص: ٧٨، (٢٧٠/٦) العنكبوت: ١٧، (٤١٥/٦) الأحزاب: ٣٣، (٢٧/٧) الصافات: ١٠١، (٦٥/٧) ص: ٣٢، (٧٠/٧) ص: ٣٥، (٢٠٦/٧) الشورى: ٢٦، (٢٤٩/٧) الدخان: ١٠، (٢٧٨/٧) الأحقاف: ١٠، (٣٩٨/٧) ق: ١٨، (٤٠١/٧) ق: ٢٢، (٤٠٢/٧) ق: ٢٤، (٤١٢/٧) ق: ٤٥، (٤٦٨/٧) النجم: ٥٥، (٤٨٩/٧) الرحمن: ٤، (١٤٩/٨) الطلاق: ٤، (١٧٩/٨) الملك: ١٤، (٢١١/٨) الحاقة: ١٣، (٢٢٠/٨) المعارج: ١، (٢٤٥/٨) الجن: ١٩، (٢٧٦/٨) القيامة: ٢، (٤١٥/٨) الشمس: ١٥.

المبحث الثاني

أثر السياق القرآني في تضعيف بعض الأقوال في تفسير ابن كثير.

استخدم الإمام ابن كثير - رحمه الله - السياق القرآني في تضعيف بعض الأقوال الغير مناسبة له في تفسيره، فمن ذلك:

(١) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾^(١)

ذَكَرَ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ أَي: فِي الْعَسَلِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ مِنْ أَدْوَاءِ تَعْرُضُ بِهِمْ، ثُمَّ حَكَى قَوْلَ مُجَاهِدٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مِنْ أَنَّ الْمُرَادَ هُوَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ قَالَ:

" وهذا قول صحيح في نفسه^(٢)، ولكن ليس هو الظاهر من سياق الآية هنا؛ فإن الآية إنما ذُكِرَ فيها العسل، ولم يُتَابِعْ مُجَاهِدٌ عَلَى قَوْلِهِ هَاهُنَا، وَإِنَّمَا الَّذِي قَالَهُ ذَكَرُوهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مَّوَسِّئًا وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤)، وَالذَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ هُوَ الْعَسَلُ: الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي

(١) سورة النحل: ٦٨-٦٩.

(٢) يقصد - رحمه الله - القول بأن القرآن فيه شفاء للناس.

(٣) سورة الإسراء: ٨٢.

(٤) سورة يونس: ٥٧.

صحيحهما^(١)...، عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه. فقال: "اسقه عسلاً". فسقاه عسلاً، ثم جاء فقال: يا رسول الله: سقيته عسلاً فما زاده إلا استطلاقاً! قال: "اذهب فاسقه عسلاً". فذهب فسقاه، ثم جاء فقال: يا رسول الله: ما زاده إلا استطلاقاً! فقال رسول الله ﷺ: "صدق الله، وكذب بطن أخيك! اذهب فاسقه عسلاً". فذهب فسقاه فبرئ"^(٢).

فَصَعَفَ - رحمه الله - قول مجاهد بن جبر - رحمه الله - بسبب سياق الآيات، فالسياق يتحدث عما يخرج به الله من بطون النحل: وهو العسل "الشراب المختلف ألوانه"، ثم وصفه الله - عز وجل - بأنَّ ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾، والضمير يعود إلى أقرب مذكور وهو المتحدث عنه أيضاً: العسل "الشراب المختلف ألوانه"، أما القرآن الكريم: وإن كان هو شفاء لما في الصدور إلا إنه غير مراد هنا في هذه الآية؛ لأنه لم يجر له ذكر في سياق الآيات.

(٢) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتِيمَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْعَفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾^(٣)، ذكر قول يحيى بن سعيد الأنصاري^(٤) وغيره عن قول الله: ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾: ذلك في اليتيم: إن كان فقيراً أنفق عليه بقدر فقره، ولم يكن للولي منه شيء.

(١) رواه البخاري مختصراً في كتاب الطب، باب: الدواء بالعسل، وقول الله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾، برقم (٥٦٨٤)، وباب: دواء المبطون، برقم (٥٧١٦)، ومسلم في كتاب الطب، باب التداوي بسقي العسل، برقم (٢٢١٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/٥٨٢).

(٣) سورة النساء: ٦.

(٤) هو أبو سعيد يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري الخزرجي النجاري المدني القاضي، ولد قبل ٧٠هـ - زمن ابن الزبير، وهو إمام علامة، عالم المدينة في زمانه، ولي القضاء بها، توفي سنة ١٤٣هـ.

ثم قال: " وهذا بعيد من السياق؛ لأنه قال: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ يعني: من الأولياء، ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: بالتي هي أحسن، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾^(١) أي: لا تقربوه إلا مصلحين له، وإن احتجتم إليه أكلتم منه بالمعروف"^(٢).

فَضَعَفَ - رحمه الله - قول يحيى وغيره لبُعْدِهِ من السياق، فسياق الآية من بدايته إلى نهايته يخاطب أولياء اليتيم، فالسباق ﴿وَابْتَلُوا﴾، ﴿ءَانَسْتُمْ﴾، ﴿فَادْفَعُوا﴾، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾: كله لأولياء اليتيم، ثم بعد ذلك قال لهم: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ أي: من كان من الأولياء عنده غُنْيَةٌ عن الأكل من مال اليتيم بالمعروف فليستعفف عن الأكل منه، ثم بعد ذلك ذَكَرَ الحال الثانية للأولياء: ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: بقدر حاجته عند الضرورة، ثم يستمر الخطاب للأولياء فيأتي في اللحاق: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ﴾، ﴿فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾. وبذلك يتبين أن السياق كله في مخاطبة الأولياء.

ولو كان المراد بقوله: ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾: الأيتام، وهذه الجملة معطوفة على: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ يكون تفسيرها: " إن كان اليتيم غنياً فليستعفف عن الأكل من ماله، وإن كان فقيراً فليأكل منه بالمعروف. وهذا لا يعقل: فالغني لا يكون غنياً إلا بماله، وكيف يؤمر بالاستعفاف عن الأكل من ماله إذا لم يكن حراماً؟! فهذا ما لا يصح شرعاً ولا عقلاً.

=
التاريخ الكبير للبخاري (٨ / ٢٧٥)، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٩ / ١٤٧)، سير أعلام النبلاء (٥ / ٤٦٨).

(١) سورة الإسراء: جزء من الآية ٣٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢ / ٢١٨).

(٣) قال - رحمه الله - بعد أن فسّر - قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ ﴿١﴾:

" وقد تقدّم عن كثير من السلف أن هذه القرية هي أنطاكية، وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلاً من عند المسيح - عليه السلام - كما نصّ عليه قتادة وغيره، وهو الذي لم يُذكر عن واحد من متأخري المفسرين غيره، وفي ذلك نظر من وجوه:

أحدها: أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله - عز وجل - لا من جهة المسيح، كما قال تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ (١٤) إلى أن قالوا: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ﴾ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾، ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح - عليه السلام - والله أعلم. ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾... ﴿١﴾.

فَضَعَفَ - رحمه الله - هذا القول من عدّة أوجه: أحدها يتعلق بالسياق، والسياق

كذلك يضعفه من وجهين:

الأول: أن الله قال: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا﴾، وهم قالوا: ﴿إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾، وأكّدوا ذلك فقالوا: ﴿إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ﴾ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾، ولو كانوا رسلاً من المسيح لذكروا ما يدل على ذلك كأن يقولوا: "إنا رسل المسيح" أو: "أرسلنا المسيح" ونحو هذه العبارات.

(١) سورة يس: ١٣-١٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/٥٧٣-٥٧٤).

الثاني: أن أهل قريبتهم أنكروا عليهم قائلين: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾، وهكذا أعداء الرسل ينكرون رسالتهم ويُعَلِّلون ذلك بكونهم بشراً مثلهم، فهذا يدل على أن المرسلين أخبروهم أنهم رسل من عند الله، فأنكروا عليهم ذلك بسبب كينونتهم البشرية، ولو كانوا رسلاً من عند المسيح لما أنكروا ذلك معللين بكونهم بشراً، فرسل البشر: -بَشَرٌ-، لا غريب في هذا.

وبهذه النماذج التطبيقية يتبين أثر السياق القرآني في تضعيف بعض الأقوال^(١).

(١) يُنظر نماذج أخرى في تفسير القرآن العظيم لابن كثير -رحمه الله-: (١/١٦٣) البقرة: ٢، (١/١٨٨) البقرة: ١٧، (١/٢٢٦) البقرة: ٣١، (١/٢٩٢) البقرة: ٦٥، (١/٢٩٥) البقرة: ٦٦، (١/٣٠٣) البقرة: ٧١، (١/٦٦٨) البقرة: ٢٤٦، (٢/٦) آل عمران: ٣، (٢/٢١٢) النساء: ٣، (٢/٢٢٦) النساء: ١١، (٢/٢٢٧) النساء: ١١، (٢/٢٦٥) النساء: ٢٥، (٢/٣٣٨) النساء: ٥٨، (٢/٤٣٣) النساء: ١٣٤، (٣/١٢٨) المائدة: ٤٨، (٣/١٥٨) المائدة: ٧٣، (٣/٣١٠) الأنعام: ١٠٣، (٣/٣٩١) الأعراف: ١١، (٣/٤٢١) الأعراف: ٤٦، (٣/٤٢٥) الأعراف: ٥٢، (٤/٦٩) الأنفال: ٤٣، (٤/١٥١) التوبة: ٣٧، (٤/١٥٢) التوبة: ٣٧، (٤/١٦٠) التوبة: ٤٨، (٤/٢٨٧) يونس: ٨٣، (٤/٣٢١-٣٢٢) هود: ٤٤، (٤/٣٣٤) هود: ٧٢، (٤/٣٩٠) يوسف: ٤١، (٤/٤١١) يوسف: ٩٩، (٤/٤٧٣) الرعد: ٤٣، (٤/٥٧٣) النحل: ٤٣، (٤/٦٠٤) النحل: ١٠٣، (٥/٨٣) الإسراء: ٤٧، (٥/١٤٢) الكهف: ١٦، (٥/٣٦٢) الأنبياء: ٨٤، (٦/١٠٢-١٠٣) الفرقان: ٢٢، (٦/١٨٢) النمل: ١٦، (٦/٢٤٢) القصص: ٤٨، (٦/٢٦٨) العنكبوت: ١٤، (٦/٢٦٩) العنكبوت: ٤٠، (٦/٥٢٧) سبأ: ٤٩، (٦/٥٧٦) يس: ٣٧، (٧/١٣٣) غافر: ١١، (٧/٢٤٢) الزخرف: ٨١، (٧/٤١٦) الذاريات: ١٦، (٧/٤٦٧) النجم: ٤٨، (٨/٣٩٥)+(٨/٣٩٦) الفجر: ٧، (٨/٣٩٥) الفجر: ٨، (٨/٤٣٥) التين: ٥.

الملك تملك

الكتابة

من خلال دراسة موضوع السياق القرآني وأثره في التفسير نظرياً على سبيل العموم، وتطبيقاً على سبيل الخصوص في تفسير القرآن العظيم لابن كثير - رحمه الله - ظهرت نتائج كثيرة، أهمها:

- السياق القرآني: هو تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة لأداء المعنى.
 - دلالة السياق القرآني تعتبر من تفسير القرآن بالقرآن.
 - دلالة السياق القرآني معتبرة شرعاً، فقد استخدمها النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وصحابته - رضي الله عنهم - من بعده، ثم تتابع العلماء على استخدامها.
 - اتفق المتقدمون والمحدثون على أهمية دلالة السياق القرآني في تفسير كلام الله - عز وجل - وأن إهمالها موطن للزلل والخطأ في التفسير.
 - أقدم من وصل إلينا تنصيبه على دلالة السياق هو الإمام الشافعي - رحمه الله -.
 - أقدم من قعد لهذه الدلالة هو الإمام العز بن عبد السلام - رحمه الله -.
 - أكثر من توسع في هذه الدلالة من المفسرين هو الإمام محمد بن جرير الطبري - رحمه الله -.
 - اتخذ الحافظ ابن كثير - رحمه الله - السياق القرآني أصلاً من أصول التفسير، وطبق ذلك عملياً من خلال تفسيره.
 - أن لدلالة السياق القرآني آثار كثيرة: منها:
- ١- ترجيح وتضعيف بعض القراءات.

- ٢- توجيه القراءات.
- ٣- نقد بعض الروايات المرفوعة.
- ٤- نقد بعض الإسرائيليات.
- ٥- بيان المعنى.
- ٦- بيان المراد من المشترك اللفظي.
- ٧- تضمين المعاني.
- ٨- تحديد المعنى المراد من حروف المعاني.
- ٩- تحديد مرجع الضمير.
- ١٠- بيان الحذف وتقديره.
- ١١- القول بالتقديم والتأخير أو رده.
- ١٢- ترجيح وتضعيف بعض أسباب النزول.
- ١٣- إظهار مناسبة كلمات وجمل وآيات ومقاطع وسور القرآن الكريم.
- ١٤- توجيه المتشابه اللفظي.
- ١٥- دفع إيهام الإشكال في القرآن الكريم.
- ١٦- إثبات النسخ أو عدمه.
- ١٧- بيان المكي والمدني من القرآن الكريم.
- ١٨- حسن الوقف والابتداء.
- ١٩- الترجيح و التضعيف بين الأقوال.

وأبرز ما أوصي به إخواني الباحثين في مجال الدراسات القرآنية:

- (١) الدراسات التطبيقية عموماً سواء كانت في دلالة السياق أو غيرها، فهي كفيلة بالفائدة وتكوين الملكة التفسيرية عند الباحث.

٢) دراسة أثر السياق على أحد الآثار السابقة بتوسع.

٣) دراسة أثر السياق في بلاغة القرآن الكريم.

وفي الختام أسأل الله أن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح، وأن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا، وأن يجعله حجة لنا لا علينا. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبد الرحمن عبد الله سرور المطيري

الفهارس

فهرس الآيات

فهرس الأحكام

فهرس الآثار

فهرس الأعلام

فهرس المصاحف والمراجع

فهرس المحتويات

فهرس الآيات

رقم الآية وأولها	رقم الآية
١٦٢	٦ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
٢٣٨-١٦٢	٧ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
٣١٧-٦	٢ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ
٢٥٤-٢١٨	١٤ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا
٢٥٣	٢٦ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَنْ
٢٥٣	٢٧ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ
١٩٤	٣٠ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي
١٤٦	٣٨ قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا
١٤٦	٣٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
٢٨٠	٤٩ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ
٢٦٥	٥٤ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ يَنْقُورِ
١٤١	٦٥ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا
٢٢٤	٨٠ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَسْكَامًا
٢٦٨	٨٣ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
٢٨٣	٩٨ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ
٣١٠	١٠٩
١٧٤	١٢٦ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ ...

١٩٤	١٣٦ فُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ ...	
٢٠٥	١٥٥ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ ...	
٢٠٥	١٥٦ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا ...	
٨٧	١٥٨ إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرَّةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ	
٢٧٣	١٦٤ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ ...	
٣١٢	٢١٧ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ ...	
٤٦	٢١٨ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا ...	
١٢٣	٢٢٨ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرَیَصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ	
١١١	٢٢٩ الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَأَمَّا كُمُ بِمَعْرُوفٍ	
١١١	٢٣٠ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى	
٢٩٨-٢٣٩	٢٦٩ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ...	
٢٧٠	٢٧٦ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ ...	
٣١٥-٢١٥	٧ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ	آل عمران
١٣٥-١٢٢	١٢ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ ...	
١٤٠	١٥ قُلْ أَوْبَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ	
٢٧١	٣٠ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ...	
٢٠١	٩١ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنَ ...	
٢١٤	١١٣ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ .	
٢٠٢-١٠٥	١٥٩ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ...	
١٣٢	٣ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ ...	النساء
٣٣٠	٦ وَابْتَلُوا الْيَمِينِ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا ..	

٣٢٣	٢٥ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا	
٩٣	٣٠ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا	
٢٩٣	٣٢ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ ...	
١٣٥-١٢٢	٧٤ فَلْيَقْتَرِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ	
١١٣	٨٢ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ وَلَوْ كَانَ ...	
٢٠٩-٤٩	١٠٥ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ	
٨٥	١٤١ وَلِيُمَجِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ ...	
١٥٥	١٥٧ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ ...	
١٥٥	١٥٨ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ ..	
١٥٥-١٥٤	١٥٩ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ ..	
٣١٤	١٧ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ	المائدة
١٩٦	٢٢ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ...	
٢٦٢	٣٤ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ	
٨٦	٣٧ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ	
١٨٢	٤٦ وَقَفَيْنَا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ...	
١٨٢	٤٧ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْأَنْبِيَاءِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ...	
١٤٢	٦٠ قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِبَشَرٍ مِّنْ ذَلِكَ مُتَوَبِّهٌ ...	
٣١٤	٧٣ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ	
١٢٤	٩٨ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ ...	
٢٩٥	٥٨ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ	الأنعام
١٨١	٦٢ ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ	

١٥٧	٨٤ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ	
١٥٧	٨٥ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ	
٢٥١-١٧٨	٩١ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي	
٢١٤-١٣٧	٩٦ فَالِقَ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا	
٢٣٧	١٢٨ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُونَ	
٢٨٥	١٥١ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ	
١٧٨	١٥٤ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ	
١٧٨	١٥٥ وَهَذَا كِتَابُنَا أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا	
٣١٥-٢١٥	٥٣ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ	الأعراف
٢٩٠	٨٨ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ...	
٢٨٩-٩١	٩٠ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا	
٢١٧	١٠٥ أَحَقِّقْ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ...	
٢١٣	١٥٩ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ ..	
٢٥٦	١٨٢ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ	
٢٥٦	١٨٣ وَأَمْلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ	
٢٥٦	١٨٤ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ	
٢٥٥	١٨٧ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ ...	
٢٩٦-٢٥٦-٢٨٩	١٩٠ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَاحِبًا	
٢٩٦-٢٥٦-٢٨٩	١٩١ أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ .	
٢٥٦	١٩٢ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ .	
٢٥٦	١٩٣ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى ..	
٢٥٧	١٩٧ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ..	

٢٥٧	١٩٨ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ..	
		الأنفال
١٤٨	٢٧ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ	
٣٠٥	٥٨ وَإِمًا تَخَافَتْ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً	
٣٠٥	٥٩ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا	
٣٠٥	٦٠ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ	
٣٠٥-٣٠٤-٢٥٨	٦١ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ ...	
٢٥٨	٦٢ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ ...	
٢٥٨	٦٤ يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ	
٢٦٠-٢٥٨-١٣٥-١٢٢	٦٥ يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضْ	
٢٥٨-١٣٥-١٢٢	٦٦ أَلَمْ نَخَفْ اللَّهَ عَنْكُمْ	
		التوبة
٣٠١	٥ فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ	
١٣٢	٢٨ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا	
٣٠٤ - ٣٠١	٢٩ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ...	
٢٤٤	٥٥ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ	
		يونس
٢٥٢	٢ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا	
٢١٣	٤٧ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ	
		هود
٢١٢	٨ وَلَئِنْ أَخْرَنَاهُمُ الْعَذَابَ إِلَيْكَ ...	
١٩٧	٤٣ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ	
٢٤٣	٦٩ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ	
٢٤٣	٧٠ فَلَمَّ رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ	
٢٤٣	٧١ وَأَمْرَانَهُ فَأَبْمَنَهُ فَضْحِكْتِ	

٢٩٠-٢٨٩-٢٦٧-٩٢	٨٧ أَصَلُّوْا لِكُمْ تَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتْرُكُوهُ... ..	
٢٩٠-٢٨٩-٢٦٦	٩٤ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا... ..	
١٤٧-٨٣	١١٤ وَأَقْرِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ... ..	
٢٢٩-١٢٩	٢ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .	يوسف
٢٣٠	١٩ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى... ..	
٢٢٩	٢٠ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ... ..	
٣١٦-٢١٥	٣٦ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ... ..	
٢١٣	٤٥ وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا... ..	
٢٠٩	٥٠ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْوِينِي بِهِ... .. فَلَمَّا... ..	
٣٢٤-٢٠٨-١٠٩	٥١ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاودْتُنَّ... ..	
٣٢٤-١٠٨-١٠٧	٥٢ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهِ... ..	
٣٢٤-١٠٩-١٠٨-١٠٧	٥٣ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ... ..	
٣٢٦	٥٤ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْوِينِي بِهِ... .. اسْتَخْلَصَهُ... ..	
٢٤٥	٩٩ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَى... ..	
٣١٥-٢١٥	١٠٠ وَرَفَعَ أَبُوبِيهِ عَلَى الْعَرْشِ... ..	
١٠٦	٢٠ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ... ..	الرعد
١٠٦	٢١ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ... ..	
١٠٦	٢٢ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا... ..	
١٠٦	٢٣ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ... ..	
٢٨٠	٥ وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا اللَّهُ... ..	إبراهيم
٢٨٠	٦ يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْحِجُونَ... ..	

٢٨٢	٩ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ	
٢٩١	٢٥ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً	النحل
٢١٣	٣٦ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ ..	
٥٠	٤٤ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا ...	
٤٨	٤٩ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ	
٥٠	٦٤ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا ...	
٣٢٩	٦٨ ثُمَّ كُلِّي مِن كُلِّ الشَّجَرِ	
٣٢٩	٦٩ ثُمَّ كُلِّي مِن كُلِّ الشَّجَرِ فَأَسْلُكِي	
٢٦٨	٨٩ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا	
٢١٣	١٢٠ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً	
٣٢٦	١ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ	الإسراء
٢٩١	١٥ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ...	
٢٢٥	٢٣ وَقَضَىٰ رَبِّيكَ إِلَّا تَعْبُدُوا	
١٨٩	٢٦ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ ...	
٢٨٥	٣١ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ...	
٩٣	٤٠ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ ...	
٣٢٧	٦٠ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطٌ	
٢١٨	٧٧ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ ...	
٢٥٩	٨٨ قُلْ لِيِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ...	
٢٥٢	٩٤ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا	
٢٥٢	٩٥ قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ	

١٨١	٤٤ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا .	الكهف
١٨٦	٩٧ فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا ..	
٢٧٦	١٦ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ	مريم
١٧٩	٢٥ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي	طه
١٧٩	٢٦ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ..	
١٧٩	٢٧ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي	
١٧٩	٢٨ يَفْقَهُوا قَوْلِي	
١٧٩	٢٩ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ...	
١٧٩	٣٠ هَذُرُونَ أَخِي ...	
١٧٩	٣١ أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ..	
١٧٩	٣٢ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ..	
١٧٩	٣٣ كَيْ نَسِيحكَ كَثِيرًا	
١٧٩	٣٤ وَنَذُكُكَ كَثِيرًا	
١٧٩	٣٥ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ...	
١٧٩	٣٦ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ	
١٥٢	٣٩ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي ..	
٢٤١	١٢٩ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ ...	
٢٧٤	٣٦ وَإِذَا رَأَىكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ ...	الأنبياء
٢٧٤	٣٧ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ...	
٢٧٤-٢٥٦	٣٨ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ	
٢١٨	٧٧ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ	

٣٧	١٠٤ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ ...	
٢٨٣- ٢٢٠	٢٥ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ...	الحج
٣١٠	٣٩ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَّلُونَ ...	
(٣١١-٣١٠)	٤٠ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ	
٩٣	٧٠ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ...	
١٤٠	٧٧ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا	
١٩١	١٢ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ	المؤمنون
١٩١	١٣ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ ...	
١٩١	١٤ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً	
٢٢٠	٢٠ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ	
١٧١-٧٨	٦٠ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتًا وَقُلُوبُهُمْ	
١٧٣-٧٩	٦١ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ	
٣١٧	٣٦ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ	النور
٣١٧	٣٧ رِجَالٌ لَا نُلْحَمُهُمْ تِجْرَةً وَلَا يَبِيعُ	
٣٠٦	٥٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذِرْكُمْ	
١٨١	٢٦ أَلَمْ يَكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ	الفرقان
٢١٣	٢٣ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ .	القصص
١٧٦	٤٨ فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا	
٢٩١	١٣ وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ	العنكبوت
١٣٥-١٢٣	١١ .	الروم
١٣٦- ١٢٣	٢ غُلِبَتِ الرُّومُ	

١٣٦-١٢٣	٣ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ .	
١٣٦-١٢٣	٤ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ	
١٢٥	١٤ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ...	لقمان
٣١٧	الْمَ ١ ...	السجدة
٣١٧	٢ نَزِيلُ الْكِتَابِ لَارْتِبَ .	
٢٢٧	١٤ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا	
٩٣	٣٠ يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مِنْ بَأْتٍ مِنْكَ بِفَحِشَةٍ ...	الأحزاب
٩٣	٦٧ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا	
٢٠٣	١٥ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ	سبأ
٢٩١	١٨ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ ...	فاطر
٢٤	٢٨ وَمِنَ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ	
١٩٧	٤١ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا	
٣٣٢	١٣ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ	يس
٣٣٢	١٤ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا	
٣٣٢	١٥ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ	
٣٣٢	١٦ قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ	
٣٣٢	١٧ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ	
١١٤	٥٧ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ	الصفوات
١١٤	فَكَذَّبُوهُ فَأَنْهَاهُمْ ١٢٧ ...	
١٢٣	١٢٥ أَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ	

١١٣	١٥٨ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ ..	
(٢١٨-٢١٧)	٢٤ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ لِسُوَالِ نَجْمِكَ إِلَى نِعَاجِهِ ٥ .	ص
١٥١-١١٨-٦	٢٩ كَتَبْتُ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَرُوا ...	
١٢٥	١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ	الزمر
٢٢٠	٤٢ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ .	فصلت
٢١٠	٧ لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ...	الشورى
٢٥٦	١٨ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا	
٢١٣	٢٣ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ ...	الزخرف
٢٣١	٥٧ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا	
٢٣١	٥٨ وَقَالُوا يَا إِلَهْتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ	
٢٣١	٥٩ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا ...	
٢٣١	٦٠ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ	
٢٣١	٦١ وَإِنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرْتِ بِهَا .	
٢٣٢	٦٣ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ	
٢٣٢	٦٤ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ	
٢٣٢	٦٥ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ ...	
٩٢	٤٩ . ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ	الدخان
٢٢٦	٣٥ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا وَأُولُوا	الأحقاف
١١٧-٦	٢٤ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ ...	محمد
٩٣	٤٤ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سَرَاعًا ...	ق
١٦٤	١٥ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ...	الذاريات

١٦٤	١٦ ءَاخِذِينَ مَآءَ النَّهْمِ رَبِّهِمْ ...	
١٨٥	٣ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ...	النجم
١٨٥	٤ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ...	
١٣١	٤٨ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ .	
١٦٨	١٧ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ	القمر
٢٣٣	٣٥ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً .	الواقعة
٢٣٣	٣٦ جَعَلْنَهُنَّ أَجْكَارًا	
٢٣٣	٣٧ عُرْيًا أَتْرَابًا .	
٢٣٣	٣٨ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ .	
٢٧٧	٤١ وَأَصْحَابِ الشِّمَالِ مَآ أَصْحَابِ الشِّمَالِ .	
١٣٥-١٢٢	٢١ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبِ بِنَا أَنَا وَرُسُلِي إِنْ ..	المجادلة
٣١٦	٨ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا ...	الحشر
٣١٦	٩ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ...	
٣١٦	١٠ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ..	
٢٠٧	١٠ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكَّرُ ...	الصف
٢٠٧	١١ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ ...	
٢١٨	١٤ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا ..	
١٩٥	٦ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ ...	التحریم
٩٣	٤ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ	القلم
٢٨٤	١ الْحَاقَّةُ .	الحاقة
٢٨٤	٢ مَا الْحَاقَّةُ .	

١٦٥	٢٤ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ	
١٩٦	٢٦ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ ..	نوح
٢١٠	١٠ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ...	المزمل
٢١٠	١١ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمْ قَلِيلًا ...	
٢١٠	١٥ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ	
٢٢١	٥ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ ...	الإنسان
٢٢١-٢٢١	٦ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ .	
٢٥٦	٤٢ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ...	النازعات
٢١٤-١٣٧	١٧ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ	التكوير
٣١٦	٢٢ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ	الفجر
٢١٤-١٣٧	١ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى .	الليل
٢١٤-١٣٧	٢ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى .	
٢١٤-١٣٧	١ وَالصُّحَى .	الضحى
٢١٤-١٣٧	٢ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى .	

فهرس الإلهافف

رقم الصفحة	الحفدث
١٦٨	أسأل الله معافاته ومغفرته.
٣٣٠	اسقه عسلاً...
١٨٥-٥٠	ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه
١٩٦	إن الله تعالى خلق آدم وطوله ستون ذراعاً.....

١٧٢	أن رسول الله كذلك كان يقرؤها.
١٨٦	إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد.....
١٢٠	إنها لتعدل ثلث القرآن
١٩٣	بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن....
٥٠	بِمَ تَحْكُمُ؟
١٩٢	بها خُتِمت، ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾
١٩٠	دعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فاطمة فأعطها فداك.
١٨٧	لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب!...
١٩٤	لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا:...
٢٩٣	لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رجل.....
٢٠١	لا، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ....."
٢٩٥	لقد لقيتُ من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم: يوم العقبة....
١٤٧-٨٣	للناس كافة
١٤٧-٨٣	لمن عمل بها من أمتي
٥١	اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل
(٨٠-٧٩)	ليس ذلك، إنما هو الشرك. ألم تسمعوا ما قال لقمان...
٢٩٢	ما قتلت نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم....
٢٤٦	من آوى محدثاً...
٢٩٢	من دعا إلى هدى كان له من.....

رقم الصفحة	القائل	الأثر
------------	--------	-------

٢٩٩	علي بن أبي طالب	أتعرف الناسخ والمنسوخ؟.....
٨٥	علي بن أبي طالب	أذنه! أذنه!
٨٧	عائشة	بئسما قلت يا بن أختي.....
١٧٢	عائشة	مرحباً بأبي عاصم.....
١٤٧	كعب بن عجرة	نزلت فيّ خاصة، وهي لكم عامة.
٣٠٨	عبدالله بن مسعود	والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة.....
٣٠٨	علي بن أبي طالب	والله ما نزلت آية إلا وقد علمت
٨٦	عبد الله بن عباس	ويحك اقرأ ما فوقها هذه للكفار.....

فهرس الإسلام

فهرس الإسلام

٢٠٢-١٣٢	إبراهيم بن السري بن سهل الزَّجَّاج
٢٧٨-٢٦٢	إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط البقاعي.
٢٨٨-١٢٥-١١٧-٩٦-٨٣	إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي.
١٩٨	إبراهيم بن يزيد النخعي
١٦٨	أبي بن كعب الأنصاري - رضي الله عنه -.
	ابن الأثير = المبارك بن محمد الشيباني الجزري.
٢٨٦-٢٨٤-٢٨٢-٢٧٩-٢٦٢	أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي.
-١٢١-١٢٠-١١٨-١٠٧-٩٤-٨٥-٧٦-٤٨ -١٥٦-١٥٠-١٤٨-١٣٧-١٣٦-١٣٤-١٣٠ ٣٢٦-٣٢٥-٢٨٨-٢٥٠-٢٢١-٢١٧	أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الخراني.
١٢٠	أحمد بن عمر بن سريج البغدادي الشافعي.
١٨٩-١٨٨	أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار.
١٢٣-٧٢-٦٠	أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي القزويني
١٦٩-١٤٩	أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس.
٢٩٤	أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي.
٣١٥-٣١٤	أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد.
١٧٠	أحمد بن يحيى بن زيد بن يسار الشيباني البغدادي.
١٨٧-١٨٦-١٧١	أحمد بن حنبل الشيباني
	الأزهري = محمد بن أحمد الأزهري الهروي.
	ابن إسحاق = محمد بن إسحاق بن يسار.
١٠٩	إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي الهمداني.
١٧١	إسماعيل بن أمية المكي.
٦١	إسماعيل بن حماد الجوهري.
-٣٠١-٢٨٥-٢٥٤-٢٤٥-١٧٨-١٥١-١١١ ٣٢٥	إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السُّدي.

١٧٢	إسماعيل بن مسلم المكي.
	الألوسي = محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي
	الأنباري = محمد بن القاسم بن محمد الأنباري.
١٥٣	أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي.
	البخاري = محمد بن إسماعيل البخاري.
	البيزار = أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري- البيزار.
	البغوي = محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء.
	البقاعي = إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي.
٣٧-٣٦-٣٥	أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -.
	البناني = عبد الرحمن بن جاد الله البناني المغربي.
	البيضاوي = عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي.
	الترمذي = محمد بن عيسى الترمذي.
	ابن تيمية = أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني.
	ثعلب = أحمد بن يحيى بن زيد بن يسار الشيباني.
١٩٢-١٩١	جابر بن يزيد الجعفي.
	الجرجاني = عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني.
	ابن جرير = محمد بن جرير بن يزيد الطبري.
	ابن جزى الكلبى = محمد بن أحمد بن جزى الكلبى.
	ابن جماعة = محمد بن إبراهيم بن جماعة.
١٣٦	جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي
١٩٨	جندب البجلي - رضي الله عنه -.
	ابن الجوزي = عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي.

	الجوهري = إسماعيل بن حماد الجوهري.
	الجويني = عبد الملك بن عبد الله بن يوسف.
	ابن أبي حاتم = عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي.
	أبو حاتم الرازي = محمد بن إدريس الحنظلي الرازي.
	أبو حذيفة = موسى بن مسعود النهدي.
	ابن حزم = محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم.
٢٢٢	الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي.
٧١	حسن بن محمد العطار المغربي المصري الأزهري.
١١٠-١٧٧-٢٣١-٢٤٤-٢٤٥-٢٩٣-٣٠٤-	الحسن بن يسار البصري.
٣٢٥	
١٣١	الحضرمي بن لاحق.
١١٤	حفصة بنت عمر أم المؤمنين - رضي الله عنهما -.
١٩٠	حميد بن حماد بن أبي الخوار.
	أبو حيان الأندلسي = محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي.
	الخطيب الإسكافي = محمد بن عبد الله الأصبهاني الرازي.
١٧٢	أبو خلف مولى بني جمح
	ابن دقيق العيد = محمد بن علي بن وهب القشيري.
٣٠١-٢٥٤	الربيع بن أنس.
١٧٧	أبو رزين.
٣٠١	رُفيع بن مهران الرياحي مولاهم البصري
	ابن الزبير الغرناطي = أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي.
	الزجاج = إبراهيم بن السري بن سهل الزَّجَّاج

	الزركشي = محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي.
٢٨١-٢٧٩	زكريا بن محمد الأنصاري.
	الزخشري = محمود بن عمر بن محمد الزخشري.
	ابن زيد = عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.
٣٠٤-١٣٢	زيد بن أسلم القرشي العدوي مولاهم
١٩٢-١٩١	زيد بن ثابت الأنصاري - رضي الله عنه.
١٨٧	زينب بنت جحش أم المؤمنين - رضي الله عنها.
	السدي = إسماعيل بن عبد الرحمن السدي.
	ابن سريج = أحمد بن عمر بن سريج البغدادي.
	السعدي = عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي.
	أبو السعود = محمد بن محمد بن مصطفى العمادي.
٣٣٠-١٩٠	أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه.
٣٠٦-٢٦٠	سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي القرشي.
٣٢٥-٢٦٠-٢٣١-١٧٧-١١٠	سعيد بن جبيرة.
١٣٢-١٢٣	سفيان بن عيينة.
٣٢٥-١٠٩	سماك بن حرب بن أوس بن خالد الذهلي البكري.
	السمعاني = منصور بن محمد عبد الجبار السمعاني.
	سيبويه = عمرو بن عثمان بن قنبر.
	السيوطي = عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد.
	الشاطبي = إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي.
	الشافعي = محمد بن إدريس بن العباس الشافعي.
	أبو شامة المقدسي = عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي.
١٤٢	شبل بن عباد المكي.
	الشنقيطي = محمد الأمين بن محمد المختار الجكني.

	الشوكاني = محمد بن علي بن محمد بن عبد الله.
١٩١	شيبان بن عبد الرحمن التميمي مولا هم البصري.
١٧١	صخر بن جويرية.
٣٢٥-٣١١-٢٩٣-٢٣٠-١٧٨-١١٠	الضحاك بن مزاحم الهلالي.
	الطاهر بن عاشور = محمد الطاهر بن عاشور
	الطحاوي = أحمد بن محمد بن سلامة.
٢٩٥-١٧٢-١١٥-١١٤-٨٨-٨٧-٧٩-٧٨	عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها -.
	ابن عادل الحنبلي = عمر بن علي بن عادل الحنبلي.
١٧٨	عاصم الجحدري.
	أبو العالية = رُفيع بن مهران الرياحي مولا هم.
١٩١	عامر بن شراحيل الشعبي.
١٨٩	عباد بن يعقوب الرواجني.
	ابن عباس = عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -.
-٢٠٦-٢٠٢-١٧٩-١٦٥-١٥٧-١٥٤-١٣٩ ٢٦٥-٢٤٢-٢٤١-٢٣٧-٢١٩	عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن عطية المحاربي الغرناطي
١٦٦	عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بندار العجلي الرازي.
١٦٧	عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي، أبو شامة.
٧١	عبد الرحمن بن جاد الله البناني المغربي.
٢٤٣-١٧٤-١٢٧	عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.
٣٠٢-٢٩٩-٢٤٢	عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي ابن الجوزي.
٢٦٣-٢٤٠-٢٣٩-٢٢٩-٢٢٤-١٥٧-١٥٣	عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد السيوطي.
٣٢٥-١٩٥-١٩١-١٤١-١٠٨	عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الحنظلي الرازي. ابن أبي حاتم الرازي
١٥٧-٩٩-٧٠	عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي.

٣٣٥-٢٣٥-١٦٢-١٥٩-٩٥-٩٢	عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي.
٢٦١-١٦٣	عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني.
٣٢٥-١١٠	عبد الله بن أبي الهذيل العنزي.
١٤٢	عبد الله بن أبي نجيح يسار المكي.
٢٤١	عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي.
-١٨٠-١٧٧-١٣٦-١٢٣-١٠٩-٨٦-٥٢-٥١ -٢٨٥-٢٥٩-٢٥٥-٢٥٤-٢٥١-٢٣٩-٢٣٠ ٣٢٥-٣٢٤-٣١١-٣٠٤-٣٠١-٢٩٨-٢٩٣	عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-
٢٣٢	عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البضاوي.
٢٥١	عبد الله بن كثير.
٣١٣	عبد الله بن محمد بن عبد الله الإسكندراني النكزاوي.
-٢٥٤-١٩٨-١٩٧-١٤٧-٨٣-٧٩-٥١-٤٨ ٣٠٨-٢٥٥	عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-.
٨٩	عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.
٢٢٧-٢٢٦-٢٢٥-١٦١	عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري.
٩٠	عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني.
١٨٩	عبد بن حميد.
١٧٢	عبيد بن عمير.
١٥٠	عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الأموي مولا هم، أبو عمرو الداني
	ابن العربي = محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المعافري.
٨٨-٨٧	عروة بن الزبير بن العوام.
	العز بن عبد السلام = عبد العزيز بن عبد السلام بن

	أبي القاسم السلمي.
٢٩٣	عطاء بن أبي رباح أسلم المكي
٣٠٤	عطاء بن أبي مسلم الخراساني.
	العطار = حسن بن محمد العطار المغربي المصري.
	ابن عطية = عبد الحق بن غالب بن عطية الغرناطي
٣١١-١٩٠-١٧٧	عطية بن سعد العوفي.
١٧١	عقّان بن مسلم بن عبد الله الباهلي.
٣٢٥-٣٠٤-١٧٨-١٥١-١١٠-١٠٩-٥٢	عكرمة مولى ابن عباس.
٣٠٨-٢٩٩-٨٦-٨٥	علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -.
٣٠١-٢٩٣-١٧٧	علي بن أبي طلحة.
٢٤٩	علي بن أحمد بن محمد الواحدي.
٣٢٥-١٠٧	علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي.
٢٦٠-٣٧-٣٦-٣٥	عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -.
١٥٧-١٤٥	عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي.
	أبو عمرو الداني = عثمان بن سعيد بن عثمان
٢١١-٩٣	عمرو بن عثمان بن قنبر المشهور بسبيويه
	العوفي = عطية بن سعد العوفي.
	ابن فارس = أحمد بن فارس بن زكريا الرازي.
	الفخر الرازي = محمد بن عمر بن الحسين القرشي.
	أبو الفضل الرازي = عبدالرحمن بن أحمد بن الحسن العجلي الرازي
١٩٠	فضيل بن مرزوق.
	الفيروز آبادي = محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي.
٦١	القاسم بن سلام الأزدي مولاهم، أبو عبيد

	القاسمي = جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم
-٢٤٤-٢٣١-٢٣٠-١٧٨-١٧٧-١١٠-٥٢ -٣١١-٣٠٤-٣٠٢-٣٠١-٢٨٥-٢٥٤-٢٤٥ ٣٢٥	قتادة بن دعامة السدوسي .
	ابن قتيبة = عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري .
	القرطبي = محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري .
	ابن القيم = محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي .
	الكرماني = محمود بن حمزة بن نصر .
	أبو كريب = محمد بن العلاء بن كريب الهمداني .
	كعب الأحبار = كعب بن ماتع الحميري اليماني .
١٤٧	كعب بن عجرة - رضي الله عنه - .
١٩٨-١٩٧-١٨٨-١٨٧	كعب بن ماتع الحميري اليماني .
	الكفوي = أيوب بن موسى الحسيني القريني .
١٨٦	ابن ماجه القزويني .
	الماوردي = علي بن محمد بن حبيب .
٦٢-٦٠	المبارك بن محمد بن محمد الجرزي المشهور بابن الأثير
	ابن مجاهد = أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد .
-٢٣٠-١٧٧-١٤٣-١٤٢-١٢٣-١٠٩-٥١ -٣١٤-٣١١-٣٠٥-٣٠٤-٢٥٩-٢٥٨-٢٥١ ٣٣٠-٣٢٩-٣٢٥-٣١٥	مجاهد بن جبر
-١٣٦-١٣٥-١٢٥-١٢٢-١٢١-١١١-٧٧ -٢٣٣-١٥٧-١٥٤-١٥١-١٤٦-١٤١-١٣٧ ٢٩٢	محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي .
١٩٥	محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .
٢٤١-٢٠٦-٩١	محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي .
-٢٢٨-١٦٠-١٣٦-١٢٤-١٢٢-١١٩-١١٨	محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور .

-٢٧٥-٢٧٤-٢٧١-٢٣٧-٢٣٦-٢٣٥-٢٣٤ ٣٢٦	
٢٨١-٢٧٩	محمد بن إبراهيم بن جماعة.
-١٢٤-١٢١-١١٩-١١٤-٩٥-٧٧-٦٩-٦٨ ١٦٣-١٤٠-١٣٤	محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، الشهير بابن القيم.
٦١	محمد بن أحمد الأزهرى الهروي الشافعي.
٢٥٣-٢٠٦-١٥٧-١١٣	محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي.
٢٤٢-١٦٠-١٥٧-١٥٤-١٥٠-١٤١-٩٦	محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي.
١٩٥-١٩١-١٤١	محمد بن إدريس الحنظلي، أبو حاتم الرازي.
-٢١١-١٣٢-١٢٩-٩٣-٨٩-٧٨-٦٧-٦٤ ٣٣٥	محمد بن إدريس بن العباس الشافعي.
٢٥٩-٢٣١	محمد بن إسحاق بن يسار القرشي المطلبى مولا هم.
٣٢٩-١٩٤-١٨٨-٨٠	محمد بن إسماعيل البخاري.
٣٢٥-١٠٨	محمد بن العلاء بن كريب الهمداني.
٩٠	محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري.
-١٧٠-١٦٠-١٥٦-١٥٢-١٤١-٩٧-٧٠-٢٨ ٣١٣-٢٧٠-٢٣٥-٢٢٤-٢٢٣	محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي.
-١٤٢-١٣٩-١٣٦-١٣١-١٣٠-١١٣-١٠٨ -١٥٩-١٥٨-١٥٧-١٥٥-١٥٤-١٤٩-١٤٧ -٢٠٦-٢٠٣-١٩٨-١٩٧-١٧٨-١٦٥-١٦٤ -٢٤٥-٢٤٤-٢٤١-٢٣٧-٢٣٦-٢٣٠-٢١٩ -٢٩٩-٢٥٥-٢٥٤-٢٥٢-٢٥١-٢٤٧-٢٤٦ ٣٣٥-٣٢٥-٣٠٥-٣٠٢	محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الأملي الطبري.
٢٩٣	محمد بن سيرين.
٢٨٦-٢٧٩	محمد بن عبد الله الأصبهاني الرازي، الخطيب الأسكافي.

٣٠٥-٢٦١-١٤٤	محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المعافري، أبو بكر ابن العربي.
٢٣٣-٢٢٨-٢١٩	محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني.
٢٥٠-٩٤-٦٨	محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، ابن دقيق العيد.
٢٦٩-٢٦١-١٥٩-١٥٧-١٥٠-١٤٠	محمد بن عمر بن الحسين البكري التيمي القرشي، الفخر الرازي.
١٨٧	محمد بن عيسى الترمذي.
٢٣٣	محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، الشهير بأبي السعود.
٦٢	محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري.
٢٩٨	محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروز آبادي.
-٢٢٧-٢٠٥-١٦٠-١٥٧-١٥٤-١٤٥-٨٢ ٣٢٦-٢٤٢-٢٤١-٢٢٩	محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي، الشهير بأبي حيان الأندلسي.
٩٨	محمد رشيد رضا.
١١٢-١٠٦	محمد عبد الله دراز.
٣٠٢-١٥٦	محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم.
٢٨١-٢٧٩	محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى.
٢٣٣-٢٢٧	محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي.
-٢٢٦-٢٢٥-٢٠٦-١٥٤-١٥٢-٦٧-٦٢ ٣٠٦-٢٦٦-٢٣٢-٢٢٧	محمود بن عمر بن محمد الزمخشري.
٥٢	مسروق بن الأجدع.
	ابن مسعود = عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -.
٣٢٩-٢٩٦-٢١٣-١٨٨-٨٠	مسلم بن الحجاج النيسابوري.
١٧٧-٨٩	مسلم بن يسار.

١٩٢-١٩١-٥٠	معاذ بن جبل الأنصاري - رضي الله عنه -.
٣٠٩-٣٠٣-٣٠٢-١٤٥	مكي بن أبي طالب كُثُوش بن محمد بن مختار القيسي.
٢٤١-٢٣٢	منصور بن محمد عبد الجبار السمعاني التميمي.
	ابن منظور = محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري.
١٤١	موسى بن مسعود النهدي.
٨٦	نافع بن الأزرق.
	ابن أبي نجيح = عبد الله بن أبي نجيح يسار المكي.
	النحاس = أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس.
	النسفي = عبد الله بن أحمد بن محمود
	النكزاي = عبد الله بن محمد بن عبد الله الإسكندراني.
٣٠٢	هبة الله بن سلامة الضرير.
	ابن أبي الهذيل = عبد الله بن أبي الهذيل العنزي
١٨٩-١٨٨-١٨٧-١٨٦	أبو هريرة - رضي الله عنه -.
	ابن هشام الأنصاري = عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن هشام الأنصاري.
	الواحدي = علي بن أحمد بن محمد الواحدي.
٣٢٥-١٠٨	وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي.
٩٨	ولي الله الدهلوي.
٢٤٤-٢٤٣	وهب بن منبه اليباني.
	أبو يحيى الأنصاري = زكريا بن محمد الأنصاري.
١٩٠-١٨٩	أبو يحيى التيمي
٣٣٠	يحيى بن سعيد الأنصاري.
١١٤	يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة البصري

فهرس المطار والمراجه

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) أبجد العلوم، لصديق حسن خان القنوجي، أعدّه للطبع ووضع فهارسه: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية-بيروت، مصورة من منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية، ١٩٧٨م.
- (٣) الإتيان في علوم القرآن، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت/٩١١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية-بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨.
- (٤) أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، لصديق بن حسن خان القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٩٧٨م.
- (٥) أحاديث العقيدة المتوهم أشكالها في الصحيحين، للدكتور سليمان بن محمد الديخي، دار المنهاج-الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
- (٦) أحكام القرآن، لأبي بكر ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل-بيروت.
- (٧) اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره، للدكتور سعود بن عبدالله الفينسان، دار اشبيليا-الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- (٨) الأدلة الاستثنائية عند الأصوليين، لأشرف بن محمود بن عقله الكناني، دار النفائس-الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٥-٢٠٠٥.

٩) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

١٠) أساس البلاغة، لجارالله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبدالرحيم محمود، دار المعرفة-بيروت .

١١) أسباب الخطأ في التفسير دراسة تأصيلية ، للدكتور خاطر محمود محمد يعقوب ، دار ابن الجوزي- الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ .

١٢) أسباب النزول، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار القبلة للثقافة الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

١٣) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، للدكتور محمد أبو شهبه، دار الجليل، ٢٠٠٥-١٤٢٥ .

١٤) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، اعتناء: رمزي سعد الدين دمشقية، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧ .

١٥) أصول في التفسير، لمحمد صالح بن عثيمين، تخريج: أشرف بن صالح العشري السلفي، دار الايمان - الاسكندرية.

١٦) الأضداد، لمحمد بن القاسم الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر- وزارة الإعلام الكويتية، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

١٧) الاعتصام، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار التوحيد- المنامة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

- (١٨) إعجاز القرآن، لأبي بكر محمد الطيب الباقلافي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف-مصر، الطبعة الخامسة.
- (١٩) إعراب القراءات السبع وعللها، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالوية، تحقيق: د. عبدالرحمن بن سليمان العثميين، مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣-١٩٩٢.
- (٢٠) إعراب القرآن لأحمد بن محمد النحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، دار عالم الكتب- بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩.
- (٢١) الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة العاشرة، ١٩٩٢م.
- (٢٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد ابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار ابن الجوزي-الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- (٢٣) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التأريخ، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: فرانز روزنثال، ترجمة: د. صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
- (٢٤) أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، عني به محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة- الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨-٢٠٠٧.
- (٢٥) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لأحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، تحقيق: د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار العاصمة- الرياض، الطبعة السادسة، ١٤١٩-١٩٩٨.
- (٢٦) الإمام ابن كثير سيرته ومؤلفاته ومنهجه في كتابه التاريخ، للدكتور مسعود الرحمن خان الندوي، دار ابن كثير-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠-١٩٩٩.

(٢٧) إملاء ما من به الرحمن في وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسن بن عبد الله العكبري، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩-١٩٧٩.

(٢٨) إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، لأحمد بن علي بن حجر، طبع دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد-الهند، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

(٢٩) الأنساب، لعبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر-بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

(٣٠) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، لعبد الله بن عمر البيضاوي، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

(٣١) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د. أحمد حسن فرحات، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ-١٩٩٠.

(٣٢) الباعث لحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير، شرح: الشيخ أحمد محمد شاكر، عني به د. بديع السيد اللحام، دار الفيحاء - دمشق، ودارالسلام - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٧-١٩٩٧.

(٣٣) باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، لمحمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري الغزنوي، تحقيق: سعاد بنت صالح بن سعيد باقبي، جامعة أم القرى - مكة.

(٣٤) بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود د، وزكريا عبد الحميد النوني، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣- ١٩٩٣.

(٣٥) البحر المحيط في أصول الفقه، لمحمد بن بهادر الزركشي، تحقيق الشيخ عبد القادر عبد الله العاني وراجعة د. عمر الأشقر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣-١٩٩٢.

(٣٦) البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي محمد معوض، د. زكريا عبد المجيد النوني، د. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

(٣٧) بحوث في أصول التفسير ومناهجه، للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الطبعة السابعة ١٤٢٤هـ.

(٣٨) بحوث في علوم التفسير والفقه والدعوة، للدكتور محمد حسين الذهبي، دار الحديث- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦-٢٠٠٥.

(٣٩) بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، لموسى إبراهيم الإبراهيم، دار عمار- الأردن، الطبعة الثانية، ١٤١٦-١٩٩٦.

(٤٠) بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية، جمع وتوثيق وتخريج: يسرى السيد محمد، دار ابن الجوزي-الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٤- ١٩٩٣.

(٤١) بدائع الفوائد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي محمد العمران، دار عالم الفوائد-مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.

(٤٢) البدائع في علوم القرآن لابن قيم الجوزية، انتقاء وتحقيق: يسري السيد محمد، دار المعرفة-

بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ - ٢٠٠٣.

(٤٣) البداية والنهاية، لإسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف-بيروت.

(٤٤) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: د. حسين

ابن عبد الله العمري، دار الفكر-دمشق، ودار الفكر المعاصر-بيروت، الطبعة الأولى،

١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٤٥) البرهان في تناسب سور القرآن، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق: د. سعيد بن

جمعة الفلاح، دار ابن الجوزي-الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ

(٤٦) البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه الحجة والبيان، لتاج القراء محمود بن حمزة

الكرماني، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة - القاهرة.

(٤٧) البرهان في علوم القرآن، لمحمد بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار

المعرفة-بيروت، ١٣٩١هـ.

(٤٨) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي،

المكتبة العلمية - بيروت.

(٤٩) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد

أبو الفضل إبراهيم، مطبعة البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ.

(٥٠) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد

المصري، نشر مركز المخطوطات والبحوث التابع لجمعية إحياء التراث الإسلامي-الكويت،

الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٥١) البيان في غريب إعراب القرآن، لأبي البركات ابن الأنباري، تحقيق: د. طه عبد الحميد طه، ومصطفى السقا.

٥٢) تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، نشر وزارة الإعلام الكويتية.

٥٣) التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، لصديق بن حسن خان القنوجي، مكتبة دار السلام-الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦-١٩٩٥.

٥٤) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م

٥٥) تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧-١٩٨٧.

تاريخ الطبري= تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري.

٥٦) تاريخ بغداد، لأحمد بن علي، أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية-بيروت.

٥٧) التاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر-بيروت.

٥٨) تأويل مشكل القرآن، لعبد الله بن مسلم ابن قتيبة، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية-بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠١-١٩٨١.

٥٩) تبصير الرحمن وتيسير المنان، لعلي بن أحمد بن ابراهيم المهامي، وبهامشه: نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، لأبي علي السجستاني، دار عالم الكتب-بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣-١٩٨٣.

٦٠) التحبير في علوم التفسير، لجلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨-١٩٨٨.

٦١) التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: د. حسن هندراوي، دار القلم-دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٦٢) تحرير علوم الحديث، لعبد الله بن يوسف الجديع، مؤسسة الريان-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤-٢٠٠٣.

٦٣) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٦٤) التحفة السنوية بشرح مقدمة الأجرومية، لمحمد محي الدين عبد الحميد، دار الفيحاء-دمشق، ودار السلام-الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٧-١٩٩٧.

٦٥) تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: عبد الغني بن حميد بن محمود الكبسي، دار حراء-مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٦٦) تحقيق الرغبة في توضيح النخبة، للدكتور عبد الكريم بن عبد الله الخضير، مكتبة المنهاج-الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦.

٦٧) تذكرة الحفاظ، لمحمد بن أحمد الذهبي، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى.

٦٨) التذكرة في القراءات الثمان، للإمام طاهر بن عبد المنعم بن غلبول المقرئ، تحقيق: أيمن رشدي سويد، طبع الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم-السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢-١٩٩١.

٦٩) تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي- بيروت.

٧٠) التعليق المختصر على القصيدة النونية لابن قيم الجوزية، تعليق: د. صالح بن فوزان الفوزان، دار العاصمة-الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ - ٢٠٠٤.

تفسير الآلوسي = روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي.

تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لعبد الله بن عمر البيضاوي.

تفسير ابن جرير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري.

تفسير ابن الجوزي = زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي.

تفسير أبي حيان = البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي.

تفسير الرازي = التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، للفرخ الرازي.

تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق التنزيل عيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجمادى الله محمود الزمخشري

تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد العمادي.

تفسير السمرقندي = بحر العلوم لأبي الليث نصر- بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي.

تفسير ابن عاشور = التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور.

تفسير عبد الرزاق الصنعاني = تفسير القرآن لعبد الرزاق بن همام الصنعاني.

(٧١) تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار

طيبة-الرياض، الإصدار الثاني، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

(٧٢) تفسير القرآن العظيم، لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب،

مكتبة نزار الباز-مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

(٧٣) تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية، د. أحمد البريدي، نشر- في مجلة معهد الإمام

الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الثاني، ١٤٢٧-٢٠٠٦.

(٧٤) تفسير القرآن، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة

الرشد-الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

(٧٥) تفسير القرآن، لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن

عباس بن غنيم، دار الوطن- الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

(٧٦) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي-بيروت،

الطبعة الثالثة.

تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير.

تفسير الماوردي = النكت والعيون لعللي بن حبيب الماوردي البصري.

تفسير المهامبي = تبصير الرحمن وتيسير المنان، لعللي بن أحمد بن إبراهيم المهامبي.

تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لعبد الله بن أحمد النسفي.

تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورجائب الفرقان، للحسن القمي النيسابوري.

(٧٧) التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٧٨) تقريب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

(٧٩) التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، لعبدالرحيم بن الحسين العراقي، وبذيله المصباح على مقدمة ابن الصلاح، للشيخ محمد راغب الطباخ، دار الحديث - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ - ١٩٨٤.

(٨٠) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، تصوير دار المعرفة - بيروت.

(٨١) تلخيص مستدرك الحاكم، لمحمد بن أحمد الذهبي، مطبوع بهامش المستدرك للحاكم، دار المعرفة - بيروت، مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد - الهند.

(٨٢) تهذيب الأسماء واللغات، للإمام العلامة أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، دار الكتب العلمية - لبنان.

(٨٣) تهذيب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٨٤) تهذيب الكمال، لأبي الحجاج يوسف المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٨٥) التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تصحيح: اوتويرنزل، طباعة مطبعة الدولة بإسطنبول لجمعية المستشرقين الألمانية، ١٩٣٠م.

- (٨٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتناء: سعد ابن فواز الصميل، دار ابن الجوزي-الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ (أربعة مجلدات).
- (٨٧) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية و الأوقاف السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢-٢٠٠١.
- (٨٨) تيسير الوصول إلى قواعد الأصول ومعاقد الفصول، لعبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي، شرح: د.عبد الله بن صالح الفوزن، دار ابن الجوزي-الدمام، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.
- (٨٩) التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: اوتو تريزل، دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- (٩٠) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله ابن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب-الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- (٩١) جامع البيان في القراءات السبع، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، مجموعة رسائل جامعية، نشر جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨-٢٠٠٧.
- (٩٢) الجامع الكبير، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: د.بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨.
- (٩٣) الجامع لأحكام القرآن و المبين لما تضمنه من السنة وأحكام الفرقان، لمحمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: د.عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧-٢٠٠٦.

- (٩٤) الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، جمعه ووضع فهارسه محمد عزيز شمس، وعلي محمد العمران، إشراف وتقديم: د. بكر عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤٢٢.
- (٩٥) جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن، لإسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: د. عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الفكر-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- (٩٦) الجرح والتعديل، لعبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٥٢م، ١٣٧١هـ.
- (٩٧) جزء فيه قراءة النبي-صلى الله عليه وسلم-، لأبي عمر حفص بن عمر الدوري، تحقيق: د. حكمت بشير ياسين، مكتبة الدار- المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨-١٩٨٨.
- (٩٨) جلاء الأفهام، لمحمد ابن قيم الجوزية، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد- مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.
- (٩٩) جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، لمحمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق: د. محمد علي الهاشمي، نشر- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩هـ.
- (١٠٠) جواهر القرآن، لأبي حامد الغزالي، دار الآفاق الجديدة- بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨١-١٤٠١.
- (١٠١) حاشية مقدمة التفسير، لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي النجدي، الطبعة الثانية، ١٩٩٠-١٤١٠.
- (١٠٢) حاشية جمع الجوامع، لحسن العطار، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٠٣) حديث الأحرف السبعة، للدكتور عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣-٢٠٠٢.

١٠٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

١٠٥) حياة ابن كثير وكتابه تفسير القرآن العظيم، للدكتور محمد بن عبد الله الفالح، مكتبة البيان-السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ - ٢٠٠٤.

١٠٦) الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، للدكتورة خلود العموش، عالم الكتب الحديث-الأردن، وجدارا للكتاب العالمي-الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٩-٢٠٠٨.

١٠٧) الدارس في تاريخ المدارس، لعبد القادر بن محمد النعمي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٠٨) دراسات في علوم القرآن الكريم، للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤٢٥-٢٠٠٤.

١٠٩) درة التنزيل وغرة التأويل، للخطيب الأسكافي ٤٢٠هـ، تحقيق: د. محمد مصطفى أيدين، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢-٢٠٠١.

١١٠) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد- الهند، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

١١١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني، تصحيح: محمد عبده، ومحمد محمود الشنقيطي، ومحمد رشيد رضا، مطبعة المنار، الطبعة الثانية، ١٣٣١هـ.

(١١٢) دلائل النبوة، لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، نشر- محمد عبدالمحسن الكتبي صاحب المكتبة السلفية-المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

(١١٣) دلالة السياق، للدكتور ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

(١١٤) دلالة السياق عند الأصوليين- دراسة نظرية تطبيقية، لسعد بن مقبل بن عيسى العنزى، رسالة ماجستير غير مطبوعة مقدمة لجامعة أم القرى للعام الجامعي ١٤٢٧-١٤٢٨هـ.

(١١٥) دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان للعلامة الشنقيطي، لأحمد لافي المطيري ٢٠٠٧ رسالة ماجستير غير مطبوعة مقدمة للجامعة الأردنية، ٢٠٠٧م.

(١١٦) دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى -عليه السلام-، دراسة تطبيقية نظرية، لفهد بن شتوي بن عبد المعين الشتوي، رسالة ماجستير غير مطبوعة مقدمة لجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

(١١٧) دليل أرباب الفلاح لتحقيق فن الاصطلاح، لحافظ بن أحمد الحكمي، تحقيق: ياسر خالد قاسم الراددي، مكتبة الغرباء الأثرية-المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٤-١٩٩٣.

(١١٨) دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية، للدكتور محمد إقبال عروي، نشر- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧-١٤٢٨.

(١١٩) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لأبراهيم بن علي ابن فرحون المالكي، دار الكتب العلمية-بيروت.

(١٢٠) ديوان الأعشى، شرح: د. يوسف شكري بركات، دار الجليل-بيروت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

(١٢١) ذيل تاريخ بغداد، لمحمد بن محمود بن الحسن البغدادي، الشهير بابن النجار، مطبوع
بذيل تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية-بيروت.

(١٢٢) ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي، لأبي المحاسن محمد بن علي الحسيني، دار الكتب العلمية-
بيروت.

(١٢٣) الذيل على طبقات الحنابلة، للإمام عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: د. عبد الرحمن
بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.

(١٢٤) الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية (شيخ الإسلام) كافر، لمحمد بن أبي بكر
ابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي-بيروت،
الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

(١٢٥) الرسالة، لمحمد بن إدريس الشافعي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر (دون بيانات طبع).

(١٢٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود الألوسي
البغدادي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، مصورة عن طبعة إدارة الطباعة المنيرية-مصر،
الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

(١٢٧) زاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
القرشي، المكتب الإسلامي-بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(١٢٨) السلسلة الصحيحة وشيء من فقهها، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف-
الرياض، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(١٢٩) السلسلة الضعيفة، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف-الرياض، ١٤١٥هـ-
١٩٩٥م.

(١٣٠) السنن، لابن ماجه القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية-لبنان.

(١٣١) السنن، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، تحقيق: عزت عبيد الدعاس، دار ابن حزم-بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨-١٩٩٧.

(١٣٢) السياق القرآن وأثره في تفسير المدرسه العقلية الحديثة، دراسة نظرية تطبيقية، لسعيد بن محمد الشهراني، رسالة دكتوراه غير مطبوعة مقدمة لجامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦.

(١٣٣) السياق وأثره في تفسير القرآن الكريم، لإبراهيم أصبان، رسالة دكتوراه غير مطبوعة مقدمة لجامعة الحسن الثاني-الدار البيضاء، ٢٠٠٣-٢٠٠٤.

(١٣٤) السياق وأثره في توجيه المعنى في تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بعده، رسالة مقدمة للحصول على دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية لجامعة سيدي محمد بن عبد الله-المغرب، ١٩٩٨-١٩٩٩.

(١٣٥) سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ.

(١٣٦) السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده-مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.

(١٣٧) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير-دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

(١٣٨) شرح لمعة الاعتقاد، لمحمد بن صالح العثيمين، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، مكتبة دار طبرية-الرياض، ومكتبة أضواء السلف-الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(١٣٩) شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

١٤٠) شرح مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين، مدار الوطن-الرياض، ١٤٢٦.

١٤١) شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، شرح: د. مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي- الدمام، الطبعة الثانية، ١٤٢٨.

١٤٢) شرح مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح: محمد بن عمر سالم بازمول، دار الإمام أحمد بن حنبل-مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٧-٢٠٠٦.

١٤٣) شرح الهداية، للإمام أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي، تحقيق ودراسة: د. حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦-١٩٩٥.

١٤٤) الصّحاح، لإسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م.

١٤٥) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

١٤٦) صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار السلام- الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩-١٩٩٩.

١٤٧) صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار السلام- الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩-١٩٩٨.

١٤٨) صفة الصفوة، لأبي الفرج ابن الجوزي، ضبط وتعليق: عبد الرحمن اللادقي، و حياة شيحا اللادقي، دار المعرفة- بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢-٢٠٠١.

١٤٩) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة- بيروت.

(١٥٠) طبقات الحفاظ، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

(١٥١) طبقات الحنابلة، لمحمد بن أبي يعلى الفراء الحنبلي، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، نشر الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

(١٥٢) طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين بن علي السبكي، دار هجر-مصر، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

(١٥٣) طبقات الشافعية، لأحمد بن محمد ابن قاضي شهبة، عالم الكتب-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

(١٥٤) طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ - ١٩٨٢.

(١٥٥) طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: د. سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

(١٥٦) طبقات المفسرين، لمحمد بن علي بن أحمد الداودي، ت/٩٤٥هـ، مراجعة وضبط: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م

(١٥٧) طبقات المفسرين، للحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، مراجعة وضبط: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العربية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ - ١٩٨٣م.

١٥٨) العبر في خبر من غير، لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، نشر وزارة الإعلام الكويتية، الطبعة الثانية، ١٩٨٤.

١٥٩) العقد الفريد، لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، ضبط وتصحيح وشرح: أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي-بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٦٠) علل الحديث، لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، دار المعرفة-بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١٦١) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، للدكتور هادي نهر، عالم الكتب-الأردن، وجدارا للكتاب العالمي-الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٩-٢٠٠٨.

١٦٢) علم المناسبات في السور والآيات، للدكتور محمد بن عمر بن سالم بازمول، المكتبة الملكية-مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢-٢٠٠٢.

١٦٣) علماء نجد خلال ثمانية قرون، لعبد الله بن عبد الرحمن البسام، دار العاصمة-الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

١٦٤) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، اختصار وتحقيق: أحمد محمد شاكر، سلسلة منشورات تراث الإسلام، رقم ٣.

١٦٥) غاية النهاية في طبقات القراء، لمحمد بن محمد ابن الجزري، عني بنشره: ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

١٦٦) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن القمي النيسابوري، ضبط وتخریج: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٦٧) غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام المروي، دار الكتاب العربي-بيروت مصورة عن مطبوعات دائرة المعارف للعثمانية، ١٣٩٦-١٩٧٦.

(١٦٨) الفائق في غريب الحديث، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد الجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر-بيروت، ١٩٩٣-١٤١٤.

(١٦٩) فتح الباري بشرح صحح الإمام البخاري، لآحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، المكتبة السلفية-مصر، الطبعة الأولى.

(١٧٠) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، لأبي يحيى زكريا الأنصاري، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣-١٩٨٣.

(١٧١) فتح التقدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الوفاء- المنصورة بمصر، ودار الخاني- الرياض، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

(١٧٢) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، دراسة وتحقيق: د. عبد الكريم بن عبد الله الخضير، و د. حمد بن عبد الله آل فهيد، مكتبة دار المنهاج-الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦.

(١٧٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لآحمد بن عبد الحلليم ابن تيمية، تحقيق: د. عبد الرحمن بن عبد الكريم اليحيى، دار طويق-الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(١٧٤) فصول في أصول التفسير، لمساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي-الدمام، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠-١٩٩٩.

(١٧٥) فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير-لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(١٧٦) فضائل القرآن، لأبي جعفر الفريابي، تحقيق: يوسف عثمان فضل الله جبريل، مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٥-١٤٢٦هـ.

(١٧٧) فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن، لعبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: صلاح بن فتحي، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١-١٤٢٢.

(١٧٨) فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

(١٧٩) الفوز الكبير في أصول التفسير، لولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهول، ترجمة واعتناء: سلمان الحسيني الندوي، دار البشائر الاسلامية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨-١٩٨٨.

(١٨٠) القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده- مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧١-١٩٥٢.

(١٨١) القطع والاستئناف، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، توزيع دار عالم الكتب-الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م

(١٨٢) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله -عز وجل-، عبد الرحمن حسن حنكة الميداني، دار القلم -دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥-٢٠٠٤.

(١٨٣) قواعد الترجيح عند المفسرين، للدكتور حسين بن علي الحربي، دار القاسم-الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

(١٨٤) قواعد التفسير جمعاً ودراسة، خالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان- القاهرة، ودار ابن القيم-الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦-٢٠٠٥.

(١٨٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (القصيدة النونية)، لابن قيم الجوزية اعتناء: عبدالله بن محمد العمر، دار ابن خزيمة-الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦-١٩٩٦.

(١٨٦) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق: محمد بن عبد الرحمن العريفي، و ثامر بن يحيى الحيني، وعبدالله

بن عبدالرحمن المنديل، و محمد بن علي المساعد، دار عالم الفوائد-مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ .

(١٨٧) الكامل في التاريخ، لعلي بن محمد بن محمد الشيباني الشهير بابن الأثير، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ.

(١٨٨) الكتاب، لسيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي-القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م.

(١٨٩) الكشاف عن حقائق التنزيل عيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله محمود الزمخشري، مكتبة المعارف-الرياض، مصورة عن دار المعرفة-بيروت.

(١٩٠) كشف المعاني في المتشابه المثاني، لمحمد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، دار الشريف-الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.

(١٩١) لا يأتون بمثله، لمحمد قطب، دار الشروق-مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢-٢٠٠٢ .

(١٩٢) لحظ الألاحظ بذييل طبقات الحفاظ، لمحمد ابن فهد المكي، دار الكتب العلمية-بيروت.

(١٩٣) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر-بيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٥ م.

(١٩٤) ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، لمحمد يزيد المبرد النحوي، دراسة وتحقيق: د. حمد محمد سليمان أبو رعد، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، الطبعة الأولى، ١٩٨٩ .

(١٩٥) مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠-١٩٩٩ .

١٩٦) المتشابه اللفظي في القرآن، ومسالك توجيهه عند أبي جعفر بن الزبير الغرناطي، دراسة وتحقيق: د. رشيد الحمداوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث-مصر.

١٩٧) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أحمد الهيثمي، دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

١٩٨) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمد، طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ٢٠٠٤-١٤٢٥.

١٩٩) المجموع المغيث في غربي القرآن والحديث، لأبي موسى محمد بن أبي بكر المدني الأصفهاني، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، نشر جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٦.

٢٠٠) المحتسب في تبيين وجوه متون القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح إسماعيل ابن جنبي، دار سزكين، الطبعة الثانية، ١٤٠٦-١٩٨٦.

٢٠١) مختصر الصواعق المرسل على الجهمية والمعطلة لابن القيم، اختصار: الشيخ محمد بن الموصلي، مكتبة الرياض الحديثة-الرياض.

٢٠٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الفكر-بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢٠٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لعبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: مروان محمد الشعّار، دار النفائس-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢٠٤) مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، للدكتور عدنان محمد زرزور، دار القلم-دمشق، والدار الشامية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦-١٩٩٥.

٢٠٥) المدخل لدراسة القرآن الكريم، للدكتور محمد بن محمد أبو شهبه، طبعة خاصة للأمانة العامة للأوقاف - الكويت، ١٤٢٥ - ٢٠٠٤.

٢٠٦) المرشد الوجيز في علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لعبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة، تحقيق دراسة: د. وليد مساعد الطبطبائي، مكتبة الإمام الذهبي - الكويت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣.

٢٠٧) المزهري في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، شرح وضبط: محمد أحمد جاد المولى بك، و محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، دار التراث - القاهرة، الطبعة الثالثة.

٢٠٨) المستدرک علی الصحیحین، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، دار المعرفة - بيروت، مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد - الهند.

٢٠٩) المسند، للإمام أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتبة السلفية - المدينة المنورة.

٢١٠) المسند، للإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣ هـ.

٢١١) مشاهير علماء الأمصار، لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق: م. فلايشهمر، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٥٩ م.

٢١٢) المصعد الأحمدي في ختم المسند، لمحمد بن محمد ابن الجزري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، منشور بأول مسند الإمام أحمد، شرح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

٢١٣) المعارف، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: د. ثروت عكاشة، دار المعارف - القاهرة.

(٢١٤) معالم التنزيل، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، ود. عثمان ضميريه، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة-الرياض.

(٢١٥) معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، دار عالم الكتب-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(٢١٦) معجم الأدباء، لياقوت الحموي، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

(٢١٧) معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر-بيروت، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

(٢١٨) معجم شيوخ الطبري الذين روى عنهم في كتبه المسندة المطبوعة: التفسير-التاريخ-صرح السنة، للشيخ أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، الدار الأثرية-عمّان، ودار ابن عفان-القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(٢١٩) المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء-الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.

(٢٢٠) معجم المؤلفين المعاصرين، لمحمد خير رمضان يوسف، من مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية-الرياض، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(٢٢١) معجم المحدثين، لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق-الطائف، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ.

(٢٢٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٦-١٩٨٦.

(٢٢٣) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل-بيروت، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٢٤) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لمحمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٢٢٥) المغني في توجيه القراءات العشر، للدكتور محمد سالم محيسن، دار الجيل - بيروت، ومكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٢٢٦) مغني اللبيب عن كتب الأعراب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق وشرح: د. عبد اللطيف محمد الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ - ٢٠٠٠.

٢٢٧) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم - دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣ - ٢٠٠٢.

٢٢٨) مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، للدكتور محمد سعد بن أحمد اليوبي، دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣ - ٢٠٠٢م.

٢٢٩) مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، للدكتور مساعد بن سليمان الطيار، دار المحدث، الطبعة الأولى، ١٤٢٥.

٢٣٠) المقتصد في شرح الإيضاح، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: كاظم بحر المرجان، نشر - وزارة الثقافة والإعلام بالعراق، عام ١٩٨٢م.

٢٣١) مقدمة في أصول التفسير، لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: د. عدنان زرزور، دار القرآن الكريم - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩ - ١٩٧٩.

٢٣٢) ملاك التأويل القاطع بدوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٨ - ٢٠٠٧.

(٢٣٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر-بيروت،
١٤٠٨ - ١٩٨٨.

(٢٣٤) منهاج السنة النبوية، لأحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، نشر-
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٢٣٥) منهج ابن كثير في التفسير، للدكتور سليمان بن إبراهيم اللاحم، دار المسلم-الرياض،
الطبعة الأولى، ١٤٢٠-١٩٩٩.

(٢٣٦) منهج الاستنباط من القرآن الكريم، لفهد بن مبارك الوهبي، نشر: مركز الدراسات
والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨-٢٠٠٧.

(٢٣٧) منهج البحث العلمي وكتاب الرسائل الجامعية، لدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر،
الطبعة الأولى، ١٤٢٦-٢٠٠٦.

(٢٣٨) الموافقات، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان،
دار ابن عفان-السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٧-١٩٩٧م

(٢٣٩) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ل محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد
البجاوي، دار المعرفة-بيروت.

(٢٤٠) الناسخ والمنسوخ، لعلي بن أحمد بن حزم الظاهري، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان
البنداري، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

(٢٤١) الناسخ والمنسوخ، لقتادة بن دعامة السدوسي، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة
الرسالة-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

(٢٤٢) الناسخ والمنسوخ من كتاب الله عز وجل، لهبة الله بن سلامة بن نصر المقرئ، تحقيق: زهير
الشاويش، ومحمد كنعان، المكتب الإسلامي-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

(٢٤٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ليوستف بن تغردى بردى الأتابكى، نشر- وزارة الثقافة والإرشاد القومى المصرىة.

(٢٤٤) نزهة الألباب فى الألقاب، لأحمد بن على ابن حجر العسقلانى، تحقيق: عبد العزيز بن محمد السدىرى، مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

(٢٤٥) النشر فى القراءات العشر، لمحمد بن محمد ابن الجزرى، تقديم: الشىخ على محمد الضباع، تخريج: زكريا عميرات، دار الكتب العلمىة- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

(٢٤٦) نظرىة السىاق القرآنى دراسة تأصىلىة دلالية نقدىة، للدكتور المثنى عبد الفتاح محمود، دار وائل-الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.

(٢٤٧) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور، لإبراهىم بن عمر البقاعى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانىة بحىدر أباد- الهند، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

(٢٤٨) النكت على نزهة النظر فى توضىح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر العسقلانى، لعلى بن حسن بن على بن عبد الحمىد، دار ابن الجوزى-الدمام، الطبعة السادسة، ١٤٢٢.

(٢٤٩) النكت والعىون، لعلى بن حىب الماوردى البصرى، تحقيق: خضر محمد خضر، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامىة الكوىتىة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

(٢٥٠) النهاىة فى غرىب الحدىث والأثر، لمجد الدىن المبارك الجزرى، الشهىر بابن الأثرى، تحقيق: طاهر أحمد الراوى، ومحمود محمد الطناحى، دار إحىاء الكتب العربىة لعسى البابى الحلبى، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.

(٢٥١) نواسخ القرآن، لأبى الفرج ابن الجوزى، تحقيق: د.إبراهىم الملبارى، نشر- عمادة البحت العلمىة بالجامعة الإسلامىة- المدىنة المنورة، الطبعة الثانىة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٢٥٢) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية-مصر.

٢٥٣) الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠.

٢٥٤) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، لهارون بن موسى، تحقيق: د.حاتم الضامن، نشر-وزارة الثقافة والإعلام العراقية.

٢٥٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم - دمشق، والدار الشامية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ - ١٩٩٥.

٢٥٦) وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، لأحمد بن محمد بن خلّكان، ذتحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة-لبنان.

فهرس المتويات

٣ الملخص باللغة العربية
٤ الملخص باللغة الإنجليزية
٥ المقدمة
١٧ التمهيد
١٨ ترجمة الحافظ ابن كثير
٤٦ التعريف بتفسير الحافظ ابن كثير
٥٧ الباب الأول: السياق القرآني وأثره في التفسير
٥٨ الفصل الأول: السياق القرآني وأهميته
٥٩ المبحث الأول: تعريف السياق القرآني
٦٠ المطلب الأول: تعريف السياق لغة
٦٤ المطلب الثاني: تعريف السياق اصطلاحاً
٧٤ المبحث الثاني: أهمية السياق القرآني
٧٦ المطلب الأول: دلالة السياق القرآني تعتبر من تفسير القرآن بالقرآن
 المطلب الثاني: إعمال النبي -صلى الله عليه وسلم- لدلالة السياق القرآني، واعتباره
٧٨ لها في التفسير
 المطلب الثالث: إعمال الصحابة -رضي الله عنهم- لدلالة السياق القرآني، واعتبارهم
٨٥ لها في التفسير
٨٩ المطلب الرابع: كلام العلماء في اعتبار دلالة السياق القرآني وأهميتها

- المطلب الخامس: آثار دلالة السياق القرآني في التفسير..... ١٠٠
- الفصل الثاني: أنواع السياق القرآني..... ١٠٢
- المبحث الأول: سياق الآية..... ١٠٥
- المبحث الثاني: سياق المقطع..... ١٠٦
- المبحث الثالث: سياق السورة..... ١١٢
- المبحث الرابع: السياق العام للقرآن الكريم..... ١١٦
- المطلب الأول: الأغراض والمقاصد الأساسية للقرآن الكريم..... ١١٧
- المطلب الثاني: المعاني الكلية للقرآن الكريم..... ١٢١
- المطلب الثالث: الأساليب المطردة في القرآن الكريم..... ١٢٤
- الفصل الثالث: قواعد في السياق القرآني..... ١٢٦
- المبحث الأول: كل تفسير أهملت فيه دلالات الألفاظ، أو يأباه السياق فهو باطل..... ١٢٩
- المبحث الثاني: الأولى حمل كلام الله - عز وجل - على الغالب من عرفه ومعهود استعماله... ١٣٤
- المبحث الثالث: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل..... ١٣٩
- المبحث الرابع: الأصل حمل اللفظ على تأسيس معنى جديد، إلا أن يدل السياق على التأكيد..... ١٤٤
- المبحث الخامس: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب..... ١٤٧
- المبحث السادس: الأصل بقاء ترتيب النظم، إلا إذا دلَّ السياق على التقديم والتأخير... ١٤٩
- المبحث السابع: الأصل اتحاد مرجع الضمائر في السياق الواحد..... ١٥٢
- المبحث الثامن: الأصل عود الضمير لأقرب مذكور إلا لدليل على خلاف ذلك..... ١٥٦
- المبحث التاسع: القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار، إلا لدليل من سياق أو غيره..... ١٥٩
- المبحث العاشر: الأصل في التقدير أن يكون موافقاً للسياق القرآني..... ١٦٢
- المبحث الحادي عشر: يجب حمل كلام الله - عز وجل - على الأوجه الإعرابية اللاتئة

- بالسياق القرآني. ١٦١
- الباب الثاني: أثر السياق القرآني في تفسير ابن كثير - رحمه الله. ١٦٦
- الفصل الأول: أثر السياق القرآني في القراءات في تفسير ابن كثير. ١٦٧
- المبحث الأول: أثر السياق القرآني في ترجيح بعض القراءات في تفسير ابن كثير. ١٧١
- المبحث الثاني: أثر السياق القرآني في تضعيف بعض القراءات في تفسير ابن كثير. ١٧٤
- المبحث الثالث: أثر السياق القرآني في توجيه القراءات في تفسير ابن كثير. ١٧٦
- الفصل الثاني: أثر السياق القرآني في نقد الروايات في تفسير ابن كثير. ١٨٤
- المبحث الأول: أثر السياق القرآني في نقد الروايات المرفوعة في تفسير ابن كثير. ١٨٥
- المبحث الثاني: أثر السياق القرآني في نقد الروايات الإسرائيلية في تفسير ابن كثير. ١٩٣
- الفصل الثالث: أثر السياق القرآني على المعاني في تفسير ابن كثير. ١٩٩
- المبحث الأول: أثر السياق القرآني في بيان المعنى. ٢٠٠
- المطلب الأول: أثر السياق القرآني في بيان المعنى للآية الواحدة. ٢٠١
- المطلب الثاني: أثر السياق القرآني في بيان المعنى للآيات المتتابعة. ٢٠٥
- المطلب الثالث: أثر السياق القرآني في بيان المخاطب أو الموصوف في الآيات. ٢٠٨
- المبحث الثاني: أثر السياق القرآني في بيان المراد من المشترك اللفظي. ٢١١
- المبحث الثالث: أثر السياق القرآني في تضمين المعاني. ٢١٧
- المبحث الرابع: أثر السياق القرآني في تحديد المعنى المراد من حروف المعاني. ٢٢٢
- المبحث الخامس: أثر السياق القرآني في تحديد مرجع الضمير. ٢٢٩
- المبحث السادس: أثر السياق القرآني في بيان الحذف وتقديره. ٢٣٥
- المبحث السابع: أثر السياق القرآني في القول بالتقديم والتأخير. ٢٣٩
- المطلب الأول: أثر السياق القرآني في القول بالتقديم والتأخير. ٢٤١
- المطلب الثاني: أثر السياق القرآني في رد القول بالتقديم والتأخير. ٢٤٣
- الفصل الرابع: أثر السياق القرآني في بعض العلوم المتعلقة بالتفسير في تفسير ابن كثير. ٢٤٨

- المبحث الأول: أثر السياق القرآني في أسباب النزول. ٢٤٩
- المطلب الأول: أثر السياق القرآني في ترجيح بعض أسباب النزول. ٢٥١
- المطلب الثاني: أثر السياق القرآني في تضعيف بعض أسباب النزول. ٢٥٨
- المبحث الثاني: أثر السياق القرآني في إظهار المناسبة بين آيات القرآن الكريم. ٢٦١
- المطلب الأول: أثر السياق القرآني في إبراز المناسبة في الآية الواحدة. ٢٦٥
- المقصد الأول: أثر السياق القرآني في إبراز المناسبة في اختيار الكلمة في الآية. ٢٦٥
- المقصد الثاني: أثر السياق القرآني في إبراز المناسبة بين الجمل في الآية. ٢٦٨
- المقصد الثالث: أثر السياق القرآني في إبراز مناسبة خاتمة الآية لسياقها. ٢٧٠
- المطلب الثاني: أثر السياق القرآني في إبراز المناسبة بين الآيات المتتابعة. ٢٧٢
- المقصد الأول: أثر السياق القرآني في إبراز مناسبة الآية للآية المجاورة لها. ٢٧٣
- المقصد الثاني: أثر السياق القرآني في إبراز مناسبة المقطع للمقطع المجاور له. ٢٧٦
- المبحث الثالث: أثر السياق القرآني في توجيه التشابه اللفظي. ٢٧٨
- المبحث الرابع: أثر السياق القرآني في دفع إيهام الإشكال في القرآن الكريم. ٢٨٨
- المبحث الخامس: أثر السياق القرآني في إثبات النسخ أو عدمه. ٢٩٨
- المطلب الأول: أثر السياق القرآني في إثبات النسخ. ٣٠١
- المطلب الثاني: أثر السياق القرآني في ردّ دعوى النسخ. ٣٠٤
- المبحث السادس: أثر السياق القرآني في معرفة المكي والمدني. ٣٠٨
- المبحث السابع: أثر السياق القرآني في الوقف والابتداء. ٣١٣
- الفصل الخامس: أثر السياق القرآني في الترجيح والتضعيف بين الأقول في تفسير ابن كثير ٣٢٠
- المبحث الأول: أثر السياق القرآني في الترجيح بين الأقوال. ٣٢٣
- المبحث الثاني: أثر السياق القرآني في تضعيف بعض الأقوال. ٣٢٩
- الخاتمة. ٣٣٤
- الفهارس. ٣٣٨

٣٤٠	فهرس الآيات
٣٥٣	فهرس الأحاديث
٣٥٥	فهرس الآثار
٣٥٦	فهرس الأعلام
٣٦٧	فهرس المصادر والمراجع
٣٩٧	فهرس المحتويات